جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

الاتجاه التأملي في القصيدة الأردنية من عام 1921-2006م

إعداد الطالب
علي محمد الذيابات

إشراف
الأستاذ الدكتور محمد المجالي

رسالة مقدمه إلى عمادة الدراسـات العليـــــا
استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
في الأدب والنقد قسم اللغة العربيـة وآدابهـــا

جامعة مؤتة، 2008م

الإهداء

إلى روح والدي وشقيقي في أكرم جوار

إلى رمز الحنان والحب أمي

إلى شقيقي وشقيقاتي وأبنائهم

إلى التي تجعل الحياة أهون ما تكون وأجمل ما تكون

إلى التي تغمرني بحبها وتملأ علي دنياي حباً وأملا

زوجتي وحبيبتي مها

إلى أحبائي تميم وبتول وهمسة ولمى

علي محمد الذيابات

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وبعد، فإنني أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد المجالي الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل، وتعهده برعايته، حتى استوى على هذه الصورة فلم يبخل علي بعلمه ومعرفته وتوجيهاته، فكان لي خير معين وذلل لي الصعاب فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة من أساتذتنا الأجلاء الذين سوف يكون لملاحظاتهم القيمة الأثر البالغ في تحسين صورة هذا العمل ،الأستاذ الدكتور محمد الشوابكة، والدكتور طارق المجالي، والدكتور محمد القضاة.

وأتقدم بجزيل الشكر إلى جميع أساتذتي في هذه الجامعة الحبيبة، التي نهلنا منها المعرفة والعلم.

علي محمد الذيابات

فهرس المحتويات

الملخص

الاتجاه التأملي في القصيدة الأردنية من عام1921-2006م

علي محمد الذيابات

جامعة مؤتة، 2008

هدفت هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الاتجاه التأملي في القصيدة الأردنية من عام 1921-2006م؛وذلك من خلال دراسة بعض أعمال الشعراء الأردنيين الذين برز هذا الاتجاه في قصائدهم.حيث تنوع لديهم التأمل الذي يعتمد على التجربة النفسية الخالصة،من تأمل لمظاهر الطبيعة ومقارنتها بالإنسان؛ لأنهم كانوا يرون فيها العالم المثالي لتحقيق الحياة الفضلى، وتأمل للحياة والموت.

كما تأمل الشعراء خلق الإنسان وقارنوا حياته بمظاهر الطبيعة، واستنكروا على الإنسان طغيان الشر على نفسه، مما أدى إلى الظلم والفقر والقهر، والقتل والخراب وطالبوا الإنسان بالعودة إلى فطرته المجبولة على الخير، من أجل السعادة للبشرية جمعاء .

وقد اتسم معجم الشعراء اللغوي بجزالة الألفاظ،وغزارة المعاني وعمق الصور الفنية،كما وظفوا الموسيقى والإيقاع لإيصال أحاسيسهم وأفكارهم للمتلقين واستخدموا الكثير من الأساليب اللغوية التي تخدم أفكارهم وتأملاتهم، مثل الانزياح والتكرار اللذين أسهما في تقوية الموسيقى الداخلية للقصائد، وتأكيد المعاني التي كان الشعراء يسعون لإيصالها إلى المتلقي.

Abstract

The Contemplative Direction in the Jordanian Poem Since1921-2006

ALI MO'HED THEABAT

Mu'tah University, 2008

This study aims at spotting the light, on contemplation approach in the Jordanian poem since 1921-2006.This could be accomplished through investigating some of the literary works made by Jordanian poets at which this approach was exemplified in their poems .There is a wide variety of Contemplation which depends on abstract spiritual experience of contemplating the nature and correlating it with human being since they see through it best universe to achieve the best life contemplating life and death where the poets points of view are completely different . Some of them are afraid of death and try to avoid it. Some of them approach it since they find it the best way to get rid of all this risks and a best way to the comfortable life. Poets have contemplated human beings creation and compare it with the nature. They refuse to accept evils overwhelming on human spirit, which in turn cause injustice, defeating, poor, killing, and destruction.

They also asked human to go back to his spontaneous nature to achieve happiness to the humanity. The lexical dictionary of those poets is full of expressive phrase, meaningful words and deep literary pictures; they also use music and rhythm to convey their feelings and ideas to the audience. They also use many of the linguistic techniques, which serve their ideas and contemplation such as deviation and repetition, which both contribute in enforcing the inner music of poems and enforcing meanings, which they all want to convey to the audience.

المقدمة

يعد الاتجاه التأملي من الاتجاهات البارزة في الشعر الأردني، لكونه يعتمد على التجربة النفسية الخالصة، ويقوم على التفكير في طبيعة الكون والإنسان، والتـاريخ والمستقبل، ومصير البشرية، وحيرة الإنساني في هذه الحياة.

وقد برز هذه الاتجاه بشكل جلي عند الكثير من الشعراء الأردنيين، الذين واكبوا حركة التجديد، والتطور في الشعر العربي، فساهموا في هذه الحركة بشكل كبير، إذ جددوا في الشكل والمضمون، فتناولوا العديد مـن القـضايا الإنـسانية، والوطنيـة والقومية.

وقد سار الشعر الأردني جنبا إلى جنب مع الشر العربي في الأقطار العربيـة المجاورة، وتطور تطورا ملحوظا في الشكل والمضمون، حيـث جـدد الـشعراء الأردنيون في هذين الجانبين، فأصبحنا نقرأ قصائد من الشعر الحر وقصائد النثـر فضلا عن القصائد العمودية، أما في المضمون فقـد تنوعـت الموضـوعات بـين اجتماعيه، وسياسية، ووطنية وقومية .

وقد تناول الشعراء الأردنيون الاتجاه التأملي(الذي يمس جوانـب مختلفـة مـن الحياة) بكثرة في دواوينهم ومنهم: عرار، وعبد المنعم الرفاعي، وحـسني فريـز، وعيسى الناعوري، وحيدر محمود، وعبد الرحيم عمر ومحمود فضيل التل وخالـد محادين، وعصام العمد، ونبيلة الخطيب، وغيرهم.

وعلى الرغم من بروز هذا الاتجاه إلا أنه لم يحظ بأية دراسة ترصده، وتكـشفه في الشعر الأردني، وفي هذه الدراسة سيتم إن شاء الله، رصد هذه الظاهرة وتسليط الضوء عليها؛ لان مثل هذه القضايا تحتاج إلى المزيد من الدرس، والبحث؛ لتـرى النور ولتبين دور الشعراء الأردنيين في حركة التجديد في الشعر العربي المعاصـر لا سيما وأن دورهم لا يقل أهمية عن الشعراء في باقي الوطن العربي.ولم أجد مـن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، سوى بحث علي الـشرع بعنـوان (النزعـة التأملية في الشعر الأردني وإشكالية التلقي) منشور في كتاب(الـشعر فـي الأردن، أوراق ملتقيات عمان الإبداعية 2002)، إذ تناول طبيعـة هـذه النزعـة التأمليـة،

وطرائق الشعر في تخريجها، والإشكالية التي يواجهها المتلقي وهو يحاول فهم هـذا الشعر.

وقد جاء هذا البحث في تمهيد وستة فصول وخاتمة، تعرضت في التمهيد إلـى التأمل في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث.

وتناول الفصل الأول من التأمل في الطبيعة،حيث درست موقف الشعراء مـن الطبيعة، ونظرتهم إليها، إذ لجأ إليها الشعراء كثيرا؛ لبث شـكواهم ووجـدوا فيهـا ضالتهم المنشودة، وكثيرا ما كانوا يقارنون بينها وبين حياتهم الواقعية،فهم يبحثـون عن عالم مثالي، وهذا العالم لم يجدوه إلا في الطبيعة.

وتناول الفصل الثاني التأمل في الحياة، ونظرة الشعراء إلى الحياة، ومـا هـي الحياة التي ينشدونها، وكذلك نظرتهم للموت التي اختلفت من شاعر لآخر،فمنهم من كان يخاف الموت، ويحاول الهرب منه،ومنهم من كان يجده المخاص لهم من أعباء الحياة، ومنهم من استسلم للموت كونه مصيرا لابد منه .

وتناول أيضاً التأمل في الإنسان، إذ رجع الشعراء إلى أصل الإنسان وأشاروا إليه، وظهرت عندهم النزعة الإنسانية، والبحث عن الإنسان الذي يترفع عن كل ما هو أرضي، ووجدوا الصراع ما بين النفس الإنسانية والعقل، ومنهم من كان ينظـر للإنسان نظرة احتقار وازدراء،ومنهم من ينظر إليه نظرة إجلال وإكبار بالإضـافة إلى فكرة الدعوة إلى المحبة والأخوة بين البشر .

أما في الفصل الثالث فقد تمت دراسة اللغة، باعتبارها أداة التعبير ومن خـلال ذلك تم رصد المعجم الشعري لدى الشعراء، والألفاظ التي استخدمها هؤلاء الشعراء حيث استخدموا ألفاظا مستمده من الطبيعة، وألفاظا ذات دلالات إنسانية، وألفاظا تدل على الحياة والموت. وتم بحث ظاهرة الانزياح التركيبي (التقديم والتأخير والحذف) حيث تم دراسة هذه الظاهرة ودلالاتها في عدد من النماذج الشعرية.

وفي الفصل الرابع تناولت الصورة الفنية، من حيث المفهوم والدور الفني الـذي تقوم به هذه الصورة في كشف، وتوضيح العمل الأدبي، وتحليل المفاهيم من وجهة نظر نفسية، والصور الاستعارية، واستخدام الشعراء لمفهومي التشخيص والتجسيد.

وأما في الفصل الخامس فقد تناولت الإيقاع والموسيقى، ومفهوم الإيقاع الداخلي والخارجي والإشكال التي نظم عليها شعراء الأردن قصائدهم، ودور ذلك في القدرة على توصيل أفكارهم، كما تناولت التكرار من حيث الدلالة، والدور الذي يؤديه في توضيح النص للقارئ، وأنواع التكرار التي ظهرت في الشعر الأردني، مثل التكرار الاستهلالي، وتكرار الكلمة، وتكرار الحرف، ودور كل نوع في بناء القصيدة.

وأما الخاتمة فقد لخصت فيها النتائج التي توصلت إليها، اتبعتها بثبت خاص بالمصادر والمراجع التي أفدت منها في هذه الدراسة.

وبعد فهذه محاولة، تسعى إلى إبراز الاتجاه التأملي في الشعر الأردني في حدود إمكانياتي، وبفضل ما أتيح لي من مراجع أنارت لي الطريق، ويسرت لي مشكلات هذا البحث. فإن وفقت فهذا هو المبتغى، وإن لم أوف البحث حقه من الدراسة، فحسبي إنني لم أدخر جهدا في النهوض به إلى هذا المستوى.

التمهيد

شهد الأردن بعد تأسيس الإمارة عام 1921م حركة أدبية واسعة، حيث التقى على أرض الأردن عدد من الشخصيات الأدبية، مثل فؤاد الخطيب وعبد المحسن الكاظمي، ومحمد علي الحوماني، وخير الدين الزركلي، وعمر أبو ريشه وغيرهم من الشعراء والكتاب، الذين كانت تجمعهم رؤاهم القومية المستمدة من ذكرى الثورة العربية، والدعوة إلى الوحدة العربية، إذ طغى على الشعرالطابع القومي والوطني، وقد كان للشعراء العرب دور كبير في تطور الشعر الأردني حيث تتلمذ على أيديهم عدد كبير من الشعراء مثل: حسني فريز وعبد المنعم الرفاعي وحسني زيد الكيلاني وغيرهم[1].

كما كان للملك المؤسس عبد الله بن الحسين دور كبير في إحياء الشعر حيث كان بلاطه منتدى ثقافيا يلتقي فيه الشعراء وينشدون أشعارهم ويتبادلون الأفكار، إضافة إلى أن الملك كان شاعرا وراوية للشعر، وقد أتيح لعدد من الشباب في الأردن الدراسة في المعاهد والجامعات السورية واللبنانية مما أتاح لهم فرصة الاطلاع على تجارب الآخرين واهتماماتهم الأدبية ومنهم: عرار، ومحمد صبحي أبو غنيمة، وحسني فريز وعبد المنعم الرفاعي وغيرهم [2].

وقد امتاز الشعر في هذه المرحلة بأنه كان مقلدا للشعر العربي القديم، مرتبطا بالمناسبات، وتناول الأغراض العامة من غزل ومدح ورثاء، إلا أن بعض ملامح التجديد قد ظهرت عند بعض الشعراء، من مثل حسني فريز، وحسني زيد الكيلاني و عرار، وعيسى الناعوري، كما كان لظهور بعض الصحف والمجلات كمجلة الحكمة، وصحيفة الشرق العربي وصحيفة الجزيرة دور كبير في نشر الكثير من قصائد الشعراء العرب والمقيمين، مما زاد في تطور الحركة الشعرية ونمائها في هذه المرحلة[3].

---

[1] - عطيات، محمد وآخرون : الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس 1996م، منشورات وزارة الثقافة 2002م ، ص 16

[2] - نفسه، ص 20

[3] - نفسه، ص 21-22

وبعد نكبة عام 1948م دخل الشعر في الأردن مرحلة جديـدة، حيـث تعمـق الالتزام الوطني والاجتماعي والسياسي في الشعر، وظهر لونان من الـشعر همـا: شعر تقليدي في الشكل والمحتوى، وشعر تقليدي في الشكل مجدد في المحتوى ولون من الشعر الحر(شعر التفعيلة)[1]، حيث بدا تأثر شـعراء الأردن بالـشعراء العـرب وبالمدارس الأدبية التي ظهرت في الوطن العربـي، كمدرسـة الـديوان و أبولـو والمهجر واضحا، فقد تأثر عرار بمدرسة الديوان والمهجر وبالـشعر الرومانـسي، ويعلن عيسى الناعوري صراحة أنه سئم الطريقة التقليدية في الشعر ففـي ديوانـه الثاني (يا أخي الإنسان) يذهب مذهب المهجريين في اختيار الكلمة البسيطة المألوفة والصورة الشفافة والمضامين التي تتفق مع النزعة الإنسانية في الأدب المهجـري، كما أن اختيار حسني فريز عبارة (هياكل الحب) لتكون عنوانا لديوانه جـاء تـأثرا بجبران حيث تتكرر هذه العبارة في كتاباته، كما أنه يشكل جزءا من قصيدة مشهورة لأبي القاسم الشابي (صلوات في هيكل الحب)[2].والذي أسهم في ذلـك هـو ظهـور الصحف التي هاجرت من فلسطين بعد النكبة وظهـور صـحف أخـرى مـستقلة احتضنت الشعر، كما شهدت هذه الفترة ميلاد ثلاث مجلات أدبية هي: " القلم الجديد" للناعوري وقد صدرت عام 1952م، ومجلة " الأفق الجديد " وصدرت عام 1961م، ومجلة " أفكار " وصدرت عام 1966م.

ثم توالت بعد ذلك إصدارات الدواوين الشعرية، إذ تطور الشعر الأردني وأصبح يواكب الأحداث السياسية ويقوم بدوره الوطني لشحذ الهمم والدفاع عن الوطن، وعن قضاياه المصيرية، حيث تجاوب الشعر الأردني تجاوبا عميقا مع قـضايا المجتمـع والظروف الوطنية والقومية والإنسانية، وتطور تطورا فنيا واسعا، كما أن الظروف السياسية دفعت الشعراء إلى الالتـزام برسـالة الـشعر الأخلاقيـة والاجتماعيـة والإنسانية، بعاطفة صادقة وإحساس عميق.

---

[1] - عطيات، وآخرون: الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي ص 26

[2] - الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقافي الأول – المفرق) جامعة آل البيت، 1997م، ص ص 23-25

ومن الموضوعات التي ظهرت في الشعر الأردني الموضـوعات الاجتماعيـة والإنسانية، حيث قام الشعر برسالته الأخلاقية من توجيه ونصح وإرشـاد، بعاطفـة صادقة وإحساس عميق[1].

وفضلا عن الموضوعات المتقدمة، والمعالجات التي طرحها شعراء الأردن بما فيها من تقليد وتجديد، فإننا نجد عندهم شعرا وجدانيا وتأمليا ووصفيا، حيـث كـان بعض الشعراء يفزعون إلى أنفسهم ويبثون لواعج وجدانهم، بل إن بعض الـشعراء كرسوا جلّ شعرهم للجانب الوجداني، مصورين أشواقهم وحبهم وهيامهم، واصـفين أطوار نفوسهم، باثين لواعجهم وحنينهم وذكرياتهم، وكل ذلك من خلال قوالب أدبية وصور شعرية ومعان مبتكرة [2].

وقد دفعت الحروب والمعاناة التي عاشها العرب الشعراء إلى الانطواء علـى ذواتهم والانسحاب من الواقع ليحيوا نمطا متقلبا بين اليـأس والأمـل، فاستحـسنوا العودة إلى الطفولة، والتماس العزاء في الطبيعة منشدين أناشيد التأوه والشكوى مـن الزمان والمناداة بالموت، تخلصا من شقاء العيش، فكثرت التعابير التاليـة: صـدى العذاب، والشفاه المطبقة، والذكريات والأحلام الضائعة، والأشواق التائهة والكبرياء المحطمة، وذكر الخمر. كما أن الشعراء انشغلوا بقضايا عامة أكثر مـن انـشغالهم بقضايا خاصة[3].

لقد تأثر الشعر الأردني بتيارات التجديد في الأدب المهجري، ومدرستي الديوان وأبولو، وتطور تطورا موازيا لنظيره في الأدب العربي لنشوء جيل جديد كتب ألوانا شعرية متقاربة المضمون بخصوصية الحياة الأردنية، وظهر شعر البدايات الرمزية والرومانسية بمظاهر مختلفة من الشعر الوجداني التأملي والوطني الذاتي الخاص[4].

---

[1] - قطامي، سمير: الحركة الأدبية في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة 1948م، وزارة الثقافة و الشباب،عمان، ط1،1981، ص 102-103 .

[2] - المرجع نفسه ص 104.

[3] - المرجع نفسه: ص 451.

[4] - عطيات: الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، ص 453.

وقد كانت القضية الفلسطينية هي محور الشعر ومحركه في شتى المجـالات، حيث كانت موضوعات القصائد المتنوعة العاطفية والاجتماعية والفكرية وغيرهـا ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالقضية الفلسطينية[1]. ومن الناحية الفنية فقد دخل الشعر مرحلة الريادة والتجديد، والسير نحو الحداثة الشعرية حيث ارتادت القـصيدة آفاق الترميز والتجريب، والانزياح والغموض وتوظيف الأسطورة وغيرهـا مـن التشكيلات الفنية والمستويات التعبيرية[2].

التأمل لغة واصطلاحا :

التأمل في اللغة كما جاء في لسان العرب لابن منظور(التثبت، وتأملت الـشيء أي نظرت إليه مستثبتا له، وتأمل الرجل تثبت في الأمر والنظر)[3]، والتأمـل بهـذا يحمل معنى التأكد من ذات الشيء المنظور إليه، أو الوقوف على حقيقة أمـر مـن الأمور التي يفكر فيها الإنسان .

أما التأمل اصطلاحا فهو: (استغراق الذهن في موضوع تفكيره إلى حد يجعلـه يغفل عن الأشياء الأخرى بل عن أحوال نفسه، وعنـد بعـض صـوفية القـرون الوسطى: درجة سامية من درجات المعرفة)[4] .

فالتأمل من هنا التفكير في موضوع بعينه أو ظاهرة بعينها إلى درجة الانشغال عن النفس أو الأشياء المحيطة قصد الوصول إلى الحقيقة. والتأمل صـفة إنـسانية نجدها عند النبي والفيلسوف كما نجدها عند الشاعر. وإذا كان تأمل الفيلسوف يختلف عن تأمل الشاعر من حيث الطريقة والوسيلة فإن هناك سمة مشتركة بينهما تتمثـل في عدم وقوفهما عند ظواهر الأشياء ومحاولة الغوص إلى ما وراءها بحثـا عـن الحقيقة. كما أن للنبي تأملاته المختلفة عن تأملات غيره من حيث الوسيلة إذ إن لـه

---

[1] - الزعبي، أحمد: أسلوبيات القصيدة المعاصرة (دراسة فـي حركـة الـشعر فـي الاردن وفلسطين من 1950-2000م)، دار الشروق، عمان ط1، 2007م ص 30

[2] - المرجع نفسه: ص 35

[3]- ابن منظور: لسان العرب ، ج13،14، مطبعة بولاق ،ط1،ص28

[4]- وهبة، مجدي، المهندس، كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنـان 1979، ص 50 .

قوة روحية لا يؤتيها الشاعر ولا الفيلسوف. وهو بدوره يتأمل نفسه وما حوله بقلب مشرق وروح متطلعة بحثا عن الحقيقة.

الشعر التأملي

الشعر التأملي هو نوع من الشعر الذي يقوم على التفكير فـي طبيعـة الكـون والإنسان والتاريخ والمستقبل، ومصير البشرية وحيرة الإنسان ومأساته. وهذا الشعر يقترب من الفلسفة ولكنه لا يتبنى أساليبها ومناهجها المنطقية، وإنما يقوم على التأمل الشخصي والرأي الذاتي من خلال التخيل والصور الفنية والتعبير الجميل.

وقد عرف العرب قديما هذا النوع من الشعر تحت اسم شعر الحكمـة وكـذلك الشعر الصوفي الذي أصبح مصدر وحي الشعر الحديث[1] .

لقد ارتبط التأمل بالشعر على اعتبار أنه أول الفنون الأدبية ظهورا، فقـد كـان الشاعر يحمل قصيدته أفكاره ونظراته إلى الحياة والكون، ولكنها كانت متفاوتة بين شاعر وآخر فمنها ما كان ساذجا بسيطا ومنها ما كان عميقا، وهذا يتأتى من طبيعة تجارب الشعراء، كما أن للبيئة والثقافة الفضل في توجيه التأمل وجهة معينة. إذ كان للبيئة العربية القاسية تأثير واضح في عقلية الإنسان العربي و نفسيته، ممـا جعلـه مضطربا حزينا بسبب ترحاله من مكان لآخر بحثا عن الكلأ والماء وهذا الترحـال يسبب المشقة للجسد والنفس معا، وهذا ما جعل تأمـل الـشاعر الجـاهلي بـسيطا لبساطته، حزينا لحزنه، قلقا لقلقه.

وقد بين أحمد أمين سمة هذه الكآبة عند الجاهلي حين ذهب إلـى أن "كلمـات السرور واللهو واللعب والمزاج أقل من كلمات البؤس والحزن والويل، ألـم تـرهم تفننوا في الداهية فصاروا يخترعون لها من الأسماء ما أتعب اللغـويين ؟ ... ذلـك لأن طبيعة البيئة تستدعي ذلك فهي بيئة شقاء وفقر لا بيئة رخاء ونعيم"[2] .

1 -الناعوري، عيسى: أدب المهجر، دار المعـارف مـصر ط 3، 1977،.ص 88، وانظـر، المقدسي، أنيس:الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث،دار العلم للملايين، بيروت،ط7 1982م، ص103.

2 - أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت ط 10 ،1969، ص 48

أما في المجال الثقافي فلم يكن للجاهليين مذهب فلسفي كما هـو الحـال عنـد اليونان والهنود، وذلك بسبب حياتهم البدوية، ومع هذا كانت لهم تأملات في الحيـاة والموت نتيجة لملاحظاتهم العابرة وتجارتهم في الحياة، ولكنها كانـت تفتقـر إلـى التعليل لأنهم لم يحسنوا ربط الأشياء بمسبباتها ربطا منطقيا وذلك لكثرة ما انتـشر عندهم من خرافات وأساطير.[1]

ولكن الملاحظ أن هذه التأملات تأتي في ثنايا قصائد المدح والرثـاء والفخـر والغزل وغيرها من الأغراض، وهي تلخص تجربة معينة بشكل موجز كمـا هـو الحال عند زهير ولبيد وطرفه بن العبد، فقد جاءت تأملات زهير في الحياة و الموت وليدة تجربة ثمانين عاما كما نلاحظ في معلقته الميمية[2]:

سئمت تكاليف الحياة و من يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

إن عمق الإحساس بالزمن النفسي الذي يتمثل بوعي الحياة المفعمـة بتجـارب غنية ومتعددة استغرق الشاعر في تأملها وتحمل مسؤولياتها منذ وعيه الأول ؛حيث يتحمل المسؤولية صغيرا، جعله يرى أن هذه الحياة أطول مما ينبغي.

و كذلك لبيد الذي استقى نظرته للإنسان ومصيره من وحي تجربتـه البدويـة، ويعتمد التأمل هنا على الاستغراق في المفردات المادية المرئية المحسوسة، لينطلـق منها إلى تشكيل مفهوم قوامه الفناء الحتمي، والموت الذي لا انفلات منه، والـشاعر يحاول تقريب مفهوم الموت للذهن من خلال بيان ضآلته أمام الطبيعة، ويظهر ذلـك في قوله[3]:

بلينا و ما تبلى النجوم الطوالـع وتبقى الجبال بعدنا و المصانـع

وما المرء إلا كالشهاب و ضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطـع

---

[1] - أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ص 39

[2] - ابن أبي سلمى، زهير: ديوان زهير، تحقيق كرم البستاني، دار صادر دار بيروت، بيروت 1960، ص 87.

[3] - ابن ربيعة، لبيد: ديوان لبيد، دار صادر، بيروت،1966، ص ص 88-89

و ينطبق ذلك على طرفة بن العبد الذي انطلق من تجربتـه الـشابة إذ يطلـب الموت ويتشوق إليه؛ لأنه لا مفر منه ولا سيما من خلال الحرب يقول[1]:

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى و أن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرهـا بما ملكت يـدي

على أننا لا نستطيع أن ننفي تأثر هؤلاء الشعراء بثقافات الأمم الأخرى وأديانها فقد كان العرب على صلة بحضارات الأمم الأخرى، ودليل ذلك ما أتاحتـه إمارتـا الغساسنة في الشام، والمناذرة في العراق من امتزاج الثقافة العربية بثقافات الفرس و الروم. وما كانت تتيحه الأسواق العربية في المواسم من اجتماع بين التجار العـرب والعجم فيتم التبادل التجاري كما يتم تعرف العربي إلى العجمـي فيعـرف عاداتـه وتقاليده وديانته وعلومه[2].

ويحاول الشاعر الجاهلي أحيانا أن يقارن بين الإنسان وبين الطبيعة، فيجده فانيا ويجدها خالدة، وهذا يجعله يشعر بقمة المأساة التي تفصل بينه وبينها، ويزداد الفارق اتساعا كلما ازداد الشاعر تأملا. ويبين أدونيس هذه الحال فيقول: " وحـين يتـضح للإنسان انفصاله عن الأشياء حوله، يتضح له نقصه وبالتالي تعطشه لكمال لا يتحقق إلا في الخارج. يشعر وهو يشارك الأشياء وجودها أنه يعيش مؤقتا. يتعذب عـذاب من لا يقدر إلا أن يخضع في النهاية "[3].

وعلى الرغم من أن الشاعر الجاهلي قد ربط بين الإنسان والطبيعة إلا أننـا لا نجد له تأملا في الطبيعة إلا في الأقل النادر. وما وقوف الـشاعر الجـاهلي علـى الأطلال إلا نوع من التأمل الحقيقي، الذي يستغرق فكره ومشاعره، وتدفعـه إلـى تجاوز الظاهر إلى الباطن، والمحسوس إلى المجرد. وهذا الوقوف نافذة يطل منهـا الشاعر على معاني الوجود والعدم، وعلى ذلك الـصراع الوجـودي بـين الحيـاة والموت.

---

[1] -ابن العبد، طرفة: ديوان طرفة، دار صادر، دار بيروت، بيروت 1961 ص 32

[2] - الجبوري، يحيى: الشعر الجاهلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط3، 1982م ، ص 92

[3] - أدونيس، أحمد علي سعيد: مقدمة في الشعر العربي، دار العودة، بيـروت، ط1979،3، ص 14

وإذا كان الشاعر الجاهلي قد وقف عند الحياة والموت والإنسان فإنه قلما تطرق إلى النفس الإنسانية ليبين خيرها وشرها ولم يتطرق إلى مصيرها لأنه لم يكن يؤمن بالنفس أولم يكن يفرق بينها وبين الجسد؛ ولأنه كان مأخوذا بأحداث خارجية تتمثـل في الجفاف والحروب وعدم الاستقرار، واستمر هذا التأمل المـادي إلـى أن جـاء الإسلام[1].

وعندما جاء الإسلام أدرك الإنسان العربي أن هناك إلها واحدا وحياة أخرى بعد الموت. وقد أعد الله للصالحين الجنة وللكافرين النار؛ ولذلك بدأ الشاعر يفكر فيمـا بعد الموت من عقاب وثواب جعلاه يدعو إلى الزهد في الحياة الـدنيا والاسـتعداد للحياة الآخرة.

وهكذا نشأ شعر الزهد الذي يذكر بالموت ويدعو إلـى التـزود بالـصالحات، واختفى شعر التأمل الفردي الذي وجدناه في الجاهلية على أنه كان من المتوقـع أن يظهر شعر التأمل في عصر صدر الإسلام بشكل جلي نظرا لما في القرآن الكـريم من دعوة إلى النظر فيما خلق الله[2].

قال تعالى " **أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زيناها و ما لها من فروج** "[3]، وقال تعالى "**قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم** الله **ينشئ النشأة الآخرة إن** الله **على كل شيء قدير** "[4]

وقد يعود اختفاء شعر التأمل في صدر الإسلام إلى انشغال الـشعراء بـالقرآن الكريم والإقبال على تلاوة آياته وتفهمها وعدم الاستقرار نتيجة الفتوحات الإسلامية.

وفي العصر العباسي امتزجت الثقافة العربية بالثقافات الأخرى مـن فارسـية ويونانية وهندية. وانتشرت العلوم والفلسفات المختلفة، مما نقل العقل العربـي مـن البساطة والعفوية إلى الدقة في النظر إلى الأشياء. لقد استفاد العقل العربي من منطق

---

[1] - علاق، فاتح: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، رسالة ماجستير غيرمنشورة، جامعة حلب ،1987، ص 8-9

[2] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 10

[3] - سورة (ق) آية رقم 6

[4] - سورة العنكبوت آية رقم 20

اليونان ومن حكمة الفرس ومن تأملات الهنود. بالإضافة إلى الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي الذي يعد من العوامل الهامة في تطور التأمل في العصر العباسي.

ولعل من أشهر المتأملين في هذا العصر ابن الرومي، والمتنبي وأبا العلاء المعري. فابن الرومي عكف على المنطق والفلسفة اللذين وجد فيهما غذاء رفيعا يمكّنه من إجالة الفكر فيما حوله من قضايا الحياة والموت، والمتنبي قد ضرب في الآفاق حتى أصبح التنقل عنده أصلا والاستقرار فرعا، ولا شك أن لرحلاته هذه أثرا طيبا في إثراء تجربته، و إغناء طبعه إضافة إلى ما كسبه من ثقافة غزيرة نتيجة اطلاعه على الفلسفات والعقائد الدينية المختلفة[1].

والمعري اطلع على مختلف الفلسفات والديانات وساعده الانعزال في بيته على التأمل في الحياة والكون. فكان لكل واحد منهم عالمه الخاص به الغني بأفكاره و تأملاته. فابن الرومي الذي فقد زوجته و أولاده الثلاثة بالإضافة إلى أمه و أخيه و أبيه، وبقي يجرع الغصات وحيدا و كأنه أراد أن يعوض هذه الخسارة التي ألمت به بإقبال مفرط على متع الحياة يختلف عن أبي العلاء المعري الذي انصرف عن الحياة لما أدبرت عنه ،وابن الرومي يتفق في هذا الإقبال على الحياة مع المتنبي الذي قاده حبها إلى تحدي الصعاب و الانتصار على المتاعب[2]. و قد وصل حب الحياة عند ابن الرومي إلى درجة العبادة مما دفع العقاد إلى تصوير هذا الحب بقوله " فيخيل إليك أنه شارب قبض على الكأس يود أن يجرعها مرة واحدة من فرط التعطش والخوف عليها لولا أنه يستعذبها يستطيبها فيرشف منها رشفة بعد رشفة ويعود إليها ينظر ما فرغ منها، وما بقي فيها، ويضن ويشتاق ويشعر بمرارة الفقد لفرط شعوره بحلاوة المتعة. فما نقصت من تلك الكأس – الحياة – قطرة إلا أحس بطيبها وأحس بألم فقدها، وعرف مقدارها"[3]

[1] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 11

[2] - المرجع نفسه: ص 11

[3] -العقاد، عباس محمود: ابن الرومي حياته وشعره، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1968،7، ص 283

وقد ولد ذلك الحب الشديد الخوف الشديد من زوال الحياة ومتعتها ،والمتأمل في ديوان ابن الرومي يلحظ ذلك التخوف الذي سيطر عليه حتى جعله شقيا في حياته لا يستطيب عيشا:

إذا طاب لي عيش تنغصت طيبه   بصدق يقيني أن سيذهب كالحلم

و من كان في عيش يراعي زواله   فذلك في بؤس و إن كان في نعم[1]

ومع ذلك عاش حياة خالدة و شبابا متصلا، ولكن هذا الأمر مستحيل التحقيق و يعود ليؤكد هذا الأمر وأن الموت هو العدو اللدود بالنسبة إليه؛ لأنه يحرمه التنعم بملذات الحياة التي يحرص على دوامها، و خوفه من الموت هو الذي أسقمه و جلب إليه الشيخوخة المبكرة، فإذا بشعره يشيب و إذا بصحته تضعف و إذا به يفنى تدريجيا ولا عزاء له:

كيف العزاء وما في العيش مغتبط   و لا اغتباط لأقوام يموتونا[2]

أما المتنبي فقد دفعه حب الحياة إلى طلب المجد تحت راية السيف و القلم، ومواجهة خطوب الحياة بالشجاعة، وهو يدعو إلى أن يستغل الإنسان هذه الحياة ليترك أعمالا عظيمة تبقى شاهده على حياته بعد مماته، و هو لا يخشى المصاعب التي تواجهه لأنها تكشف ضعف العزيمة وقوتها ولولاها لأصبح الناس كلهم في درجه واحدة:

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر و الإقدام قتال[3]

وتختلف نظرة المتنبي وابن الرومي للحياة عن نظرة أبي العلاء المعري الذي زهد فيها وانصرف عنها ونظر إليها نظرة متشائمة وتمنى الموت ولكن الشيء الذي تطرق إليه المعري ولم يتطرق إليه المتنبي هو بداية الحياة في هذا الكون وهو ما

---

1 - ابن الرومي: ديوان ابن الرومي ج 1، اختيار وتصنيف كامل كيلاني، مطبعة التوفيق الأدبية ص 27

2 - ابن الرومي: الديوان (ج 1) ص 11

3 - المتنبي، أبو الطيب: ديوان المتنبي، دار الصياد، بيروت ص 490

نبه إليه عبد الوهاب عزام حين قال في المتنبي:" لم يتعرض شاعرنا إلى فلسفة العالم ومبدئه ومنتهاه كأبي العلاء المعري "[1]

لقد ذهب المعري إلى أن الحياة مقدرة على الإنسان منذ الأزل، أوجد الإنـسان في هذه الحياة قهرا وسيغادرها قهرا مرة أخرى، بل إن كل صغيرة و كبيـرة فـي حياة المرء قدرت عليه .

ما باختياري ميلادي و لا هرمي   و لا حياتي فهل لي بعد تخيير[2]

و لعل هذا الإحساس بالجبرية لدى المعري جاء نتيجة لتجربته فـي هـذه الحيـاة بالدرجة الأولى، إذ فقد بصره غير مختار ولم يتجاوز الرابعة من عمره.

وقد كان أبو العلاء المعري يناقض نفسه ويتردد في آرائه إذ ليس بوسعه الجـزم في أمور مغيبة عنه، سلاحه فيها العقل الشاك ولهذا أدرك المعري أن كل ما يـستطيع أن يفعله هو الشك؛ لأن الاطمئنان إلى حقيقة معينه صعب:

أما اليقين فلا يقين وإنما   أقصى اجتهادي أن أظن وأحدسا[3]

ولم يقتصر تأمل الشعراء على الحياة بل تعدوها إلى الإنسان وسبر أغوار النفس البشرية، وقد ساعدهم في ذلك الفلسفة واستقرار الحياة الاجتماعيـة. وقـد انطلـق المتنبي من فهمه لنفسه فهم نفوس الآخرين، ولذلك فإن تأملاته النفسية كانت تنطبق عليه في الدرجة الأولى:

وإذا كانت النفوس كبارا   تعبت في مرادها الأجسام[4]

كما أنه بين أن النفس مجبولة على الشر والحسد وظلم الآخرين ولذلك ثار على الإنسان المطبوع على الخداع و النفاق في نظره:

إذا ما الناس جربهم لبيب   فإني قد أكلتهم وذاقـا

فلم أر ودهم إلا خداعـا   و لم أر دينهم إلا نفاقا[5]

---

1 - عزام، عبد الوهاب: ذكرى أبي الطيب، مطبعة الجزيرة، بغداد 1936 ص 317

2- المعري، أبو العلاء: لزوم ما لا يلزم . (ج 1)، تصحيح و تفسير أمـين عبـد العزيـز، مطبعـة الجمالية بمصر، ص 259

3 - المعري: لزوم ما لا يلزم (ج 2) ص 28

4 - المتنبي: الديوان ص 261

5 - المرجع نفسه : ص 292

ويلتقي أبو العلاء المعري مع المتنبي في هذه النظرة إلى النفس البشرية حيث يرى أن الشر غريزة في الإنسان وأن هناك صراعا بين الطبع والعقل فالطبع يدفع إلى الشر والعقل يدعو إلى الخير، ولكن النفس أمارة بالسوء مؤثره للغريزة فتغلب الطبع على العقل وانتشر الشر[1] .

ولكي يضع المعري حدا للشر الذي يعم الأرض دعا إلى إيقاف التزاوج لينقرض الجنس البشري وتنتهي شروره، وهكذا نادى الشاعر بالموت كنهاية لمتاعب الحياة وخلاص من الدنس الدنيوي.

والأرض ليس بمرجو طهارتها   إلا إذا زال من آفاقها الإنس[2]

ولذلك نجده يرحب بالموت ويتمناه، وهو الذي يرى أنه لا قيمة لأي شيء في هذه الحياة.

غير مجد في ملتي واعتقادي   نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعي إذا قيس   بصوت البشير في كل ناد[3]

ومع كل هذا فإن المعري قد عجز عن معرفة مصير النفس الإنسانية. وظل يساوره الشك ولم يخرج بنتيجة يستريح إليها:

أما الجسوم فللتراب مآلها   و عييت بالأرواح أنّى تسلك[4]

وإذا كان العقل البشري عجز عن معرفة الحقيقة التي يبحث عنها في تأمله فإن هناك من اتخذ القلب وسيلة إلى الاقتراب من الحياة وكشف أسرارها " إذ العقل لا يكفي لأنه يقدم – إذا قدم – إجابة مبرهنة لكنها تخلو من متعة التأمل والالتذاذ الكافي لبلوغ الطمأنينة المنشودة. أما سلطان القلب فإنه لا يقدم كذلك إجابات منطقية جاهزة يمكن الاطمئنان إلى صحتها المطلق، ولكنه يكتفي بإرادة الكشف المتجدد والتأويل

[1] - المعري: لزوم ما لا يلزم ج 2، ص 316

[2] - المعري: لزوم ما لا يلزم (ج2) ص 20

[3]- المعري: سقط الزند ، دار الصياد ، دار بيروت ، بيروت 1963 ص 7

[4] - المعري: لزوم ما لا يلزم (ج2) ص 131

والمعايشة الروحانية "[1]، وهذا ما نجده لدى الشعراء الصوفيين الذين لم يشكوا ولـم يترددوا، وإنما عرفوا طريقهم واستمروا فيه حتى أدركوا سر الحياة الذي هـو الله. وتنبع المعرفة الصوفية من الحب، ذلك الحب الذي يجعل المتصوف يفنى في الذات الإلهية حتى يصير جزءا منها أو يصير هو هي، هذا الحب الإلهي الذي جعله ينظر إلى كل شيء بعين الإجلال والتعظيم، وخير من يمثل الحب الإلهي ابـن الفـارض والحب عند ابن الفارض كان حسيا في بدايته قبل أن يرقى إلى صـورته المجـردة والمطلقة. ولم يصل إلى هذه النهاية إلا بعد انتصار على شهوة الجسد، لأن " الهيام بالجمال الإلهي لا يقع إلا بعد الهيام بالجمال الحسي ... والمحبـون فـي الأوديـة الحسية لا يتجهون إلى العوالم الروحية، إلا بعد أن تدلهم الـدنيا علـى أن الجمـال الإنساني كالظل يتحول ويزول "[2] .

لم يمنع الحب الإلهي ابن الفارض من الهيام بالمخلوقات الجميلة ؛لأنها انعكاس لجمال الله الذي يراه خلف المظاهر، فالله عند الصوفي " ليس كما يتصوره العامـة بعيدا عن البشر لا يتمكنون من الاتصال به مهما كابدوا من المشقّات بل هو متصل بالكون اتصالا وثيقا "[3]، فابن الفارض يرى جمال الله في كل مخلوق وهو إذ يهـيم بالجمال الحسي إنما يهيم بهذا الجمال الإلهي الذي تنعكس صورته على كل شيء .

قال لي: حسن كل شيء تجلى   بي تملى، فقلت قصدي وراكا

لي حبيب أراك فيـه معنّـى   غر غيري، وفيه معنى أراكا[4]

كما أن الحب الصوفي مرتبط بالموت، الذي هو بداية الحيـاة الحقيقيـة التـي يتمناها، و اللحظة السعيدة التي تصهره في وحدة الوجود. ومن هنـا استـسلم ابـن الفارض للموت وهو مغتبط بهذه النهاية .

---

[1] - عيسى، راشد: الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر، وزارة الثقافـة ،عمـان، 2006 ص 13

[2] - مبارك، زكي: التصوف الإسلامي (ج 1) مطبعة الرسالة ، مصر ط 1938،1 ص 292

[3] - غريب، ميشال: عمر بن الفارض، مطابع زحله، الفتاه الحديثة 1965، ص 51

[4] - ابن الفارض، عمر: الديوان، دار الصياد، دار بيروت، بيروت، 1957 ص 160

تتيح المنايا إذ تبيح لي المنى   و ذاك رخيص منيتي بمنيتي[1]

ومما تقدم يمكننا القول إن التأمل قد شمل الكثير من قضايا الحياة الإنـسانية فـي العصر الإسلامي وتطور تطورا ملحوظا في العصر العباسي، ولكنه لم يرق إلـى أن يشكل ظاهرة في هذا المجال، ولكن ما يمكن أن يشكل ظاهرة في هذا الباب هو الشعر الصوفي الذي شكل ما يشبه مدرسة لها أفكارها وطريقة تعبيرها .

أما في العصر الحديث فقد ارتد التأمل إلى الإنسان الـذي أثبـت قدرتـه فـي السيطرة على الطبيعة، بعد الثورة الصناعية في القرن السادس عشر بأوروبا، والذي فرض نفسه في مجالات الفكر الأخرى، من هنا "اكتشف الناس أن قدرات الإنسان لا حد لها، وأنه إذا أطلق له العنان حقق العجب، عند ذلك هبطوا بفكـرة الإلـه إلـى الأرض وأحلّوا فكرة الإنسان محله، وأصبح الإنسان مركز الكون ومحور الحياة "[2]؛ إذ اتجه الأدب إلى الإنسان يتأمل جوانبه المختلفة متعمقا في فهم نفـسيته وعلاقتـه بالمجتمع وعلاقته بالكون أجمع .

وقد انتقلت هذه الفلسفة من الغرب إلى الشرق في عصر النهضة إذ أخـذ العـرب يترجمون إلى لغتهم آداب الغرب وفلسفته ونظرياته، حيث تغيـرت نظـرة الـشاعر الحديث إلى الحياة إذ وجد فيها الجمال الذي يبهجه ويسعده والتجدد الذي يحفزه علـى التطور المستمر .

وقد ساعد على انتشار النزعة التأملية في الشعر العربي الحديث ، مفهـوم النقـاد للشعر ووظيفته، فالعقاد كناقد مثلا قد دعا إلى شعر التأمل؛ لأنه يـرى فيـه الـشعر الحقيقي الخالد . يقول العقاد في مقدمة ديوانه "بعد الأعاصير": "الحقيقة التي ينبغي أن نحضرها في أذهاننا هي أن الأدب الرفيع لم يخل قط من عنصر التفكير، وأن الـشاهد على ذلك أدب الفحول بين الشعراء العالميين، ومنهم أمثال شكسبير وجيتـي والخيـام وأبو الطيب "[3] .

---

[1] - ابن الفارض: الديوان ص 35

[2] - إسماعيل، عز الدين : الفن والإنسان، دار القلم ، بيروت ط 1، 1974، ص 82

[3] - العقاد : مقدمة "بعد الأعاصير"دار المعارف،القاهرة 1950،ص ص 12،13

وقد حاول تطبيق ما نادى به فكتب شعرا في التأمل إلى جانب عبـد الـرحمن شكري وعبد القادر المازني. وكانت الدعوة إلى التأمل على أشـدها عنـد شـعراء المهجر من أمثال ميخائيل نعيمه، وجبران، وإيليا أبو ماضي، ونـسيب عريـضة، ورشيد أيوب وغيرهم، ممن جعلوا التأمل محورا لأدبهم حيث استطاعوا أن يقتربوا من الطبيعة التي يفضون إليها بمشاعرهم وأحاسيسهم فإذا هي روح تبادلهم الحديث والنجوى، وإذا هم يحاورنها و يستخلصون من ذلك تأملات فـي قـضايا المـوت والحياة. كما تأملوا النفس الإنسانية؛ لأنهم يرون فيها محور الحياة فكـل مـا هـو بالخارج امتداد لها، وما الأشياء إلا جزء من هذه النفس. فإذا تأمـل الـشاعر هـذه الأشياء تأمل ذاته فيها، وإذا تأمل ذاته رأى الأشياء فيها .[1]

فقد كانت النزعة التأملية لدى شعراء المهجر حصيلة عوامـل متـشابكة، مـن تجاربهم في الحياة ومطالعتهم للثقافة الغربية والعربية، وقراءتهم للكتـاب المقـدس، وما يتصل به من الفلسفات الشرقية، ومن ملاحظاتهم في الحياة، فكل هذه العوامـل متشابكة شكلت المنحى الفكري لشعراء المهجر، والذي على أساسه قامت نـزعتهم التأملية.[2] ونشير في هذا المجال إلى قصيدة إيليا أبو ماضي "الطلاسم" التي تمثل قمة الشعر التأملي الفلسفي، الذي يستند إلى رؤية للحياة وتصور حقيقة وجود الإنـسان، وعدم جدوى تساؤلاته التي ينهيها بـ "لست أدري"، فالذي يقرأ تلك القـصيدة يجـد الشاعر يستهلها بالتساؤل الحائر عن مصدره، وعن سر وجوده في الحياة، وكيـف وجد ولماذا يموت، أهو قديم أم حديث وأهو مسير أم مخير، ما هو الفكـر، وكيـف تدب الأماني في القلب وإلى أين تذهب الأحلام، يقول أبو ماضي [3]:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت
وسأبقى ماشيا إن شئت هذا أم أبيت

---

[1] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 66

[2] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 60

[3] - أبو ماضي، إيليا : الديوان، دار العودة، بيروت، ص 191

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟
لست أدري

فالشعر التأملي عند شعراء المهجر يخاطب الفكر والعاطفة معا، فهو يثير أفكارا وتساؤلات كما يثير مشاعر متنوعة بتنوع تلك الأفكار والتساؤلات، ومـن خـلال نظرة عابرة إلى بعض دواوينهم تكشف لنا نوعية الموضـوعات المطروقـة فـي شعرهم، فديوان " همس الجفون " لميخائيل نعيمة يدور حول نفسه ويظهر ميله إلى الزهد والصوفية، وقد جاء ديوانه همسا بينه وبين نفسه يتناول ما يضطرب فيها من نوازع الخير والشر، وذلك الصراع بين العقل والقلب، والجسد والروح وقد اشتملت هذه التأملات الشعرية على أفكار فلسفية. وإذا انتقلنا إلى أشعار جبران خليل جبران نجده كذلك روحانيا عازفا عن الماديات يغلب عليه الطابع الصوفي وخير مثال على ذلك قصيدته الطويلة " المواكب " التي لخص فيها تجاربه وفلسفته في الحياة، حيـث تناول شعره النفس وعلاقتها بالطبيعة والمجتمع، وما اتصل بها من مشاعر مختلفـة كالحب والكره، والعدل والظلم والحياة والموت،يقول جبران في قصيدة " المواكب"[1]:

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا   والشر في الناس لا يفنى وإن قبروا
وأكثـر النـاس آلات تحـركـهـا   أصـابع الدهـر يومـا ثم تنـكسر
فـلا تقولـن هـذا عـالـم عـلم   ولا تقـولـن ذاك السيـد الـوقـر

ويتجه جبران للغاب ليجد فيه مبتغاه وهو العالم المثالي الذي تنتفـي فيـه كـل الثنائيات،وتذوب فيه كل المتناقضات، فلا راع ولا رعية ولا سيد ولا مسود، يقول[2]:

ليس في الغابات راع   لا ولا فيها القطيـع
فالشتا يمشي ولكـن   لا يجاريه الربيـع
خلق الناس عبيـدا   للذي يأبـى الخضوع
فإذا ما هب يومـا   سائرا سار الجميـع

إن حياة الناس تقوم على الثنائية: الخير والشر، الحب والكره، العـدل والظلـم، الفرح والحزن ولكن جبران يريد حياة مثالية، وهي حياة الغاب التـي تكمـن فيهـا

---

[1] - جبران، جبران خليل: المواكب، مؤسسة نوفل، بيروت، ط2، 1985 ، ص 23
[2] - المرجع نفسه، ص 23

السعادة الحقيقية. ويستمر الشاعر في تأملاته حيث يقارن بين حياة الغاب التي ينشدها، وحياته التي يعيشها، فيتحدث عن الموت والفناء والحياة التي يراها كالحلم ويتأمل في الإنسان ويبين حالة الصراع التي يعيشها وهو يركض بحثا عن السعادة.

ونجد هذه التأملات عند نسيب عريضة صاحب ديوان " الأرواح الحائرة " إذ جاء معظم شعره تأملا في النفس والصراع القائم بين العقل والقلب، والروح والجسد، ورحلته النفسية بحثا عن الحقيقة كما في قصيدته المشهورة " على طريق إرم "، وقد غلب عليه الميل إلى الزهد والصوفية [1].

وأما في الشعر الأردني فقد برز الاتجاه التأملي جليا عند بعض الشعراء الذين تأثروا بالمدارس الأدبية المختلفة، مثل عرار، وعيسى الناعوري، وحسني فريز، ومحمود فضيل التل، وخالد محادين، وحيدر محمود، وعبد الرحيم عمر، ومحمود الشلبي وعبد المنعم الرفاعي، وتيسير السبول وغيرهم. فقد وجدوا في الطبيعة مجالا رحبا للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم، كما تأملوا النفس الإنسانية وخلق الإنسان وتأملوا في الحياة والموت، وكثيرا ما كانوا يربطون بين ذلك ومظاهر الطبيعة المختلفة.

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا مدى الخطوات التي قطعها التأمل في الشعر العربي بصورة عامة. فقد تطور من حكم متناثرة في ثنايا القصائد إلى قصائد مستقلة في التأمل. وتغيرت النظرة الجزئية إلى الأشياء إلى نظرة أكثر شمولية .

وانتقل اهتمام الشعر التأملي من الجماعة كما هي الحال في الجاهلية، إلى القوة الإلهية عند الصوفية، ثم إلى الإنسان في الشعر الحديث. هكذا كان يختلف التأمل من عصر إلى آخر، تبعا للحياة الاجتماعية، والثقافية والسياسية .

---

[1] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ، ص ص 72- 74

الفصل الأول

التأمل في الطبيعة

مدخل

الشعر التأملي مرتبط بمشكلة تحقيق الذات، والبحث عن الخلود، ومنذ تساءل الفلاسفة والمصلحون عن سر الحياة كان الخلود ضآلة الإنسان المتأمل، الذي نحت في الصخر كلمات لتبقى، ورأى في الشعر بقاء وخلودا، فالشعر يحمل شيئا من القيم والرؤيا المباركة بين الأرض والسماء، ويشحن بالقلق وإرهاف الحس، والقدرة على اجتياز المتاهات بحثا عن اليقين[1].

اختلفت رؤية الشعراء الأردنيين إلى الطبيعة الأردنية، فمنهم من وصف سمات الأردن الخارجية بألفاظ وتشابيه واستعارات، وبعضهم بحث في الطبيعة الصامتة، والسمات الخاصة من أشجار الزيتون والسنديان إلى حياة القرية والريف والتعلق بالوطن، ووصف الربيع والصيف، إلى التغني بالمكان والمدن الأردنية، والوديان والغور ووصف الثلج[2].

فقد مجد الشعراء الطبيعة ومظاهرها المختلفة وامتلأ شعرهم بالحنين والألم والنفور من حياة المدينة، حيث وجد الشعراء في الطبيعة العالم المثالي الذي يحلمون به، ويأملون أن يتحقق في مجتمعاتهم، وهذا ناتج عن تأثرهم بالمد الرومانسي وبمدرسة الخيام ونظرات الصوفيين وشعر المهجريين [3].

كما اتجه الشعراء الأردنيون إلى القيم الإنسانية وإلى الإنسان، فظهرت في الشعر الأردني بعض القيم الإنسانية، مثل قيمة الحرية في الوطن، ونبذ الظلم ورفض الزيف، وسطحية النظر إلى الأشياء، والتعاطف مع النكبات الإنسانية مع

---

[1] - عطيات، محمد: الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها(1921-1967) ، لجنة تاريخ الأردن، عمان ،ط1، 1999م ، ص 454

[2] - المرجع نفسه: ص 116

[3] - المرجع نفسه: ص 408

الشعوب الأخرى ضد الكوارث والحروب الظالمة للشعوب، والتسامح الديني ووحدة الأديان [1].

إن بذور الحس الإنساني وحب الحكمة، ومحاولة البحث للوصول إلى المعرفـة اليقينية قد شغلت بعض الشعراء الأردنيين، ومالوا إلى تقـصي الحقيقـة والخيـر والسعادة، من كل اتجاه إنساني في شعرهم [2].

كما انطلق شعراء الأردن من خلال الرثاء إلى قصائد تأملية في الحياة والموت، لينتقلوا إلى مشكلة تؤرق البشر عامة وتقض مضاجعهم وهي الموت، فنظروا للموت نظرة فلسفية تأملية، وبينوا موقف الإنسان من الموت والحياة، فتساءلوا عـن سـر الموت، وما هي الطرق لمواجهته ؟ [3]. كما تأملوا الحياة من زوايا مختلفة فمنهم من كان يقبل عليها، ويرغب فيها، ومنهم من نظر إليها نظرة احتقار ورأى أنها زائلة .

التأمل في الطبيعة

كان الشاعر العربي القديم يتأمل في الطبيعة تأملا حسيا في أغلـب الأحيـان، وكان نتيجة ذلك أن نقل إلينا الطبيعة كما هي كأنه مصور فوتغرافي. لقـد اكتفـى بشكلها الخارجي دون أن يتغلغل في أعماقها أو يضفي عليها من مشاعره وأفكـاره، والسبب في ذلك أنه كان يعتمد حواسه في تأمله للطبيعة لذلك لم يتجاوز الظاهر إلى الباطن. ومن شأن الحواس أن لا تدرك الطبيعة في وحدتها وشمولها إنمـا تـدرك أجزاء منها، ومن هنا أصبحت الطبيعة في الشعر العربي القديم منـاظر ومـشاهد مبعثره لكل منها استقلاله الخاص[4].

وكان للشعراء الرومانتيكيين في الشعر العربي الحديث في هذا المجال جـولات واسعة، فقد عاشوا في الطبيعة وجعلوها الملاذ الأول ووحي الضمير، بل خلقوا منها ذواتا حية وكائنات يناجونها فتواسيهم وتخاص لهم الود والوصال، ومن هنا شـغلت

[1] - عطيات: الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها(1921-1967)، ص 413

[2] - المرجع نفسه: ص 421

[3] - المرجع نفسه: ص408

[4]- داود، أنس: الطبيعة في شعر المهجر، القاهرة ، د.ت، ص 11.

الطبيعة نصيبا أكبر في شعرهم وجعلت لهم هذا الكيان المتميز في حركة التجديد في الشعر المعاصر خلال قرن كامل عرف من المذاهب والـرؤى والمنـازع وألـوان التطور ما لم يشهده عصر من عصور الشعر العربي من قبل. وكان للطبيعة علـى هذه النخبة المنتقاة من الشعراء فضل عظيم[1].

وكان الشاعر الرومانتيكي غريبا في عصره، فكان منهم العصبي سريع التأثر، وكان منهم صاحب العقل المتزن الورع، ولم يكن الرومانتيكي ذلك الإنسان المـرح المتفائل؛ لأنه كان يعيش فريسة ألم حاد بسبب الهوة بينه وبين المجتمع. هذا المجتمع الذي لا يقدر فيه نبل الأحاسيس وصدق المشاعر؛ لذلك عـزم الرومـانتيكي علـى استبدال وطنه بوطن آخر يجد فيه الأمن والهدوء، ويـنعم بـين هياكلـه بالمتعـة اللامتناهية. وهم ينشدون الخلود بين أحضان الطبيعة؛ لأن النفس الكبيرة كما يقـول شاتو بريان: " تحوي من الآلام أكثر من النفس الصغيرة وإذا كانت السعادة بعيـدة المنال فإن النفس الرومانتيكية طموحة جدا، تجد اللذة حتى في آلامهـا لاسـيما إذا عانقت هذه النفس الطبيعة الخالدة فوجدت فيها الأنس والمتعة والنشوة التـي يعبـر عنها بالدموع، والإحساس الصادق"[2] .

وهذا ما نجده في الشعر العربي الحديث حيث اكتسب تأمل الطبيعة بعدا جديـدا هو البعد الروحي،ونحن نجد هذه الميزة تتجلى أكثر ما تتجلى في الشعر المهجـري بصورة خاصة، وهذا يعود إلى أن الشاعر بدأ يقترب من الطبيعـة ويـسعى إلـى الامتزاج بها وهؤلاء الشعراء يعالجون قضايا كونية من خلال الطبيعة، فهي المجال الذي ينطلقون منه إلى ما يشغل خواطرهم من مشاكل وما يعتلج في داخلهـم مـن مشاعر وأفكار.

---

[1] -عوين، أحمد : الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحديث، دار الوفـاء لـدنيا الطباعـة والنشر، الإسكندرية ، ط 1، 2001 . ص 5

[2] - غربي، فاطمة الزهراء: الإنسان والطبيعة في شعرية ابن خفاجة و الرومانسيين الفرنسيين (دراسة مقارنة) دار المتنبي ، اربد، ط 1 2002 ص 92-93

لقد كانت الطبيعة تمثل المدرسة التي تتلمذ عليها شعراء الأردن، وأخذوا عنها الجمال والحب والفضيلة، وقد استطاعت الطبيعة أن تغير نظرتهم إلى الحياة، كما دفعتهم إلى إعادة النظر في القيم الاجتماعية .

لقد أثر شعراء المهجر في كثير من شعراء الوطن العربي ومن ضمنهم الشعراء الأردنيون ويظهر هذا التأثير جليا واضحا عند كثير من شعراء الأردن نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر عيسى الناعوري، وحسني فريز، وعرار؛ إذ نجد النزعة الرومانسية والتأملية جلية في أشعارهم، فالناعوري مثلا ألف العديد من الكتب عن مدرسة المهجر منها:" أدب المهجر"، و"إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث"، و" إلياس فرحات شاعر العروبة في المهجر"، وهذا إن دل على شي فإنما يدل على صلة الشاعر العميقة وتأثره بشعراء المهجر.

فالشاعر الذي يتوحد مع الطبيعة ويجعلها تشاركه همومه وآلامه، نجده أيضا يتألم لما يراه من قسوة الإنسان على الطبيعة، فهذا عيسى الناعوري يتقطع قلبه حزنا وألما حين يرى منظر زهرة ذابلة لا تجد من يعتني بها ويرعاها، أو حيوانا مقتولا أو حشرة تدوسها الأقدام، يقول في قصيدته (أود أن أرى)[1]:

يحزن قلبي أن أرى   برعم زهر يذبل

أو حيوانا يقتل

أو حشرة تدوسها الأقدام

لكنما يبهجني   أن تضحك الزهور

وتنثر العبير

وتزهو الحياة بالشباب

إن هذه المشاعر الجياشة قلما نجدها عند الإنسان العادي؛لأنه لا ينظر إلى الأشياء بإحساس عميق أو شعور بالتوحد مع الطبيعة كما هو الحال عند الشاعر أو الفنان، ونجد الشاعر أيضا يشارك الزهور بهجتها وسرورها، فهو يبتهج لبهجتها وهو يراها تنثر عبيرها وتزهو بالحياة .

---

[1] - الناعوري: أخي الإنسان ص 24

ويرى عيسى الناعوري في قصيدة بعنوان (قريتي في الربيع) أن الربيـع هـو بهجة الحياة وهو الذي يشيع فيها الحب ويستثير فيها الخيال، كما أن الشاعر يتـألق في رسم صورة رائعة لفصل الربيع الذي تبتهج بقدومه النفوس، فهو يزيـل الهـم والحزن من نفوس البشر يقول [1]:

مبدع الحسن والربيع !حنانا !

لا تدع للربيع يوما زوالا !

إنه بهجة الحياة يشيع الحب

فيها، ويستثير الخيالا

إنه بسمة على كل ثغرٍ

تجعل الخلق بالجمال ثمالى

كل نفس تنوء بالحزن والهم

يزيل الربيع عنها الكلالا

في بهاء الربيع يبصرك الناس

جميعا، فيعبدون الكمالا

إنه يدعو إلى المحبة الخالصة اقتداء بالطبيعة؛ لأنها أساس للتـضامن الاجتمـاعي والحياة الفضلى، فهو يرى فصل الربيع فصلا جديدا من الزمان تتجدد معه الحياة .

ونجد أنفاس الطبيعة الرقيقة الناعمة تفوح في قصائد الشاعر عبد المنعم الرفاعي ففي قصيدة بعنوان " الزهرة الذابلة "، يتأمل الشاعر الطبيعة ويجعل الزهرة الذابلـة تمثيلا لحال الأمة العربية التي تقع تحت نير الاحتلال، يقول [2]:

قد طلع الصبح فأين الشـذى | وفيك حلم يرجـو الصبـاح
ورونق الحسن خبا سـحـره | وأسدل الليل عليـه الوشـاح

---

[1] - الناعوري : أخي الإنسان ص ص 35-36

[2] - الرفاعي، عبد المنعم: شعر عبد المنعم الرفاعي، جمع وتحقيق إبراهيم الكوفحي، الـشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمان،ط 1، 2003، ص 49

وأُذبل الورد علـى عـوده ومال مفتـر وأغفى أقـاح

وقد جفاك النور يا زهـرتـي وعاقرت جنبيك هوج الريـاح

وجئت لا ألمـح فيـك السنـا ولا أغني فيك رجع الصـداح

ولا أرى طيفـك بيـن الرؤى في ذروة المجد وأفق الطمـاح

مواكب الزهر مشت في الربى وزهرتي في حوضها المستباح

لا النور في أرجائهـا طافـح ولا الغدير الثر عذب قـراح

أسقيتها من أدمعـي فانتشـت وهز عطفيها الندى و المِـراح

حتى إذا جن عليهـا النـوى أغفت على تلك الليالي المـلاح

تذكـر المجـد فلا تلتقـي إلا بأحكـام القضـاء المتـاح

فأنثني أمسـح مـن دمعهـا وأغتدي ألثم منهـا الجـراح

يا دار هل بعد الكرى يقظـة تلقي على ساحك غض الصباح؟!

فالشاعر في هذه القصيدة يناجي الزهرة، ويسأل عن حالها؛ لأنه لـم يعـد يـشم رائحتها الزكية،ولم يعد يرى سحرها؛ لأن الليل قد سرق هذا السحر وتلك الرائحـة، ولعل الشاعر يقصد بالليل الاستعمار الذي كان مسيطرا على البلاد العربية، وأفقدها حريتها وسلب منها مجدها العريق هذا الاستعمار الذي تـسبب بـالخراب والـدمار للأمة، فقدوم الليل جعل الزهرة عرضة للموت والاندثار وأصبحت في مهب الريح، ولم تعد كباقي الزهور متفتحة، وهذا شبيه بحال الأمة العربية حيث إن جميع الأمـم تقدمت في حين بقيت على حالها، بعد أن كانت في الماضي تتربع على عرش المجد في شتى المجالات، ويبقى الشاعر يكفكف دموع الزهرة ويداوي جراحهـا، ولكنـه يختم قصيدته بسؤال إلى متى ستبقى الأمة على هذه الحال المحزنة ؟.

ومن مظاهر التأمل في الطبيعة التأمل في فصل الربيع الذي يمثل رمزا للخصب والنماء، وبعث الفرح والسرور في نفوس البشر، ففي قصيدة للملـك عبـد الله بـن الحسين يتأمل الربيع، ويعبر عن مشاعر الفرح والسرور بقدومه، يقول [1]:

---

[1] - ابن الحسين، الملك عبد الله: خواطر النسيم، جمع وتحقيق خاف إبـراهيم النوافلـة، وزارة الثقافة، عمان ط1 ،2007 ص ص83-84

وأيام الربيع هي ربيـــع فلا وجل لدي ولا صـــراع
وإذا النيروز أقبل قلت :أهلا لمـا يشرى بـه وبما يبـاع
هدايا عيده عرفت قديمــا لنور الشمس ضحوته شعـاع
به النسرين يضحك في نداه بموجات النسيم لـه ارتفـاع
تغنى طائـر في كل غصن وكم يحلو لدى الطير السمـاع
لعندلة بـه ترجيع صـوت لقلب العاشقين به انصـــداع
فهذا الفصـل كل فصـــل فلا ميـن لـدي ولا نـــزاع

إن فصل الربيع يشكل عيدا تحتفل به الكائنات جميعا، لما فيه من فرح وسرور وطمأنينة للنفس، فالناس يحتفلون بقدومه والطيور تغرد والشمس تنشر نورها ساطعا دافئا. ويعود الشاعر عيسى الناعوري فيتأمل عودة الربيع في قصيدة أخرى بعنوان (عودة الربيع) حيث تتجدد معه الحياة، وتنمو الكائنات وتزهر به الرياحين، و تغرد فيه الطيور، وتسعد معه النفوس، فهو ابتسام وابتهاج وعيد جديد للحياة، يقول[1]:

عاد الربيع الحلو يضحك للربى ويرش في الدنيا شذا أزهـاره
فأعاد للطير الصداح وصب في سمع الأزاهر وشوشات هزاره
والدوح ألبسه الشباب فأينعـت أغصانه، وافتر عن نـــواره
وإلى الفَراش أعاد حلو رفيفـه فشكت خدود الزهر لاستهتاره

وعلى الرغم من البهجة والسرور بمقدم الربيع، إلا أن هذا الربيع يؤرق الشاعر ويظهر عنده الحزن والأسى على حال أمته العربية، فهو يتمنى أن يعود لها ربيعها كما عاد الربيع للطبيعة فبث فيها الحياة والفرح والسرور يقول[2] :

فمتى يعود ربيع قومي للحمـى في المونق النشوان من أياره ؟
والسامر المهجور يحتضن الألى أقصتهم الأيـام من سمـاره

وقد اتخذ الشاعر الأردني من الطبيعة خليلا وصاحبا يناجيـه ويبثـه أشـواقه وحنينه، آلامه وآماله، فحسني فريز في قصيدته (السنديانة العجوز) نجده يتوحد مع

[1] - الناعوري : أناشيدي ص 47
[2] - المرجع نفسه.

هذه السنديانة ويجلس إليها ويبثها آلامه وأحزانه، فهو يعيش وحيدا كما هي حال هذه الشجرة التي كانت وارفة الظلال، ولكنها الآن وحيدة لا أنيس لها يقول[1] :

في سكون الدجى سكنت إليها عندما أجاب الزمـان عليـ ـا
هي في وحشة التوحد مثلـي غير أني قضيت عمري شجيا

فهذه الشجرة قد توالت عليها العصور، وكتمت الكثير من الأسرار، وتلاقى عنـدها الأحبة، يبثونها شكواهم ونجواهم .

تركت عند ردنها كـل سـر كان عن أعين الأنام خفيـ ـا
كم فتاة أرق من وجنة الفجر وأحلى من باسم الورد ريـا
تشتهي أن ترى حبيب مناها أو ترى طيفه الخفيف الرضيا
وفتى ناضر الشباب أتاهـا ليري الغانيات غصنا نديـ ـ ـا
يحمل الشوق والتباريح ممن خلّفـتـه معـذبـ ـا منسيـا

وهذه الشجرة (السنديانة) ذات قلب كبير، فهي لا تبخل بحبها وعطفها على أحد ولا تحتضن المحبين فقط، بل إنها أيضا تصبح ملاذا لكل طريد سواء أكان عاشقا أم شجاعا أم أديبا أم عبقريا، وهذا ما ينشده الشاعر من هذه الحيـاة، وهـي المحبـة والعطف والمساواة بين الجميع، وهو يريد أن يؤكـد المحبـة الخالـصة والعطـاء الصرف لدى الطبيعة؛ لأنها تسبغ على الأحياء من نعمائها بغيـر حـساب دون أن تنتظر جزاء أو شكورا .

وطريد في ليلة تنفث الموت وتزجى الأنواء فيها الدويا
خبأته في قلبها عن أعاديـه وأبدت لـه حنانـا سخيـا
إنه كان عاشقا أو شجاعـ ـا أو أديبـا موفقـا عبقريـا[2]

وينتقل الشاعر ليسأل السنديانة عن حالها وهو من خلال ذلك إنما يريد أن يصل إلى الحقيقة المؤرقة لكل كائن حي، وهي أن مصيره الزوال مهما طال به العمر، وقـد وضع الشاعر الطبيعة مرآة أمام الإنسان ليقارن بينه وبينها، وكأنه يريد من ذلك أن يفطن الإنسان إلى نفسه فيغير فيها، ويقترب من القيم المثالية للطبيعة .

---

[1] - فريز: الأعمال الكاملة ص 77

[2] - المرجع نفسه، ص 77

قلت يا دوحة المنى أنبئيني عبث الدهر قاسيا ورخيا
أين جاراتك الحسان وأين المؤنس الذي يسر النجيا
كيف غالت يد المنون لدات كن أنسا وكن نورا بهيا[1]

لقد جعل حسني فريز السنديانة زاهدة في الحياة تعطي ولا تأخذ، وآية يتأملهـا ويتخذها مثالا في حياته، وهو يريد أن يشير إلى الخير الموجود في نفسه من خلال إشارته إلى عطاء السنديانة الذي لا ينقطع .

قالت اسمع فليس في العيش زهـر لم يفتح أكمامه في يديـ ـ ـا
قصتي في الحيـاة ليست عجـابا إنما حكمتي تروق الذكيـ ـا
كنـت كالنحـلة الدؤوب تراهـ ـا تكنز الشهد وهي تملي الرويا
كنت أشدو و أمـلأ السهـل ظـلا و حنانـا فيهرعـون إليـ ـا
ويـروون أضـلعـي بدمـ ـوع أو لحون تجدد العـزم فيـا[2]

ويلجأ حسني فريز إلى التعبير عن فكرة إنسانية من خلال الطبيعة، فهـو فـي قصيدته " السنديانة العجوز" إنما يقارن بين صورتين: الصورة الأولى تمثل الإنسان الخير المعطاء القنوع والذي تمثله السنديانة العجوز، أما الصورة الثانية فهي ترمـز إلى الإنسان الأناني الذي تقتله أنانيته في النهاية. فالإنسان الذي لا يرضى بما قسمه الله له ولا يحمد الله على نعمه، وليس عنده إيثار للآخرين ولا يحمل الحب في قلبـه سيكون مصيره الزوال وهذه الصورة تمثلها جارة السنديانة العجوز.

بينما جارتـي بغـض صباهـا تشتكي بؤسها العصيب الغويا
ثم تنسى في بؤسها نعمة العيش فتحكي الخلال شكلا وزيـا
فيجيء الحطاب يعمـل فيهـا فأسه الفاتك الشديد الفتيـ ـا [3]

وقد أتخذ الشعراء من تأملاتهم في الطبيعة ملاذا لهم ،ليعبـروا عـن غـربتهم وحنينهم إلى الأوطان وإلى الأهل، فالشاعر حيدر محمود يقف متأملا نهـر الأردن ويناجيه ويبث حنينه وأشواقه من خلاله، فنهر الأردن له مكانة خاصة فـي قلـوب

---

[1] - فريز : الأعمال الكاملة ص 77

[2] - المرجع نفسه.

[3] - المرجع نفسه.

الشعراء؛ لأنه يجري في البلاد التي بعث الله فيهـا أكثـر الأنبيـاء وهـي الأردن وفلسطين؛ ولذلك فقد أطلق الشاعر على هذا النهر " نهر الأنبيـاء " وهـو عنـوان قصيدته التي يتأمل فيها النهر، يقول [1]:

ينساب .. واسم الله حادي ركبه
يا طيب منبعه وطيب مصبه
نهر ..يموت الدهر ..وهو مخلد
لا ينثني عن سيره في دربه
فيه جلال الأنبياء .. وبوحه
الأزلي ..آيات لقدرة ربه
يسقي الثرى الصادي فيستعلي على
كل الجنان ..بسحره و بخصبه
لكأنه ..لما يوشوش ماؤُه
حباتِهِ..صب يبوح بحبه ..

فالشاعر يقف متأملا نهر الأردن الذي يتميز بقدسية خاصة ونجده يضفي عليـه صفة الخلود، حيث إنه هبة من الله للطبيعة وماؤه يحول الأرض العطشى إلى جنان خصبه، ويصور الشاعر نهر الأردن عندما يروي ذرات التراب بالعاشق المتيم الذي يلتقي بمحبوبته، ويسجل النهر تاريخ أمجاد العرب وبطولاتهم فهـو رمـز للوحـدة العربية، يقول [2] :

يا نهر .. يا دفاق بالأمجاد
يا رمز وحدة أمتي وبلادي
لن تُستذلّ وفي العروق بقية

---

[1] - محمود، حيدر: الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، أمانة عمان الكبرى، عمان، ط1، 2001م، ص ص 185 - 186

[2] - المرجع نفسه، ص 189

من عزة الآباء والأجداد
تفديك يا نهر الخلود دماؤنا
وسواعد الأبناء .. والأحفاد

وها هو عيسى الناعوري في قصيدة بعنوان(على ضفة الأردن) ينـاجي نهـر الأردن ليعبر عن حبه لوطنه، وتعلق قلبه وروحه فيه، ويوجه إليـه أسـئلة حـول إمكانية عودته لوطنه؛ لأن هذه العودة تبل روحه المتعطشة لرؤيـة وطنـه الـذي يتحرق شوقا للعودة إليه، وتكفكف آلامه الدامية يقول[1] :

أيا نهر روحي عليـك تحـوم مع الطيـر في غربتـي الباكية
عشقت ضفافك منـذ الصبـا وأحببـت أمواهـك الجاريـة
أيا نهر هل عـودة للغريـب إلى عـش آمالـه الهانيـة ؟
أيا نهر هل عودة للغـريـب تبلّ صدى روحه الظاميـة ؟
أيا نهر هل عـودة للغريـب تكـفـكـف آلامـه الداميه
أيا نهر كـم من سؤال تردده روحـي الشاكيـة
لقـد قـدر الله لـي غربـة صليت بنيرانها اللاظيـة
تطـول ولكن على طولـها يكون عذابـي وآلامـيـه

فالشاعر يبث مشاعر الحنين للوطن من خلال مناجاته لنهر الأردن الذي يمثـل رمزا للوطن الحبيب الذي يحن إليه الشاعر. وها هو أيضا في قصيدة أخرى بعنوان (مع الحمام) يشعر بالشوق والحنين إلى أهله ووطنه، وهذا الحنين يشعره بالحزن والكآبة، ولكنه عندما يقف بين الحمام فإنه يستعيد الابتسامة ويشعر بالفرح والسرور، يقول[2]:

وهنا ببولونيا الجميلة أستعيد الابتسـام
بين الحمام. وما أحب إلي أسراب الحمـام
رمز السلام على يدي توحي لروحي بالسلام

---

[1] - الناعوري: همسات الشلال ص 10_ 11
[2] - الناعوري: أخي الانسان ص 52

إنه يبدأ بعد ذلك الشعور بالأنس والمحبة المتبادلة بين الشاعر والحمام، وهي لا تشعر بالخوف منه؛ لأنه لا يضمر لها أي شر، بل أخذت تتودد له بصوتها العـذب، وترحب به، يقول[1]:

أنست إلي كمـا أنسـت   لها، وطاب لها المقـ ـ ـام
وتزاحمت أخواتـ ـ ـها   وتوددت لـ ـي بالبـغـام
فكأنمـا كانت ترحـب   بي وتهدينـ ـي السـ ـ ـلام

ولكن هذا الأمر زاد أحساس شاعرنا بالشوق والحنين إلى أهله وأطفاله ووطنه، إذ يطلب منها أن تعيره أجنحتها؛ ليعود إلى وطنه وأهله ويبقى بينهم، يقول[2] :

مرآك يـا رمـ ز البـ راءة   زاد في شوقي اشتدادا
جعل الحنين لقلبي النائـي   عن الأحبـ ـاب زادا
فأنا أحب كما تحـ ـبيـ ن   التـآلف و الـ ـودادا
وأود أن ألقى أحبـ ـائـي   وإخـواني البعـ ـادا
هاتي أعيريني الجنـ ـاح   لكي يبلغني المـ ـرادا
فأطير نحو أحبـ ـتـ ـي   ألقاهمو وأرى البـلادا
ويعود سربي مثل سربك   لا افتراق ولا ابتعـادا

ومن أهم القيم التي كان يتوق إليها الشعراء هي الصدق والإخلاص،والابتعاد عن الزيف والرياء، والتخلص من المجتمع المادي الذي يقوم الإنسان فيه بما يملكـه من مال وعقار لا بما يملكه من أخلاق وقيم .

يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (جداول الصحراء) [3]:

جميلة
بديعة
أيتها الصحراء
ريانة بسراب حلمك

[1] - الناعوري : أخي الانسان ص 53
[2] - المرجع نفسه: ص 53 __ 54
[3]- التل، محمود فضيل : آخر الكلمات ص 66 – 67

حيـــــــة
فيـــــــاضة
حتى بدون ماء
ألقاك في صور الألى
في غاية الصفاء والنقاء
أيتها الصحراء !!
يا ليتني أزرع في رمالك
وأنتمي لغرائب الأشتال في وديانك
كغرائب الأفكار في حرارة الصحراء
وأراك رغم ما بنا
غنية بالحب والخيال والأسماء.

وهذا عرار أيضا يربط بين حنينه للوطن والطبيعة، التي يـرى فيهـا المكـان الأمومي متمثلا في الأرض الأم الكبرى للخليقة، وبكل ما يحمله هذا المكان الطبيعي من مفردات الماء، والشجر والنبات والأزهار والثمار بوصفها ألعاب الطفل الأولى، ومع نفور واضح من المكان الذكوري، متمثلا في المدينـة وعلاقاتهـا التناحريـة، السياسية الاجتماعية والاقتصادية على حد قول أحمد المصلح [1].

يقول عرار في قصيدة بعنوان (بين الخرابيش)[2]:

يا بنت وادي الشتا هشت خمائلـه   لعارض هلّ من وسمي مـبدار
(وثغرة الزعتري) افتر مبسمـها   عن لون خدك إذ تغزوه أنظاري
وسهل إربد قد جاشت غواربـــه   بكلّ أخّاذ من عشـب ونـوار
إن الشماليخ في حصن(الصريح) لقد   حالت إلى عسل يا بنت فاشتاري

---

[1]-الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي: أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس ص 79

[2] - التل مصطفى وهبي: عشيات وادي اليابس، جمع و تحقيق زياد الزعبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2 ، 1998م، ص 265

فعشق عرار للأرض والطبيعة الأردنية باق إلى الأبد، إنه يربط الوطن بالطبيعة كما يربط الوطن بالمحبوبة ويتغنى بطبيعته، يقول في قصيدة بعنوان(يا مي)[1]:

يا مي (جلعاد) الأشم كعهده	ما زال يربض جاثما بمـ ـكانه
و(الغور) ما انفكت غدائر نبته	وزهوره تحنو على غدرانـ ـ ـه
وسماء إربد ما يزال سحابـها	يسقي سهول (الحصن) من هتانه
يا مي ما برحت حمائم سدرنا	تشدو مصفقة على أغصـ ـ ـانه
فتعهدي قلبي بحبك واسمـعي	ما شئت من شدوي ومن ألحانـه

فالحنين والشوق إلى الوطن يبثه لنا الشاعر من خلال التأمل والتـذكر لهـذه الطبيعة، وهنا نجد أن الطبيعة عند عرار ترمز إلى الملكـوت الروحـي والاتـزان النفسي كما هو حال الغاب عند جبران خليل جبـران، فعـرار وجـد فـي الأرض والطبيعة المكان الأمومي الذي عوضه عن عاطفة الأمومة كما أشرنا سابقا.

ويمكننا أن نلمس من خلال هذا التأمل والتساؤل ظاهرة القلق الوجـودي عنـد الشاعر، فهو طالما عانى من هذه الحياة التي تنتهي بالموت والزوال والتساؤل؛لذلك يقابل التل بين الحبيبة والطبيعة، بما فيها من جمال وتكوين جـاعلا مـن مظـاهر الطبيعة مدخلا لتوضيح نفسه للحبيبة، مراعاة للآداب الاجتماعية والأسلوب اللائـق في حديثه إليها فمحمود التل اتصف بالمحافظة والابتعاد عن الغزل الفـاحش،يقول محمود التل [2]:

أحب فيك حلو المنبت مثل زهر الأقحوان
أحبك مثل نور الشمس مثل شقائق النعمان
أحبك مثل شوق الورد للأنسام مثل ضلالة الطوفان
أحبك مثل كل الزهر في ربيع العمر في عمر الزمان
أحبك حبي للطبيعة صافيا

ولم يقتصر تأمل شعراء الأردن للطبيعة على الأشجار والأنهار والجبـال، بـل تأملوا ما فيها من مظاهر كونية كغروب الشمس، وسقوط الأمطـار والثلـوج ومـا

---

[1] - التل مصطفى وهبي: عشيات وادي اليابس، ص 435

[2] - التل محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب، ص 69

توحيه هذه المظاهر في نفوسهم وتحركه لديهم من مشاعر، فهذا عيسى النـاعوري في قصيدة بعنوان (ظواهر الغروب) يتأمل غروب الشمس يقول [1]:

ذلك القرص الذي يبدو كشعلة
تتلاظـ ـ ـ ـ ـ ـى
شق في الغيم على الآفاق رمسه
ومضى يهبط فيه
يتدلى في سكون وهدوء
خلف ماء البحر في الأفق البعيد

ويثير هذا الغروب في نفس الشاعر الأسى والحزن، لأنه لم يعد هناك ضياء وقد جاء الظلام ليغلف الأرض، ويدفعه هذا الشعور إلى ربطه بحياة الإنسان الذي يمـر في مراحل متعددة من حياته، ومن ثم ينتهي به المطاف إلى الزوال، وكذلك الحيـاة الدنيا تسير لحظة لحظة إلى أن تنتهي يقول[2] :

هكذا تمضي الحياة
لحظة في أثر لحظة
في سكون وانطفاء
ثم لا شيء سوى الصمت العميق
والظلام المدلهم
والسكون الساحب الذيل
على وجه الحياة

وها نحن نرى الثلج المتساقط على الأرض، الذي يغطي خيام اللاجئـين بلونـه الأبيض الناصع يبعث الأمل في نفس الشاعر، بأن النصر على الأعـداء قريـب، يقول عيسى الناعوري في قصيدة بعنوان(خيمة اللاجئ) [3]:

الثلج هذا الأبيض الناعم

[1] - الناعوري: أناشيد أخرى ، ص 15
[2] - المرجع نفسه، ص 17
[3] - الناعوري: أناشيدي ص 53

مثل قلوب اللاجئين الصغار
الثلج هذا أمل باسم
يوحي إلينا بالأماني الكبار
يوحي بيوم المجد والانتصار

وكذلك يبعث الثلج الفرح والسرور في نفس الإنسان عندما يراه ببياضه الناصع، الذي يدل على الصفاء والنقاء.

وقد جعل بعض الشعراء مظاهر الطبيعة تتوحد معهم وتشعر بما يشعرون بـه، فالشاعرة عائشة الخواجا تجسد لنا الشمس في قصيدة بعنوان(شـجن)، وتجعلهـا تبكي لحال البشر،تقول[1] :

هل رأيت الشمس تبكي باحتداد	ترسل الغيمات قطرا للعبـاد ؟
بللت أحزانها صخر الدهـ ـور	واستوت طلا على كل البـلاد
شفها الوجد علينا في الغـروب	حين همنا وسط غابات الجماد
لامست أهدابنا عند الأصيـ ـل	في حنان صار بحرا بامتـداد
حين غصت مهجتانا بالعـذاب	أمطرت زخات دمع باشتـ ـداد

فقد تحول المطر إلى دموع للشمس، وهذه الدموع هي رحمة للنـاس بعـد أن تحولت دنياهم إلى جماد، فالماء هو مصدر الحياة للكائنات جميعا، والشمس تـشعر مع الناس وتعرف حاجاتهم ولذلك فهي تتعاطف مع البشر .

ولم يقتصر شعراء الأردن في تناولهم لهذا الموضوع على التأمل بالطبيعة فقط، بل تجاوزوها إلى البيئة الصناعية، وكأنهم بذلك أرادوا أن يبينـوا شـقاء الإنـسان ومعاناة الفقير، والضعيف، واستبداد الأقوياء، وظلمهم وتسلطهم على غيرهم ،فهـذا حسني فريز في قصيدة بعنوان (آثار جرش)، وعلى الرغم من إعجابه بتلك الآثار الرائعة إلا أنها أثارت في نفسه الأسى والحزن على حال الفقراء والضعفاء الـذين بنوها بدمائهم وعرقهم يقول[2] :

[1] - الرازم عائشة الخواجا : الأعمال الشعرية الكاملة، دار الخواجا للدراسات والنشر، عمـان، ط1 ،1998م ، ص 87
[2]- فريز : الأعمال الكاملة ص 78

هذه آيـة الزمـ ـ ـان تـ ـ ـبدى   فتأمل في الآيـة الـغـ ـ ـراء
قف بها وقفة الجزوع عليـ ـ ـها   هي أحرى بالدمعة الحمـ ـراء
لا تسل من بنى ولا كيف أعلى ؟   إن تكن شامـ ـتا بأهل الفنـاء
لا تسلني إن كان خوفو بنـ ـاها   أو بناها اسكـ ـندر بـ ـدمـ ـاء
ليس خوفو وقيصر غير رمـ ـز   لسـ ـيـاط مريـعة نكـ ـراء
ألهبت كالحريق جلد المساكيـ ـن   وهدت من عزمهم والمضـ ـاء
وأراقت دموعهم ودماهـ ـ ـ ـم   وأذابت أنينهم في الفضـ ـ ـاء
جثة فوق جثة عند أخـ ـ ـ ـرى   تتلوى من جور ذاك القضـ ـاء
هكذا كانت البنايات تعـ ـ ـ ـلى   من أنين ولوعة وبـ ـ ـ ـ ـكاء

فهذه المدن العظيمة العريقة هي دليل على شقاء الإنسان الـضعيف واسـتبداد القوي، ولكنه متيقن بأن العبيد سوف ينتصرون على الظلمة والظلم، وعلى الطغـاة المستبدين يقول[1]:

ذاك الهيكل الذي صارع الدهر   وأودى بعاديات الفنـ ـ ـ ـ ـاء
شاهدا صامتا يشـ ـ ـ ـير إلى   الظلم وعسف الملوك والوزراء
ما أراد البقـ ـ ـاء إلا ليبـ ـدي   ألما صارخا إلى الفقـ ـ ـ ـراء
فيصيحون أين مرحمة الناس ؟   وأين الرحيم بالضعفـ ـ ـ ـ ـاء
هؤلاء العبيد سوف يدكـ ـون   عروش القيـاصـ ـر العظمـاء
هؤلاء العبيد سوف يبيـ ـدون   جيوش الطغـاة الأقـ ـويـ ـاء
إن نمت نحن لم يمت كلّ عبد   من ظلام العبيد فجر الضيـاء

ويتأمل الشاعر حسين رشيد خريس مدينة "البتراء الوردية " في قصيدة بعنوان " وقفة على البتراء "، فهذه المدينة الجميلة تجسد تاريخ العرب وحـضارتهم، وتـدفع الإنسان إلى الوقوف طويلا عندها يتأمل روائع نحتهم في الصخر وقد أحالوها مـن صخور صماء إلى مدينة مليئة بالحياة، يقول [2]:

[1] - فريز : الأعمال الكاملة، ص 79
[2] - خريس، حسين رشيد: الأعمال الشعرية الكاملة ج1، وزارة الثقافة، عمـان، ط1، 2007، ص 303

ماذا وقوفك بين البيد والمـ ـ ـ ـاء   وما سؤالك عن دان وعن ناء
أجئت تبحث عن ماضي الألى سلفوا   من الأباة الميامين الأجـ ـلاء
أم عاودتك تباريح مـ ـ ـ ـ ـؤرقة   أغرت فؤادك شوقا أي إغراء
وما عليك إذا ما رمت معـ ـ ـرفة   كل الصحائف منقوش ببتـ ـراء
اقرأ بها مثلا اقرأ بها حكما تنبيك   عن خالد الذكرى بأنبـ ـ ـ ـاء

إن الشاعر يدعونا إلى التأمل؛ لأخذ العبرة من هذه الآثار التي اسـتطاع أهلهـا بإرادتهم وتصميمهم أن يصنعوا لهم ولأبنائهم مجدا عريقا، حتى وصلوا إلـى قمـة الحضارة بفنهم المعماري المدهش، وغدت البتراء أعجوبة من عجائب الدنيا ومقصد الزوار من جميع أنحاء العالم، يقول [1]:

فما تشاهد إلا منظـ ـرا عجبـ ـا   ولست تسمع إلا رجع أصداء
يا أمة ما رمت عن قصدها غرضا   إلا أتتـه بأحكـ ـ ـام و آراء
بني " النبيط " لقد كنتم لنـ ـا سلفا   أكرم بسالف أجداد و آبـ ـاء
رفعتـ ـم لبني الأردن منزلـ ـ ـة   عز النظير لها من غير أسماء
وكنتم سندا للعرب قاطبـ ـ ـ ـ ـة   وكنتم القطب في شتى و أنحاء
وقد فتحتم لنا في الصخر سالكـة   إلى المعالي تباري كل جوزاء
فللسماء دروب في حظائـ ـركـ ـم   وللأراضين تهويم بعليـ ـ ـاء
هذي المحاريب ما زالت بزينتـ ـها   وزاهيات من الألوان عنـ ـاء
خزائن الملك تبدو في محاسـ ـنـها   وساحة الدير في زهو و لألاء
ومن مخـازن غلات تقـاطـ ـرها   مسارب الماء تجري بين أثنـاء
كأنما رسموا خـ ـط الخلـ ـود لـهـ ـم   على صحائف من أحجار بتراء
وما رأيت صخورا ناطقات بـ ـمـ ـا   لم يستطعه مناطيق بعـ ـرباء
كأنما جـ ـاء لقمـان يلقـ ـنـ ـ ـها   سر الفصاحة في صدق وإيحاء
فكانـ ـت الحكمة الأولى بدارتنـ ـا   مما روته البوادي بنت بيـ ـداء

---

[1] - خريس، الأعمال الشعرية الكاملة: ص 304-308

هكذا جنّد شعراء الأردن الطبيعة بما تحويه من بحار، وأنهار وأشجار وجبال وأزهار وغيرها لينشدوا الطهر والنقاء، والصفاء وليتخلّصوا من النفـاق والزيـف والخداع الذي كان سائدا في المجتمع.

وكانت الطبيعة لديهم مكانا تنتفي فيه كل المتناقـضات وتـذوب فيـه التقاليـد والعادات الاجتماعية وملجأ المحبة والحرية والجمال. وهم يـرون الطبيعـة مثـالا يحاولون تمثلّه في نظرتهم إلى الحياة والكون. ومن خلال الطبيعـة نظـروا إلـى الإنسان وعالجوا مشكلاته وبثّوا أفكارهم وفلسفاتهم في الحياة .

الفصل الثاني

التأمل في الحياة والموت والإنسان

التأمل في الحياة و الموت

الموت والحياة أمران يتعلقان بالإنسان من حيث وجوده في هذا الزمن،فالحياة هي البداية التي يأتي فيها الإنسان ليقضي سنين معدودة من عمر الزمن على هـذه الأرض، والموت هو النهاية التي تعصف بهذه الحياة وتعيد الإنـسان إلـى رحـم الأرض نافضا يديه من الدنيا، ليتحلل في ذراتها ويكمن في باطنها إلى حيث لا يعلم إلا الله .

فإذا كانت الحياة هي الفترة التي يحس فيها الإنسان وجوده، ويحـاول تـدعيم أقدامه على الأرض بدافع الأمل والشعور والحركة والإيمان، فإن الموت هـو اليـد القوية التي تنقض على هذا الأمل، وتقطع عليه جسور العبور وخيـوط الامتـداد، لتسكنه حفرة اللحد العميقة وتحوله إلى رماد متناثر يضيع في أجزاء تلك الحفرة التي لا يسكنها إلا الفناء.

وإذا كانت مشكلات الحياة الإنسانية قد وجدت في الإنـسان الاهتمـام الـذي تستحق والعناية الكافية من أجل حلها و وضع حد لنهايتها، فإن المـوت قـد ظـل بالنسبة له هو المشكلة الكبرى والمأساة الخانقة، والسبب الرئيس في قلقـه وحيرتـه وضياعه، فمجرد التفكير فيه، مجرد التصور للنهاية يجعل القلب يتراقص من الألـم وكأن يدا قوية تلاعبه وتهزه، ويجعل الحياة الإنسانية وهما من الأوهام مجرد شيء تافه لا يستحق كل ذلك الاهتمام[1].إن التأمل في الحياة قديم قدم الإنسان ذاته، فمنذ أن فتح عينيه على هذا الكون وهو يتساءل عن حقيقة وجوده، وقد ظهرت مثـل هـذه التأملات في الشعر العربي القديم،ولكنه لم يكن ينظم فلسفة بل كان يلخص تجربـة معينة، من خلال حكمة موجزة نجدها في ثنايا قصائد المدح والهجاء والرثاء وغير

---

[1] - قميحة، مفيد محمد : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصـر، دار الآفـاق الجديـدة بيروت، ط 1، 1981م، ص 375-376

ذلك من الأغراض، وهكذا جاءت تأملات زهير في الحياة وليـدة تجربـة ثمـانين عاما،كما نلاحظ ذلك في معلقته الميمية :

سئمت تكاليف الحياة و من يعش   ثمانين حولا ـ لا أبا لك ـ يسأم[1]

وينطبق هذا على لبيد الذي استقى نظراته في الإنسان ومصيره من وحي تجربته البدوية، كما ينطبق على طرفة بن العبد، الذي انطلق من تجربته الشابة لينظر إلـى الحياة نظرته المتفائلة.

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى   وإن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي   فدعني أبادرها بما ملكت يدي [2]

وقد بلغ هذا التأمل أوجه لدى شعراء المهجر، الذين حفلت دواوينهم بالتأمل في الحياة وقضاياها المختلفة، حتى أصبح ذلك خاصية تلازم شعرهم. وكأن عدم القدرة على التكيف مع الحياة دفعهم إلى التفكير في معنى الحياة كإثبات لوجودهم، يـضاف إلى هذا نفس الرومانسي التي تتوق إلى معرفة الحقيقة وتجاوز ظواهر الأشياء إلـى جوهرها، وقلقها الذي لا يطمئن إلى حقيقة بعينها، ويدفعها إلى رحلة مـستمرة فـي سبيل التنقيب عن سر الحياة والكون .

ولعل ما زاد تساؤل شعراء الرابطة القلمية عن الحياة تطور العلـم الحـديث، وظهور كتاب داروين في أصل الأنواع وما أحدثه ذلك الكتاب من ضجة في العـالم أجمع. وكان لداروين وغيره من دعاة التطور العلمي أثر في شعرنا العربي الحديث عموما .[3]

والحقيقة إن الشعراء الكلاسيكيين والرومانسيين، قد تأملوا وفكروا في الحياة وما ورائها ولكن كان هناك فرق واضح في طبيعة هذه التأملات ومضمونها بين الاثنين، حيث أكثر الشاعر الرومانسي من التأمل في مظاهر الحياة، كما انفرد في التفكير في المسائل الدينية كالخوض في الغيب والقدر، وسبب وجود الشر في العـالم والنـشأة الأخرى، بعد أن كان الشاعر الكلاسيكي يحذرها أشد الحذر، كما تميز تفكير الشاعر

---

[1] ـ ابن أبي سلمى: ديوان زهير (ص87)

[2] - ابن العبد: ديوان طرفة ص32

[3] - المقدسي، أنيس: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث (ص 304)

الرومانسي وتأمله بالجرأة والتحرر مما دفعة إلى الثورة والتمرد، وتجاوز حدود ما ورث من عقيدة، على عكس الكلاسيكي الذي كان يلتزم الحدود الدينية، ويقف عند نصوص الشرائع السماوية فشعر التأمل الرومانسي يختلف عن شعر التأمل الكلاسيكي من حيث الكم والكيف.[1]

وأول ما بدأ تساؤل شعراء الأردن بدأ بما قبل الحياة وهذا شيء طبيعي ؛لأن الإنسان ينطلق مما قبل ليعرف الآن وما بعده، وكما أن للإنسان ماضيا وحاضرا ومستقبلا في هذه الحياة كذلك يحاول أن يكون قبل وبعد، وعلى الرغم من أن الكتب الفلسفية والدينية قد تعرضت إلى موضوع ما قبل الحياة، غير أنه يبدو أن شعراء الأردن لم يجدوا في تلك الكتب ما يشبع توقهم إلى المعرفة، فآثروا البحث عن الحقيقة بأنفسهم شأن الفلاسفة والمفكرين ولكنهم لا يصلون إلى جواب مقنع، مما يزيدهم ألما وحزنا، ولهذا نجد في تأملهم مسحة من التشاؤم والسوداوية، فكانت الحياة والمصير مثار أسئلة كثيرة عند الشعراء "وللرومنتيكيين تجاه هذه المشاكل مسلكان: مسلك من يبدو هادئا ينشد الحقيقة عن طريق العاطفة ودراسة القوى الإنسانية ودلالتها الغيبية، ولكن هؤلاء يشعرون في نفس الوقت بفداحة المعضلة، ويقفون عليها جهودهم مخلصين رجاء الوصول إلى حلول يستريحون إليها لا عماد لهم في ذلك سوى أنفسهم ... والمسلك الآخر هو مسلك الساخطين على ما قدر لهم من قوى محدودة، لا تنهض بعبء ما يريدون الوصول إليه من نتائج، فيثورون على القدر ويعلنون عن ثورتهم بما ينفس عن ضيق صدورهم وسط هذه المعضلات"[2].وقد نمى هذه التساؤلات حالة الضياع التي يعيشها الشعراء لفقدانهم الشعور بالحياة، مما جعلهم يبحثون عن معناها بالتساؤل " فالناس - في العادة - لا يشرعون في التساؤل عن معنى حياتهم - اللهم - إلا حين تكون حياتهم قد فقدت تلقائيتها الطبيعية، وبالتالي حينما يكونون قد فقدوا مبررات وجودهم، وأما حين تسير الحياة سيرها الطبيعي، وحين يمارس الإنسان نشاطه التلقائي العادي، فإنه قد لا

---

[1] - درويش، العربي حسن: الاتجاه الرومانسي في شعر أبي القاسم الشابي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1991م، ص 51.

[2] - هلال ، محمد غنيمي : الرومانتيكية (ص154)

يعنّي نفسه بالتساؤل عن الحياة، لأنه يشعر عندئذ بأن مجرد الاستمرار علـى قيـد البقاء ما يجعل من الحياة قيما سوية تحمل في حد ذاتها مبررات وجودها"[1].

ويبرز التساؤل عن حقيقة الحياة، نتيجة الاحتراق الـداخلي الـذي يحـس بـه الشاعر، لعدم جدوى الحياة، يقول محمود فضيل التل [2]:

يغالب فكري سؤال قديم
و حارت به ثابتات العلوم
هل النفس تدري من الأمر شيئا
خلال الحياة و بعد الرسوم
و هل يرتجى علمها ذات يوم

وتستمر أسئلة الشاعر عن حقيقة الحياة ولكن دون الوصول إلى نتيجة، إذ يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (حقيقة الحياة) [3] :

أأعيش يا دنيا لجوارك أم بظلم الناقمين
أأظل يا دنيا سقيما في هزال و أنين
يكفيني لومك يا نديم أماتني صبر السنين
وكفى أمان يا سعاد قضيت عمرك ترتجين
فكرهت يا دنيا حياتك يا رجاء الواهمين
قد طال وعدك وانتظاري وانقضى ما توعدين
أنت السراب لناظري ولا أرى فيك اليقين
أنا لست أدري كيف جئت فحبذا لو تسالين
يثنى علي إذا حمدتك ما مصيرك ما ترين ؟
قد عشت فيك مدى السنين ولم أكن غير السجين
فإذا يئستك قال صبرا وامتثل بالمؤمنين
لا لا أكلّ العمر أسعى أبحث السر الكمين

---

[1] - إبراهيم، زكريا : مشكلة الحياة، مكتبية مصر، القاهرة،ط1، 1971، ص 33
[2] - التل، محمود فضيل : نداء للغد الآتي، ص 128
[3]- التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب، ص 11

أنا أقطع الأيام سخرية وأياما حزين
حسبي الموت رجائي يا حياة الناعمين
همهم أكل ..شراب ولباس وحنين
إنما همي أنت .. أسراب أم يقين ؟
ويعيش الفرد منا جاهلا مكر السنين
ويروم الخلد فيك توهمين وتخدعين
عجبا تراني مرة فرحا وأخرى لا ألين
ما عاد يشغلني وعيد أو حكايا اللائمين
حتى علاني سؤل نفسي .. هل أنا ماء وطين ؟
هكذا بدء الخليقة ثم من ماء مهين

فالشاعر هنا يتساءل عن حقيقة هذه الحياة، وهي بالنسبة إليه سراب خادع وليست حقيقة، وقد أمضى عمره يبحث عن السر الكمين في هذه الحياة، هو همه الوحيد ليس الأكل والشرب كبقية الناس! وينتقل الشاعر إلى السؤال عن حقيقة الإنسان هل هو مخلوق من ماء وطين ؟ ثم من ماء مهين ؟ والتساؤل عن معنى الحياة هو إقرار وإيمان من الشاعر بقيمة الحياة، فهي تستحق منه كل هذا الإمعان للفكر [1]. ويرى الدكتور طلعت أبو العزم من خلال دراسته لقصائد الشعراء العرب المتأثرين بالنزعة الرومانسية، أن " القلق الوجودي " لديهم ما هو إلا حالة من التأمل والمعاناة، والجهد الفكري والشعوري يمتزج فيها فكر الشاعر المدرك لتناقضات الوجود بإحساسه بأن عمره قصير، وحينما يفكر الشاعر في حياته وحياة الإنسان على الأرض يروعه أنها شقاء ينتهي بالموت ويتساءل قلقا : كيف جئنا ومن أين ؟ إلى أين نمضي ؟ ماذا كنا قبل الوجود ؟ وماذا سنكون بعد الموت ؟ هل هناك بعث وحياة أخرى بعد الموت ؟ لكنه يدرك أن مصير الإنسان هو الموت فقد خلقنا لنحارب الموت ثم نشقى ونموت[2] .

---

[1]- انظر: الضمور، عماد : محمود فضيل التل، حياته وشعره، ص 141
[2] - أبو العزم، طلعت: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت ، ص 85-88

ويبدأ الشاعر محمود فضيل التل قصيدته(علامة استفهام) بتساؤل منطقي عـن كل شيء في هذه الحياة، تتمثل بالخوف والقلق الوجودي من الموت يقول[1]:

من كل شيء في الحياة
لنا سؤال دائم
وعلامة استفهام
من كل شيء في الوجود
وما بهذا الكون
أو مما بنا
أو ما يقال
علامة استفهام

ونجد أن الشاعر عيسى الناعوري يحاول أن يهرب من القلق الوجـودي الـذي يلاحقه، مع أنه متيقن بأن مصير الوجود إلى الفناء، فهو يقضي عمره لاهيا حتى لا يشعر بمنغصات الحياة، وكأنه يحاول أن يواجه الموت من خـلال الإقبـال علـى الملذات، يقول في قصيدة بعنوان (حياة) [2] :

من صفاء السماء قد خلقت روحي، ومن صحو جوها وجداني
أنفق العمر لاهيا، فإذا الكون كما شئته جميل المغاني
تنتفي من سمائه السحب السود، وترتاع صولة الحدثان
لست أدري، ولست أرضى بأن أدري بأن الوجود شيء فاني
فالوجود العظيم مسرح أحلام وحب، وروضه للأماني

ونجد الشاعر عصام العمد يتساءل عن معنى الحياة محاولا أن يكشف سـرها، ولكنه لم يجد أحدا يجيبه على تساؤلاته، ويقر بأن سر الحياة والخلق عند الله سبحانه وتعالى، ففي قصيدة بعنوان " معنى الحياة وسرها " يقول [3]:

---

[1] - التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ، ص40
[2] - الناعوري: أناشيدي، ص 83
[3] - العمد، عصام صدقي: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، عمان، ط 1، 1996م، ص 186

ساءلت عن معنـى الحياة ولغزها عما تخبئـه من الأسـرار
وبحثت مجتهـدا لأسأل كل مـن عرك الحياة بحنكة الأخيار
لكنني لم ألـقَ أي إجـــــابة تشفي غليل السائل المحتار
جهل بسـر الكائنـات وخلقـها والسر عنـد مقدر الأعمار
رب العباد ومـن أراد لخلقـــه هذي الحياة وزانها بالغـار
هي هذه الدنيا نعيم بعضــــها لكن طعم شرابها بمـرار

ويتساءل حسني فريز في قصيدة بعنوان(تساؤلات) عن الحياة، وعن المصير الإنساني، وأن هذا المصير ليس بيد الإنسان، وأن الأمور الغيبية لا يمكن أن يدركها العلم، ويدعو إلى التأمل في الآثار الباقية من الأقوام الذين سبقونا، وأن نأخذ العبـرة منهم، يقول[1]:

حياتك؟ ما حياتك؟ أنت غر حياة المجـد أولـى بالسـؤال
مصيرك لست سيده و ماذا يضيرك إن سكـت عـن المآل
ألم تر أنهم مجدوا و عزوا وخبوا في الحقيقـة و الخيال ؟
أمور لست تدركها بعـلم ولا عزم ولا لـك من مجـال
تأمل كل ما شاد القدامـى و قل لي من بنى المجد الأوالي؟

ويبين حسني فريز في قصيده أخرى أن الإنسان لا يفيده الحزن والبكـاء؛ لأن نهايته معروفة وهي الموت والزوال يقول[2] :

ليس يجدي البكاء في كل حال أنت رهـن الضنى و رهن الزوال
ولعمري لقد حزنت طويـلا و لقيت المنـى بغيـر احتفـال

كما ينظر عرار إلـى الـدنيا بأنهـا كالـسراب الـذي يظـل الإنـسان فـي الصحراء،ويبقى يجري وراءه لكن دون فائدة، ولكن الإنسان القانع لا ينخدع ببريق هذه الدنيا يقول[3]:

---

[1] - فريز : الأعمال الكاملة ، ص 457
[2] - المرجع نفسه، ص 466
[3] - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 303

أفؤاد! ما الدنيا ؟ سراب بقيعة وقح يقعقع في مفازة باقـع

إن تخدع الطماع لمعته فلـ ـن تقوى على عبث بذقن القانع

ويكرر عرار نفس المعنى نفسه في قصيدة أخرى حيث يقول[1] :

ظلمات من الشقاء حيـاتـي و سرابا رأيتها في سـراب

وخيالا مقنعا بخيـ ـ ـ ـال كلما اشتقت للبكاء سرى بي

وعلى هاجري هدرت شبابي ثم كفنتـ ـه ببرد شبـ ـابي

وتتكرر مثل هذه النظرة للحياة عند الشاعر حيدر محمود، الذي يـشبه الحيـاة بوميض البرق الذي يظهر بسرعة ثم يختفي فلا يستفيد منه أحد، كما أنـه يـشبهها بالسراب الذي يظهر في الصحراء ويخدع المسافرين فيها، وهكذا هي الحياة الـدنيا تخدع من يركض وراءها، يقول [2]:

دنيا

ما أنت سوى ومضة برق

تومض في الليل وتخبو

وسراب هذا الوهج الزاهي

والأفق الرحب

وشقي يا دنيا

من تحمله قدماه في الدرب

ولا يحمله القلب

ويستمر تساؤل الشعراء عن الحياة التي يحيونها، ما معناها ؟ما قيمة هذه الحياة وما جدواها ؟ وأين تكمن هذه الحياة ؟ هل تحيا فينا أم نحيا فيها ؟ ما سبب مجيـئهم لهذه الحياة التي يعانون فيها العذاب ؟ فهم كلما أمعنوا النظر في هذه الحيـاة ازدادوا إحساسا بآلامها. وهكذا ارتبط الشقاء عندهم بالتفكير في قضايا الحياة، ولهذا نجد في

---

[1] - التل، مصطفى وهبي: العشيات: ص 144

[2] - محمود، الأعمال الكاملة، ص 276

تأملاتهم مسحه من التشاؤم والسوداوية. يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (حفرة من تراب)[1] :

لماذا أتينـا هنـ ـ ـا يا صديقي ؟ وجئنا بأقدامنا للعـ ـ ـ ـذاب !!
لماذا ظننـا الحيـ ـ ـاة نعيمـا ؟ وأن لها ألف باب و بـ ـاب !!
ولما تأمـ ـ ـ ـلت فيها ملـ ـيا رأيت الوجود بها للعقـ ـ ـاب
ولو عدت ما اخترت فيها طريقا وإن كان في رجعة أو إيـاب
صرخـ ـ ـت بأول يـ ـوم أتيـ ـ ـت وأصرخ دوما و ما من جواب

فالشاعر هنا يتساءل عن سبب مجيئه للحياة وهي مليئة بالعذاب والشقاء، وهـذه الحقيقة التي اكتشفها الشاعر بعد أن كان يظن أن وجوده فيها عقاب له، ولكنه يعلـم أنه ليس مخيرا في هذه الحياة ولو كان له الخيار لما اختار فيها طريقا. ومن ثم يأتي بدليل على أن هذه الحياة فيها من العذاب والشقاء ما يخيف الإنسان، ودليله على ذلك أن الإنسان يصرخ وقت الولادة رافضا هذه الحياة، ويستمر بهذا الصراخ في حياته ولكنه لا يجد أي جواب .

ويدعو حسني فريز الإنسان إلى عدم الاطمئنان إلى الدنيا، لأنها لا تبقى على حال واحدة فهي دائما متقلبة ومتبدلة، ويضيع كل ما يصنعه الإنسان فيها هباء دون فائدة، إلا إذا كان ما يعمله يراعي فيه مرضاة الله سبحانه وتعالى، يقول [2]:

ألا إنما الدنيا دواليك تنتهي دوائر منها ثم تأتي وتذهب
فلا يغتر بالعيش حر فإنه لا قصر مما يدعيه وأخيب
يضيع هباء كل ما أنت صانع إذا لم تكن فيه إلى الحق ترغب

ونجد هذه النظرة للحياة وللدنيا بأنها نعيم زائل عند الشاعر عصام العمد،ويظهر ذلك في قصيدته " عالم الأرواح "، يقول [3]:

هذه الدنيا نعيـ ـ ـم زائـ ـل قد خلقنا في حماها في كبـ ـ ـد
هذه الدنيا ولا بد لنـ ـ ـ ـا أن نعيش العمر في جد وكـ ـ ـد

[1] - التل ، محمود فضيل : أنشودة المستحيل ، ص 143
[2]- فريز: الأعمال الكاملة ، ص 214
[3] - العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2 ، ص 69

بل نجاريها نداري شرهـ ـا   أن نكون العون فيهـ ـا والسنـ ـ ـ ـد
أن نخاف الله أن نرضى بما   قسم المولى لنـ ـا أو ما أعـ ـ ـ ـ ـد
نحن فيها غرباء رحـ ـ ـ ـل   كلنا يمضي غدا أو بعـ ـ ـ ـ ـد غـ ـد
كلنا نمضي ولا ندري متـ ـى   سوف نلقى الموت هل أحظى بـ ـرد ؟
أين نلقاه ؟ متى ؟ كيف ؟ إذا   شاءت الأقدار و الداعي استعـ ـ ـد

فالشاعر في هذه الأبيات يطلب من الإنسان عدم الاطمئنان للدنيا؛ لأنها زائلـة والإنسان يقضي عمره في طلب الرزق، ولن يشعر الإنسان بالراحة إلا إذا رضـي بما قسمه الله له من الرزق، وأن يراعي مرضاة الله في حياته؛ لأن نهايته معروفـة وهي الموت. ويتكرر هذا المعنى عند الشاعر في قصيدة أخرى بعنـوان " الحيـاة الفانية "، يقول [1]:

حياة المـرء في الدنيا شقـاء   يصارعها فيصرعه القضاء
فأول مـا يلاقيـ ـ ـه بكـاء   وآخر ما يداهمـ ـ ـه الفناء
ويحشر بعد ذلـك للتقاضـي   ويوم الحشر للمـ ـرء ابتلاء
فيا من قد حباك الله عقـ ـلا   به في الخلق كان لك ارتقاء
وجودك أنت في الدنيا اختبار   فجاهد كي يكون لك الثنـاء

وكثيرا ما وقف شعراء الأردن في تـأملاتهم للحيـاة إزاء الـزمن، وكـسائر الرومانسيين كانوا ينظرون إلى الزمن الحاضر نظـرة متـشائمة، فيرتـدون إلـى الماضي الذي اقترن عندهم بالحياة السعيدة، أو يهربون إلى المستقبل حيث يصنعون سعادتهم المرتقبة. فقد كان الزمن الماضي بالنسبة إليهم الفردوس المفقـود، الـذي أرادوا تعويضه في المستقبل؛ لذلك نجدهم يتحسرون على زمن الشباب ويتبرمـون بحاضرهم المؤلم. فالشباب بالنسبة إليهم يعني الحياة، أما الحاضر فيعنـي الـشقاء والتعاسة، وقد ارتبط الحاضر عندهم بالشيب والشيخوخة أحيانا، وعلى الرغم من أن هؤلاء الشعراء كانوا يحاولون تعزية أنفسهم بأن للشيب جماله مثلما للشباب جمالـه، فإنهم سرعان ما يضيقون ذرعا بالكبر ويقرون بأن أول العمر أحسن من آخره .

---

[1] - العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2 ، ص 71

لست في جسمي سقيما   أجمل العمر الشباب[1]

ويقول عرار في قصيدة بعنوان (بعد الأربعين)[2] :

يا شيخ أين من الخريف ربيع   ما للشباب وقد خلاك رجوع

يا شيخ بعد الأربعين بقـاؤنا   عبث ، فلهو لداتنـ ـا ممنوع

فالشاعر هنا يصور نهاية العمر بفصل الخريف، الذي تتـساقط فيـه الأوراق، وأول العمر بفصل الربيع الذي تنبت فيه الأزهار وتورق الأشجار، فالـشباب لـن يعود، وهو يعتبر أن بقاءه بعد سن الأربعين وتقدم العمر عبث لا فائدة منه؛ لأنه لا يستطيع أن يعيش حياة الشباب بما فيها من بهجة ومتع كثيرة. ويقول فـي قـصيدة أخرى بعنوان(حسرة الشباب)[3] :

إن الشباب مضى لطيته   فهلم نقفو خلسة إثـ ـره

فلعلّ من عثيار موكبـه   يستاف خيشومي ولو غبرة

وعساه يقطرنا بموكبـه   فانعم وعاين منعما صيـ رة

فالشاعر يقر بأن الشباب قد مضى وولّى، ويريد أن يقتفي أثره لعله يشم شـيئا من غباره ويعوض ما فاته من أيام الشباب؛ لأنه يعرف مصيره إلى الزوال وهـو ينتظر ذلك في أي لحظة. ويقول في قصيدة أخرى [4]:

مضى الشباب وليس الشيب مبتكرا   فإنه حدث قد كان منتظرا

ويتفق معه في هذا المعنى الشاعر خالد محادين، حيث تبدو معاناة الشاعر مـع الزمن، فعمره يتقدم دون أن يشعر بذلك، وليست لديه الرغبة بـأن يـودع مرحلـة الشباب المليئة بالنشاط والحيوية، ويبدأ مرحلة جديدة فيها الهدوء، والسكينة، يقـول في قصيدة بعنوان " الأربعين " [5]:

من أين جئت وخافقي تعب   لا النار تسكنه ولا الخشب

وأصابعي أوتـ ـارها يبست   هيهات في عينيك تصطخب

---

[1] - التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 80

[2] - التل، مصطفى : العشيات ص 289

[3] - المرجع نفسه، ص 275

[4] - المرجع نفسه، ص 248

[5] - محادين خالد : الأعمال الشعرية، مطابع الرأي، عمان، 1990، ص346-348

الأربعون وقارها وجـ ـ ـع و الأربعون وقارها كـ ذب
والأربعون رمادها شعـ ـ ل و الأربعون هدوؤها صخب

أما حسني فريز فهو لا ينظر إلى الزمن على أنه أخذ القوة والشباب فحسب، بل ينظر إليه أيضا على أنه منغّص للحياة لا يؤمن جانبه في السراء والضراء، وهو لا يستريح حتى إلى الجانب المشرق من الزمن؛ لأنه سرعان ما ينقلب على الإنـسان ويسلب منه السعادة. وهكذا كان فريز يعيش في ذعر من الدهر يقول [1]:

لا يا بني الدهر (لا تبتئس) فالدهر قد كان عدو الصفـاء
لا بد أن نأخذ من مـ ـ ره كما أخذنا حلوه والهنـ ـ ـاء
من أول الدهر لـ ـه دوره وفي تمام الدور يأتي الفنـاء

ويسجل عبد المنعم الرفاعي رحلته في الحياة، فـي قـصيدة طويلـة بعنـوان (المسافر) حيث يقف الشاعر متأملا حياته الماضية، وعهد الشباب الذي كان مليئـا بالحياة والنشاط،ويتحسر على ذلك العهد الذي ذهب إلى غير رجعة، يقول [2]:

إيه يا طاوي الربى والبيـ ـد هل لمسراك في الدجى من معيد
الطريق الطويل هدم جنبـيك وعدو الهـوى وشدو القـ ـصيد
سفر شاسع فإن مـ ـ ـ ـداه رحلة الفكر في الفضاء البـ ـعيد
كلما جزت في نواحيه شـأوا كشف الشوق عن خيـ ـال جديـد
يا جنون الشباب حسبي جموحا لم يعد في جوانحي من مـ ـ ـزيد
وقفة شدت الشجون عراهـ ـا في ركوع من الـهدى وسجـ ـود
لا حفيف الغصون مال مع الريح ولا الطيـ ـر حـن للتـغـريـ ـد
وامحى غير بارق من سنـ ـ ـاه زمـن اللـهو والهـوى و الـنشيد
غير رجع لذكريات رقـ ـ ـ ـاق كشفـار تـ ـألـقت فـي الـغُمود
هل يلام الهزار حلّق في الشـدو عـ ـلى كـل ربـوة وصـعـيـد
أم يلام العبير يحـلم في الليـ ـل ويسري مع الـصبـاح الـ ـجديـد
يا هوى النفس حين يغمرني الشـ ـوق إلى المـلتقى البهيـج السـعـ ـ ـيد

[1] - فريز: الأعمال الكاملة ص 354 ــ 355
[2] - الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص ص 31-35

وهدى الفكر حين أبحث في الكـون عـن الله فـي مـقـام الخـلـود
وبقائي إذا فنيـت مع العـمر وأودعـت فـي مهـاوي اللحـ ـ ـود

إن قصيدة الشاعر تفيض بالمشاعر الجياشة، ومليئة بالذكريات، فالشاعر يـرى أن الحياة قد أتعبته؛ لأنها سفر طويل مع الفكر، وهو دائم البحث والتساؤل عن هذه الحياة وكنهها، وفي هذه القصيدة تظهر الدورة الطبيعية للحياة والتي لابد من نهايتها، فيمضي الآباء ويأتي الأبناء وهكذا، وهذا الذي يجعل الـشاعر يـشعر بالطمأنينـة والراحة من هذه الرحلة الشاقة، وهو يرى امتداده في ابنه (وبقائي إذا فنيـت مـع العمر) .

1.2 فكرة المـوت:

إن التفكير في الموت شيء طبيعي في الإنسان؛ لأنه مثلما يفكر في حياته يفكر في مصيره. وهو لا يستطيع أن ينسى هذه المأساة التي يسير إليها تـدريجيا كلمـا تقضت ساعة من عمره. فكل شيء يذكّره بالموت ويؤدي به إليه، بل إن التفكير في الحياة ليس إلا تفكيرا في الموت نفسه، فالألم والإخفـاق يـذكّر بـالموت بطريقـة مباشرة، وكذلك الفرح والانتصار يذكر بنهاية ذلك كله، وهكذا اقترن التفكيـر فـي الحياة بالموت لأن الأشياء تذكر بأضدادها[1] .

ويذهب المفكر الغربي جاك شورون إلى أن (التفكير الحقيقي في الموت لا يـتم إلا إذا تحقق عاملان أساسيان هما : النزعة الفردية والتفكير المنطقي، الذي لا يسمح للإنسان أن يصل إلى قاعدة عامة هي أن البشر فانون)[2] .

فالموت فردي من حيث إن كل إنسان يموت هو ولا يموت أحد مكانه، ومطلـق من حيث إن الناس جميعا ذائقو الموت، وبدون الشعور بالفردية لا يستطيع الإنسان إدراك الطابع الأصلي الجوهري للموت، وهو أنّه شخصي صرف، ولا سبيل إلـى إدراكه إدراكا حقيقيا إلا من حيث إنه موتي أنا الخاص. ولا يبلغ الشعور بالشخصية

[1] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ، ص 194
[2] - شورون، جاك: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، سلسلة عالم المعرفة، 1984، ص (18، 19).

والوحدة درجة أقوى وأعلى مما هو في هذه اللحظة، لحظة الموت لأنني أنا الـذي أموت وحدي ولا يمكن مطلقا أن يحل غيري محلي في هذا الموت، ولهذا نجد أنـه كلّما كان الشعور بالشخصية أقوى وأوضح كان الإنسان أقدر على إدراك المـوت[1]. هذا من الناحية الذاتية، أما من الناحية الموضوعية، فهو أن يصل الإنسان بواسـطة التفكير المنطقي إلى أن الموت حقيقة عامة تأتي على الناس جميعا مثلما تأتي عليـه كفرد. فالإنسان لا يعرف سر الموت ولا متى يفاجئه، وكل ما يعرفه أنه لا محالـة ذائق الموت عاجلا أم آجلا. وقد جاءت الأديان السماوية لتنقذ الإنسان من هذا الشك، فقالت أن الموت مرحلة ينتقل الإنسان عبرها إلى حياة أخرى، حيث يعاقب أو يثاب على عمله في الدنيا، فعلى سبيل المثال نجد في القرآن الكريم الكثير من الآيات في هذا المجال، حتى لا تكاد تخلو سورة من ذكر يوم القيامة وما فيه من عقاب وثواب. يقول تعالى: ((**ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون. قالوا يـا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسـلون. إن كانـت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميعا لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون**)) .[2]

ولكن الإنسان يريد أن يصل إلى الحقيقة بنفسه؛ لذلك فهـو يبحـث ويتـساءل ويشك. وعلى الرغم من اطلاع الفلاسفة والمفكرين على الديانات السماوية إلا أنهـم لم يكفوا عن البحث والتساؤل عن كنه الموت وما يعقبه .

ويستطيع المتأمل أن يجد مئات الصور، التي يتجسد فيها الموت لدى الـشعراء في كل لغات الأرض تبعا لعشرات المتغيرات النفسية، والعقدية والحياتية التي يمـر بها الشاعر أو تمر به، وفي الشعر العربي نلتقي بصور مختلفة للموت عند النابغـة الذبياني، وطرفة بن العبد وتأبط شـرا والـشنفرى الأزدي، والخنـساء، وشـعراء الخوارج، وأبي العلاء المعري، والمتنبي وابن الرومي، وكـذلك الـشأن بالنـسبة لشعراء العصر الحديث، وتبلغ هذه الصور حدا من التنوع تكاد تتميز معه صـورة

---

[1] - بدوي، عبد الرحمن: الموت والعبقرية ، مكتبة النهضة، القاهرة، ط1، 1998 ، ص 7، 8
[2]- سورة يس : آية 50 ـ 53

الموت عند كل شاعر أصيل، كما تتميز عنده صورة الحياة [1]. وشعراء الأردن من الشعراء الذين تحتل صورة الموت جانبا هاما في حياتهم وشعرهم ،نتيجة للظروف التي أحاطت بهم في مسيرتهم الأسرية والوطنية، وساعدت علـى تـشكيل ميـولهم واتجاهاتهم السلوكية والفنية .

وقد جاء التفكير بالموت نتيجة لعدة ظروف مر بها الشعراء، منهـا مـا هـو اجتماعي ومنها ما هو سياسي ومنها ما هو اقتصادي، ولذلك نجد أن النظرة للموت تختلف من شاعر لآخر حسب ظروفه التي يمر بها، كما دفعهم الميل إلى الموت إلى تصور نهايتهم قبل وقوعها، كذلك دفعهم إلى تأمل هذه النهاية، وقـد دفعهـم حـب المعرفة لأسرار الموت إلى الوقوف علـى المقـابر وأوراق الخريـف المتـساقطة والغروب، وغيرهما من رموز الموت .

فالقبر هو مثوى هذا الإنسان الذي يكدح على الأرض كدحا، والذبول هو مصير هذه الأوراق التي تسر الناظرين، والغروب هو رمز الفناء الذي تـسير إليـه هـذه الحياة .

يقول محمود الشلبي [2]:

هو العمر يرحل منا ...
سرابا من الوهم ...
خوفا ...
فر كما الطير من قبضة الطفل
ظلا يصير ...
وأغنية آسفة .
هو العمر ...
هذا الخريف الذي جردته السنون

---

[1] - درويش، أحمد وآخرون : فدوى طوقان بين قيد المرأة الشرقية وفضاء النص (كتاب جرش) 2000 ، المؤسسة الأدبية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001 ، ص 49

[2] - الشلبي: ويبقى الدم ساخنا ص 11

اخضرار الوريقات
يأخذنا للبعيد ...
البعيـ ـ ـ ـ د

فالشاعر يصور لنا العمر كالسراب الذي يظهر في الـصحراء، الـذي يخـدع الناظرين فيقتفون أثره ولكنهم لا يصلون إلى شيء، كما أنه يصور نهايـة العمـر بأوراق الخريف التي تتساقط عن الأشجار.

كما يعبر عبد الرحيم عمر عن الموت بسقوط أوراق الشجر، التي تؤذن بانتهاء الرحلة ـ رحلة العمر ـ التي تنتهي عند شط الآخرة، يقول في قصيدة بعنوان (من وصية صوفي) [1]:

بعد أعوام ستذوي ورقات الشجر
تنتهي الرحلة، يبدو كل ما كان ضلال
لا كؤوس الراح، لا أوراقك السوداء
لا الحب، ولا آمالك المزدهرة .
كلها يا ضيعة العمر ! ضلال في ضلال
جف باقي الزيت في الفانوس، لم يبق
لدى عينيك ما يذكي رجاء
غرسة لم يعطها الرب الشتاء
مر واتبع موكب السارين
يا دنيا أيا جسر السخافة
حينما فتحت عيني لم يكن في البال
أني إنما أسري لشط الآخرة
دون أن أدري إلى أين المسير
وعلى صدري صلبان المصير .

[1] - عمر، الأعمال الشعرية الكاملة ص 189

فالشاعر يرى أن جميع البشر سائرون على هذا الدرب ـ درب الموت ـ وأن هذه الدنيا ما هي إلا جسر يعبر عليه السائرون إلـى شـطآن الآخـرة، ولكـنهم لا يعرفون إلى أين المصير.

كما أننا نجد الشاعر محمود فضيل التل يصور الموت بفصل الخريـف، الـذي تتساقط فيه الأوراق فلا حياة بعده حتى وإن جاء فصل الشتاء يقـول فـي قـصيدة بعنوان (ريح الخريف) [1]:

الآن قد يأتي الخريف
تسقط الأوراق ثانية
فلا يأتي الشتاء طريقنا
فيضيع في هذي الحياة ربيعنا
ويموت فيها كل شيء بعدنا
حتى ولو جاء الشتاء

ويصور الشاعر عمر الإنسان الذي مر بسرعة كالطيف أو السراب، ولكنه يقر بالنهاية الحتمية للمصير الإنساني وهي الموت يقول [2]:

ومضى بنا هذا الزمان
كأننا طيف مررنا
أو سراب أغرقت أمواجه آثارنا
ثم انتهينا
لم نكن إلا ضحايا
مثلما جئنا بلا شيء مضينا
وانتهينا قبل أن يأتي الربيع
لأننا كنا خريفا دائما
فلقد أتى زمن الخريف .

---

[1] - التل، محمود: شراع الليل والطوفان ص 72
[2] - المرجع نفسه، ص 73

وتدرك الشاعرة هيام رمزي أن عمر الإنسان يمضي مهما طال به البقاء، وأن مصيره الموت و أن القبر هو دار الراحة للإنسان بعد الشقاء في حياته، وهي ترى أن الحياة ليست لها قيمة لأن نهايتها مفجعة، وتبقى تتساءل مادام أن الإنسان ليس له الخيار في حياته، فما جدوى ذلك ؟ ولكنها تقر في النهاية بأنها مؤمنة بالله وبالقضاء والقدر، تقول في قصيدة بعنوان(هواجس) [1]:

والعمر يمضـ ـي حافـلا   و الليل يلتهـ ـم السنين
وتضج فـي القلـب المنى   لكن في القبـر السكون
فيم الحياة إذ الـ ـ ـنهايـة   أن نسير إلى المـ ـنون
ويصيح في صدري السؤال   على المدى عبر القرون
مادام ليس لنـ ـ ـ ـا الخيار   ولا القرار فمـ ـن نكون
وأظلّ – رغـ ـ ـ ـم هواجسي-   يا رب خيـ ـر المتقين

وبين الشاعر محمد القيسي أن الإنسان لن يموت إلا في الوقت الذي قـدره الله له، وأن البشر يجهلون ذلك، ولكنه يأمل أن يموت بعد أن يحقق أمانيـه، وأحلامـه يقول في قصيدة بعنوان (الوقوف في جرش)[2] :

ما مت هذا الموت أخدعه   وأظل أبدع في الدنـا نقشـي
مهما يحز الطوق في عنقي   والناس كـل النـاس تستعشي
يبقى لي اليوم الذي جهـلوا   يبقـى لعينيـك أنني أمشـي
أستل من ناب الردى رمحـا   وأصوغ من قحط الذرى عيشي
لي أنني أبنـ ـي على مهـل   كوخي وأرفع من دمـي عرشي

فالشاعر هنا لا ينكر الموت، ولكنه يريد أن يوجه رسالة إلى أعداء الأمة الذين اغتصبوا فلسطين، أنه لن يقبل الموت قبل أن تتحرر فلسطين وكأنه يتحدث بلـسان المسلمين جميعا، فكل قطرة تسيل من دماء أبناء المسلمين هي من أجل عزة و رفعة الأمة الإسلامية، ومن أجل تحرير فلسطين الحبيبة .

[1] -الدردنجي، هيام رمزي: الأعمال الكاملة، دار الكرمل، عمان، ط1 2005م ص375-376
[2] - القيسي، محمد: الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1987، ص 533- 534

وإذا كان شعراء الأردن لم يدركوا ما يخبئه الموت، فإنهم أدركـوا المعـاني الظاهرة للموت وقد ركّز هؤلاء على المساواة التي عرف بها المـوت، فـالموت لا يقيم وزنا لهذه الثنائية التي تقوم على الحياة من خير وشر، وغنى وفقر، وعلم وجهل . فهو يأتي على الناس جميعا دون تفريق بين خير وشرير، وكبير وصغير، وحاكم ومحكوم، ونجد هذه المعاني تتردد لدى عرار وحسني فريز ومحمود فضيل التـل. يقول محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (الأفق و الغروب)[1]:

سعداء أو تعساء
فقراء كنا أو في نعمة الثراء
لا بد من أن ننتهي
وراء ذلك الأفق البعيد
وسوف نطوى في ظلامات الغروب

فالشاعر هنا يبين أن مصير الناس واحد هو الموت، رغـم اخـتلاف طبقـاتهم الاجتماعية، فالموت هو الذي يوحد البشر ويجعلهم سواسية، ولا يفرق بين غنـيهم وفقيرهم، ويتكرر مثل هذا المعنى عند عرار حيث يقول في رثاء الهبر [2]:

لا تخف ظلمة القبور ففيها	يتساوى : الأفذاذ والأوغاد
وينام الصعلوك جنبا لجنب	والسراة الذين شادوا وسادوا
أيهذا التراب بوركت من قا	ض لأحكامه استراح العباد
هبر ليست دنياك عبدة رقّ	لأناس بعرفـ ـ ـها أسيـاد
كل حي لسوف تحمله يو	ما لمثواك مرغمـا أعـواد
والشقي الشقي من يحسب العمـ ـ ـ ـر بناء لا يعتـريه النفـاد	
إن حبل الردى مشاع وعنه	قفز الهبر وابن شداد عـاد

فالموت عند عرار يتساوى فيه الأسياد والعبيد، والفقراء والأغنياء، وهو مصير كل حي والإنسان الشقي هو الذي يحسب أنه سوف يبقى خالدا في الدنيا وأنـه لـن يموت .

---

[1] - التل، محمود: نداء للغد الآتي ص 34
[2] - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 201

ويقف الشاعر علي البتيري عاجزا أمام الموت الذي يراه يأخذ الجميع، ويتساءل إلى أين المفر من ذلك ؟ ولكنه يقر بأن هذا الموت هو مصير الجميع، ولن يستطيع أحد النجاة منه، يقول في قصيدة بعنوان (الموت العميم) [1]:

إنه الموت
يتسع الآن فينا
وينشر أسراب غربانه
في يباب النفوس ..
إنه الموت يغسل أكفانه
في دموع الحزانى
ويلقي بها فوق هذي الرؤوس
وتلك الرؤوس ..
فمن ظن أن على رأسه ريشة
سوف يأتيه موت أكول عبوس
إنه الموت يزحف كالنمل
بين الجلود وبين الثياب
فأين المفرّ؟ وأين الذهاب ..
وأكفانه خلف أبوابنا تستطيب الجلوس ؟
إنه الموت فينا يوارب باب الحياة
بقبضته الجامحة
ويرى في النفوس التي تلعق الصمت
تربته الصالحة

ويقول حسني فريز في قصيدة بعنوان (قف قليلا)[2]:

---

[1] -البتيري، علي: شبابيك أتعبها الانتظار، وزارة الثقافة، عمـان، ط1 ، 2004، ص ص 32-33

[2] - فريز: الأعمال الكاملة ص 217

قف قليلا وأرهف السمع وانظر ... ذاك مثوى الأقيال يا مغرور
تلك آثار معشر رقدوا ... الآن فأنصت لما تقول القبور
لا يرعك التراب فهو نقي ... ذهب الغل والأذى والغرور
إن ما فيك من خبيث سيفنى ... وستأتي وأنت طين طهور
وسينساك حادب وحبيب ... وسينسى وهو الجميل النضير
كل حسن إليّ آت وللدود ... مقيل في حسنه ومسير
إنما الدود للجميع سواء ... ليس بين الديدان دود خطير

فالشاعر يدعو إلى أخذ العبرة من أصحاب القبور، الذين كانوا يعيشون في قصور، وأن هذه القبور تساوي بين الناس جميعا وهي تطهرهم من الحقد والكبر والغرور، وأن الدود سوف يأكل لحمهم جميعا ولا يفرق بين أحد. فالشاعر يدعو إلى أخذ العبرة من الآخرين، وأن كل إنسان مصيره الموت، فلذاك يجب عليه أن يقنع بما عنده لأن مصيره إلى الزوال .

ومن الشعراء من استسلم للموت بوصفه حياة أجمل، أو طريقا إلى حياة أجمل، ويتمثل ذلك في الشوق إلى الموت، والخلاص من الحياة القاسية، وانتقالا إلى حياة مثالية تحن إليها نفس الرومانسي. وقد يأخذ هذا الطابع صبغة صوفية ترى في الموت طريقا إلى اتحاد الذات الفردية بالذات الكلية. فالذات الصوفية لا تشعر بوجودها إلا في إطار الذات الإلهية. وهي لا ترى سعادتها إلا في زوال الهوة بينها وبين الذات المطلقة التي تمثل الخلود والجوهر والحقيقة. ومن شعراء الأردن الذين كان لهم نزعة نحو الموت، الشاعر تيسير السبول الذي انتحر وهو في ريعان الشباب، فقد برزت النزعة الانتحارية في أدبه، حيث كان نتاجه الأدبي يتسم بالحزن والتشاؤم، وظهر التوحد بين الأديب ونتاجه واضحا عنده، حتى لتكاد أعماله تشكل سيرة فكرية لحياته وأزماته[1]. فقد أقدم الشاعر على الانتحار بعد أن وصل إلى مرحلة اليأس من انفراج أزمات الأمة، فوجد في الموت راحة له من هذه الحياة . وهكذا لم يعد الموت مشكلة أو عقبة وأصبح شيئا مستحبا؛ لأنه يقرب بين الحبيب

[1] - الشيخ، خليل: الانتحار في الأدب العربي (دراسات في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1 1997م، ص 89

والمحبوب لدى الصوفي ويحرر الإنسان من حدود الزمان والمكان لدى الرومانسي. فالصوفي يحن إلى الفناء في الله وهذا لا يتم إلا بعد الموت، والرومانسي يحن إلى الحرية المطلقة ولا سبيل إلى ذلك إلا بتحرر الروح من الجسد. ويتفق الصوفي والرومانسي في أن الموت طريق الخلود والحياة الحقيقية [1].

ويتجلى هذا الطابع لدى محمود فضيل التل، وإبراهيم نصر الله، وعبد الرحيم عمر، وعرار، وتيسير السبول، ومحمد القيسي .

يقول عرار في قصيدة بعنوان (كتابة على قبر منتحر) [2]:

علي انقضت الآلام حتى	طلبت الموت في شرخ الشباب
فأفنني الهم من قدم حياتي	وجسمي اليوم يفنى في التراب
أيا يا من يلمني على انتحاري	عتابي خله واسمع جوابي
ممات المرء أفضل من حياة	تقضى بالشقاء والاضطراب

فالشاعر يرى أن الموت هو راحة له من حياته المتعبة التي قضاها في الشقاء والألم والمعاناة. كما أننا نجد الموت عند تيسير السبول ينقله إلى عالم الطمأنينة والراحة، حيث إنه لم يستطع أن يؤدي رسالته كشاعر فرأى أن الموت هو أفضل وسيلة للشعور بالراحة، يقول في قصيدة (بلا عنوان 2)[3] :

أنا يا صديقي
أسير - مع الوهم أدري
أيمم- نحو تخوم النهاية
نبيا غريب الملامح أمضي
إلى غير غاية
سأسقط لا بد يملأ جوفي الظلام
نبيا قتيلا وما فاه بعد بآية
وأنت صديقي

---

[1] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 203
[2] -التل، مصطفى : العشيات ص 587
[3] -السبول، تيسير: الأعمال الكاملة، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط2 ، 1998م ص 196

وأعلم لكن قد اختلفت بي طريقي

عذيرك ، بعد

إذا ما التقينا بذات منام

تفيق الغداة وتنسى

لكم أنت تنسى

عليك السلام

فاليأس قد حاصر الشاعر من كل اتجاه ولم يترك له مجالا للفرح، وكما يقـول الدكتور أحمد الزعبي: " فإن القصيدة تجسد مأساة موجعة سيطرت على الـشاعر، وشكلت هاجس الموت الحتمي الذي عزم على مواجهته وخوض غماره "[1]. وكـأن الرحلة تجاه الموت أصبحت ضرورية؛ لأن الآفاق الذاتية عنده قـد وصـلت إلـى طريق مسدودة، وكذلك الآفاق الكبرى للأمة تبدو غير قابلة للانفراج [2]، يقول تيسير السبول في قصيدة بعنوان (الرحلة)[3]:

هو لا يذكر شيئا عن عذابات الليالي الماضية

تمت الرحلة

والوعد على القمة

والقمة لاحت دانية

لحظة

طرفة عين

وإذا ما ارتجت أوصاله قد يتذكر

خبرا عن رحلة هابطة

أو صاعدة

فالشاعر يجد أن الموت سينسيه هذه المتاعب، فهو لم يعد يـذكر منهـا شـيئا، فالموت هو المخلّص في نظر الشاعر من تعب وعذاب الدنيا .

---

[1] - الزعبي: أسلوبيات القصيدة المعاصرة ، ص 72

[2] - الشيخ، الانتحار في الأدب العربي، ص 98

[3] - السبول: الأعمال الكاملة ص 197-198

ويستعد الشاعر أحمد الخطيب لرحلة الموت التي يرى فيها الراحة الأبدية لنفسه التي أتعبتها الحياة، وجعلته يعيش في شقاء دائم، يقول[1] :

لهذا أعدي

طواحين نفسي الشقية

أعدي العروج

إلي

إلى ما وراء السراج

إذن

يا

بنية

ونجد الشاعر إبراهيم نصر الله ينظر إلى الموت على أنه سلّمه إلى الحياة الهانئة التي تخلو من الشقاء والمعاناة يقول [2]:

هذا أنا

وجبين إله

لا أقول لك الآن إنني سأمضي إلى الموت

لا أعشق الموت

لكنه سلمي للحياة

ويتكرر هذا المفهوم عند عبد الرحيم عمر، في قصيدة بعنوان (ضائع على الدرب) فهو يريد الخلاص من الاحتلال وتحرير فلسطين المغتصبة؛ لذلك فهو ينظر إلى الموت على أنه مهر للحياة، فالشاعر يعترف بخوف الإنسان من الموت ،فهو يرسم صورة مخيفة للموت ويشبهه بالأشباح، ولكنه يطلب من الإنسان عدم الخوف من الموت؛ لأن الحياة العزيزة والهانئة بحاجة إلى ثمن غال يقول [3]:

---

[1] - الخطيب، أحمد: باتجاه قصيدة أخرى(هنالك حيث أنا)، الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط1 2006م، ص 128

[2] - نصر الله، إبراهيم : الحواريات (الفتى النهر ... والجنرال)، المركز العربي لتوزيع المطبوعات، د.ط، د.ت، ص 165

[3] - عمر، الأعمال الكاملة، ص 32

اصرخ لعنتك صرخة الإنسان
روعة هجوم الموت، أسرابا من الأشباح
تسطو كالنسور، تجفف الدمع المطل بناظريك
سيان لا تدع انشداه الموت
يلقي روع رهبته عليك
الليل يا مولاي جسر المدلجين إلى الضياء
والموت مهر للحياة .

ويرى الشاعر محمد القيسي أن في قدوم الموت إشارة واضـحة، لبـدء حيـاة عزيزة وخلاص مؤكد من المحتلين للأرض العربية في فلسطين؛ لذلك هـو يـدعو لعناق الموت من أجل دحر المحتل وتحرير الأرض، يقول في قصيدة بعنوان(الموت والعناق) [1]:

حينما تسقط في ساحاتنا حتى الحجارة
حينما يهدم بيت تلو بيت
يصبح الموت إشارة
وبدايات لصوت
عانق الموت بوجه الريح عانق
كل لون فوق وجه الأرض، في
نسغ البدن
أنت إن أصبحت عاشق
يسقط المحتل في الطين، ويبقى
وحده مجد الوطن

ويرى الشاعر حيدر محمود أن الموت قد أصبح حرفة، من أجل العيش في حياة هانئة، وفي حرية وأمن واستقرار، يقول في قصيدة بعنوان (المدلجون غربوا)[2]:

[1] - القيسي: الأعمال الشعرية، ص 113
[2] - محمود: الأعمال الكاملة، ص 258

.. والمدلجون ..
احترفوا الموت
ليصنعوا الحياة ..
ما أجمل الموت الذي
يفضي ... إلى الحياة
والهول ..
عندما تكون في ركوبه
النجاة

فالشاعر هنا ينظر إلى الموت نظرة إعجاب؛ لأنه بالموت وحده قد تتحقق الأمنيات، التي يصبو إليها الشاعر، وهي الخلاص من الاحتلال الصهيوني لفلسطين، والحصول على الحرية .

أما الشاعر محمود فضيل التل فقد كثر ذكر الموت في قصائده، ونجده في أكثر من قصيدة يتمنى الموت للخلاص من حياته التي سببت له الكثير من المتاعب والشقاء، يقول في قصيدة بعنوان (للموت قد غنيت):[1]

مذ كنت طفلا يافعا
غنيت لحن الموت
ما كنت أستطيع العيش
ما عدت أستطيع الصمت
آثرت أن أدفن حيا
كل يوم قبل أن يمضي وقبل أن يفوت
لأنني أصلا خلقت كي أموت
ماذا إذا ؟ ماذا عساني أن أكون ؟
أكثر من أني أريد الموت
أريد أن أخلد للسكون

[1]-التل، محمود: أغنيات الصمت والاغتراب، ص82

أريد أن أنسى بأنني خلقت ذات يوم
وكنت خلقا ميتا في غفلة الحياة
فاعتدت أن أسعد في دوامة الآلام
وتغتني نفسي كثيرا من خزائن الأحزان
أتعتبون بعد هذا أن أنا أقسمت صدقا
أنني أحب الموت
كيما أريح وأستريح ؟!!

فالشاعر يتمنى الموت لأنه وجد الحياة متعبة؛ ولأنه يعرف منذ البداية أن الموت هو نهاية الحياة الدنيا، ويرى في الموت راحة له من حياته المتعبة التي يعيش فيهـا حزينا، ويصبح الموت هو بوابة الخلاص من حياة محدودة تسبب الألم لروح الشاعر التي أضناها طلب التحرر ومعانقة الحياة الحقيقية التي هي وراء المـوت. ويقـول محمود فضيل التل في قصيدة أخرى بعنوان (أيها الموت أغثني)[1]:

أيها الموت أغثني
ففؤادي يتمزق
واطوني في ثوب ليل
فدمائي ... تتحرق
آه ما أطول عمري
وعذابي يترقرق
فلم الحلم وعندي
المنى والباب مغلق
أنت يا دنيا ظلام
فيك همي يتألق .

[1]- التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان ، ص 27

فالشاعر من كثرة همومه يتمنى الموت؛ لأنه يرى في الموت راحة له من هـذه الحياة وأن عمره ضاع في الآمال دون أن يحقق شيئا من أحلامه، وأن هـذه الـدنيا تتعب من يركض وراء زيفها يقول [1]:

ضاع في الآمال عمري

وعذابي لا يصدق

وإذا مت فحلمي

خير ما أهوى وأعشق

وإذا الناس بهم

فهمومي لا تطوق

هكذا شأن الحياة

في رداها تتفوق .

وقد يئس الشاعر محمود فضيل التل من حياته؛ ولذلك فهو يتمنى الموت وانتهاء الحياة. يقول في قصيدة بعنوان (الموت أحلى منية) [2]:

متى ستنتهي الحياة يا حبيبتي؟

متى ستعصف الرياح بالسنابل

والغراس وبالورود ؟

متى سيولد الفناء يا حبيبتي ؟

كي أستريح

فقد يئست من الحياة

وكل ما في هذه الدنيا

وفي هذا الوجود

الموت أحلى منية

شوقي إليه من الطفولة قاتل

---

[1] - التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان: ص 29

[2] -التل، محمود فضيل : أنشودة المستحيل، دار أزمنة، ط 1، 2004، ص 72

كم نازعتني دائما
نفسي إليه بلا حدود .

تشكل قصيدة (الموت أحلى منية) نشيدا يتغنى فيه الشاعر بجمال الموت. فـإذا كانت الحياة تمثل الوجه الأسود وما يخفيه من آلام ومعاناة وضنى وضلال وقسوة؛ فالموت هو الوجه الآخر المشرق، هو الحضن الحنون الذي سوف يـضم شـقاءنا، وسوف يشجينا بصوت الحياة الرخيم .

ويشعر محمد القيسي بالحزن والأسى، من خلال إحساسه بتقدمه في العمر وأن الحياة شارفت على الانتهاء، يقول في قصيدة بعنوان (ختام الأغاني)[1]:

لم يعد ما يحتسى
كلما ازددت من النبع اقترابا
كلما ازددت أسى
ورأيت الأرض بابا
ورأيت الأفق شباكا مدلّى
قلت للقادم أهلا
لم يعد ما يحتسى
بلغ العمر المسا
بلغ العمر المسـا

ويقف الشاعر عصام العمد متأملا الموت والحياة، وعالم الأرواح التي لا يعلمها إلا الله عز وجل في قصيدة بعنوان (عالم الأرواح) [2]:

في ثرى الأرض وفي القبر رقد	روحه في الغيب تاهـ ـ ـت للأبد
تلكم الأرواح هل عـ ـ ـادت لنا	هل حكت عن بعض أسرار الجسد
ما أتت روح ولم ترجـ ـ ـع لنا	تطرق البـ ـ ـ ـاب ولا ميت وفد
عالـ ـ ـ ـم الأرواح تيه شاسع	كل شيء غامـ ـ ـ ـ ـض فيه أبد
فيه باب مغلق بل محـ ـ ـ ـكم	حاجز ما بيننا صـ ـ ـ ـاب وسد

[1] - القيسي: الأعمال الشعرية ، ص 643
[2] - العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 68-69

خلف ذاك البـاب لا أدري متى سوف أمضي عن رفاقـي والبلد
خلف ذاك الباب هل لي خيمـة أربط الأحبال مـ ـ ـ ـ ـنها بالوتد
خلف ذاك الباب هل ألقى الذي كان دوما هاجسي منـ ـ ـ ـذ الأمد
إنه الموت الـذي لا بـد لـي أن ألاقيـه إذا يـومـ ـ ـا وعـد
إنـه المـوت الـذي أحبـاله يربط الإنسان فيـهـا أو يـشـد
فهـي إمـا مـن حرير ناعم أو مـن الشوك وحبل من مسـد

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عما بعد الموت، عندما تخـرج الـروح مـن الجسد ويتساءل هل سبق وعادت روح إلى صاحبها ؟ وهـل اسـتطاع المـوتى أن يخبرونا بما حصل لهم ؟ وهو يريد بذلك أن يثبت لأي إنسان يتساءل عن ذلك بـأن علم الأرواح عند الله سبحانه وتعالى، وأنه من علوم الغيب، ولا أحد يعلم عنه شيئا، فالله سبحانه وتعالى قد استأثر بعلم الغيب لنفسه، قال تعالى: (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**)[1].

ويستمر الشاعر في تساؤله عن الموت، وعن مصيره، وهل سيجد من يـصلي عليه ويواريه الثرى ؟ وهل سيجد الكفن؟، كل هذه الأسئلة التي يطرحهـا الـشاعر ناتجة عن الشعور بالخوف من الموت، الذي هو لا محالة مصير كل البشر، ولكـن الشاعر يعود ويؤكد بأن ذلك كله في علم الغيب، ولكن علـى الإنـسان طاعـة الله والاستعداد ليوم الرحيل[2]:

لست أدري يوم يأتي حتفنا هل بلا قبر نوارى أم بلحد
هل سنلقى ذات يوم كـ ـفنا نرتديه أم بـ ـلا ثوب نرد
هل سنلقى من يصلي حولنا يقرأ القرآن يتلو مـا ورد
لست أدري إنه في علمـه كل هذا فهو في اللوح معد
حكمة الرحمن فيـها عبرة للذي بالخالق الباري جحد
كل إنسان سيجنـي زرعه وهو يوما آكل مما حصـد

[1] - سورة الإسراء : الآية 85
[2] - العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 70

ومن القصائد التي تجسد رؤية عميقة سوداوية للحياة، وللمصير الإنساني، الذي ينتهي بموت مؤلم لا مفر منه، قصيدة بعنوان " قالوا " للشاعر خالد محادين يقول[1]:

قالوا لهوت فقلت من شهد الحيـاة وما لهـ ـا
وسفحت أيامي على عبث السنين ولهـ وهـ ـا
ما كنت أحفل بالوجود إذا صحوت على النهى
لم أدر من أين ابتدأت ولا عرفـ ت المنتـ هـ ى
قالوا تعبت فقلت هل تعبت من النوم الجفـ ون
قدر المعذب أن يكون كما الحياة بـ ـه تكـ ـ ون
ورضيت بالدرب الطويل وقلت عاش المتعبون
قالوا وفيت فقلت مثـ ل العاشقيـ ن الأغبيـ ـاء
من علّم الطفل الجفـ ـاء فصار يبتدع الجفـ ـاء
فإذا الفجيعة والخديعة لي جـ ـ زاء ولا عـ زاء

فالشاعر في هذه القصيدة يشكل حوارية رائعة بينه وبين الناس، الذين يتعجبون من لهوه فيجيبهم الشاعر أن هذا اللهو جاء مما شاهده من أهوال في هـ ذه الحيـ اة، وكأن لهوه جاء ردة فعل طبيعية تجاه الحياة و الموت، وهو يشعر بحيـ رة عجيبـ ة حيث لا يعرف بدايته أو نهايته، ولكنه متيقن بأن مصيره هو الموت الـ ذي لا مفـ ر منه، وأن الدرب مهما طال لابد له من نهاية .

لقد كان شعراء الأردن يرون الموت طريقا إلى الحرية والانطلاق. وكما ارتبط الموت بالحرية ارتبط بالأمل، فهم يشعرون أن آمالهم التي لم يستطيعوا تحقيقها فـ ي الحياة يستطيعون تحقيقها بعد الموت. وهكذا أصبح الموت طريقا إلى حيـ اة مثاليـ ة كلها أمل وحرية وسعادة. وكما ارتبط الموت بالحرية والأمل ارتبط بالخلود أيـ ضا، فالحياة الدنيا مصيرها الفناء أما الحياة الأبدية فهي التي تعقب الموت، فهم لا يحنون إلى الموت في حد ذاته بقدر ما يحنون إلى ما بعده من حياة مثالية فيهـ ا كـ ل مـ ا ترغب الروح فيه، ويجدون في الخلود دواء لأنفسهم المضطربة القلقة. على أن هذا

[1] - محادين : الأعمال الشعرية، ص 272

لا يمنع أن شعراءنا مؤمنون بحياة أخرى بعد الموت، لقد كان إيمانهم بـالله يقـوي إيمانهم بالخلود، وهكذا تجاوزوا فكرة الموت إلى الحياة الأخرى .

2.2 التأمل في الإنسان

الإنسانية كلمة " غير محدودة الدلالة، ولا محصورة الفكرة فقد تدل على كل ما يقترن في أذهاننا من السمو بالحياة البشرية "[1]، وهي " المعنى الكلـي الـدال علـى الخصائص المشتركة بين جميع الناس، كالحياة، والحيوانية، والنطق وغيرها "[2].

" إنها مجموعة خصائص الجنس البشري المقومة لفصله النوعي، التي تميـزه عن غيره من الأنواع القريبة"[3]، وبالتالي فإنه يتحدد لنا المجال الذي يدور في فلكـه هذا المفهوم، إنه الإنسان بجسده وروحه، ولا يقف المفهوم عند هذا الحد ولكن دلالته تطورت متحددا فيها - إضافة على مجاله كما سبق - هدفها، لتصبح " تهدف فـي كل أعمالها إلى خير الإنسانية وسعادتها وإلى إصلاح الجنس البـشري سـعيا وراء الكمال والمعرفة ووصولا إلى حقيقة الإنسان المطلقة البعيدة عن كل الـشوائب "[4]، إنها نزعة البشر إلى الخير والحب والشفقة والرحمة والإصـلاح، وهـذا التـصور الأخير هو الذي استقر عليه المفهوم، وصار متداولا فيه، وأصبحنا نـسمع كثيـرا بالموقف الإنساني، والعمل الإنساني .. إلخ .

وحيث إن الأدب " هو ذلك الإنتاج اللغوي الذي يهم الإنسان من حيـث كونـه إنسان، كمخلوق بشري يضطرب على ظهر هذه الأرض، يبلـو تجـارب الحيـاة الإنسانية فتؤثر فيه تأثيرات شتى من كونه بشرا، لا من حيث كونه متخصصا فـي ناحية معينة من نواحي النشاط الإنساني "5، حيث إنه كذلك فقد تشبع بالإنسانية من ناحيتين، الأولى في مجاله وموضوعه (الإنسان)، والثانية فـي طريقـة تـشكيله ووظيفته .

---

[1] - ضيف، شوقي: دراسات في الشعر العربي المعاصر،دار المعارف، القاهرة ، ط7 ،ص 58

[2] - قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص27 .

[3] - المرجع نفسه: ص 27

[4] - المرجع نفسه: ص27

[5] - النويهي، محمد : وظيفة الأدب، مطبعة الرسالة، عابدين ، ط1 ، د.ت، ص34

وقد بدت هذه النزعة الإنسانية تبرز بصورة أكبر في الشعر العربي بعد الحرب العالمية الثانية، حيث (أخذ يعاني قضايا الإنسان وقضايا الشعوب من خلال الأحداث الكثيرة التي عصفت بالإنسانية وسبب الكثيـر مـن الـدمار والـويلات والآفـات الاجتماعية التي خلفتها الحروب كأثر طبيعي لها، ثم إن بروز الجماهير على الساحة العالمية وطرحها للقضايا الحياتية ونضالها الدائب من أجل السلام والحرية والعـدل قد أثر في الشعر العربي المعاصر، وجعل يواكب تلك الأحداث ويتفاعل معها وبها، أضف إلى ذلك الإنتاج الفكري والثقافي واطلاع الشاعر العربي على نتاج كثير من الشعوب إما عبر الكتب المترجمة وإما عبر اللغة الأصيلة لذلك النتـاج)1، واليـوم أصبح هذا البعد الإنساني مؤكدا في شعرنا المعاصر أكثر من غيره، ومـا ذلـك إلا نظرا لاتساع دائرة العالم، واحتكاك الإنسان المعاصر بالبشر وقضاياهم الاجتماعيـة والاقتصادية والفكرية، وساعد التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي شهده العصر على ذلك، فأصبح من المحتم على الإنسان الذي يريد أن يجد له مكانـا فـي هـذا العصر أن يكون متفاعلا معه، مهتما بأكثر الأمور التصاقا بالكل الإنساني، ولم يعد للنظرة الجزئية أو المعالجات المحدودة كبير شأن إذا قيـست بتلـك التـي تتـصل بالمجموع الإنساني الذي يتخطى الحدود الجغرافية والعرقية، وما مشروع العولمـة والإنترنت والقنوات الفضائية إلا أمثلة بسيطة ومؤشـرات توضـح تعـاظم ذلـك الاحتكاك [2]، حيث(حقق الترابط بين أطراف العالم نوعا من وحدة الفكر لـم تكـن متاحة للشاعر القديم، وصارت كل قضية إنسانية يعيشها الإنسان في أي مكان على وجه الأرض هي قضية الإنسان - كل إنسان - حيثما كان ... ، وإنمـا الـشاعر المعاصر هو الذي تترابط في نفسه أحداث عصره، سواء في بيئته المحلية المحدودة أو في البيئة العالمية، فتنعكس الأحداث بعضها على بعض، مشكلة في نفسه درامـا الإنسان المعاصر، وهذا بدوره معلم من معالم حياتنا المعاصرة، فنحن الآن لا نعيش قضايانا وحدها، لأن قضايانا لم تعد منفصلة في الزمان أو المكان عن قـضايا كـل

[1] - قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر ، ص58

[2] - انظر، حور، محمد إبراهيم: النزعة الإنسانية في الشعر العربي، مطبعة العين، الإمـارات، ط1، 1986، ص91

إنسان ..)[1]، ومن هنا يتبين لنا ضيق النظرة التي تقول بقصر الاتجاه الإنساني على ما يتناول فيه الأديب قضايا عالمية من خارج بيئته؛ لأن الاتجاه الإنساني قد فـرض نفسه حتى على القضايا الجزئية والمحدودة ببيئة معينة أو جماعة معينة، حيـث إن العالم كله سيعيش هذه القضية ويسمع بها ويباشر تفاصيلها أولا بأول، وقد انـصب التأمل في عصر النهضة على الإنسان، ذلك النوع الذي اثبت قدرته فـي الـسيطرة على الطبيعة، بعد الثورة الصناعية في القرن السادس عشر بأوروبا، الذي فـرض نفسه في مجالات الفكر الأخرى. من هنا " اكتشف الناس أن قدرات الإنسان لا حـد لها، وأنه إذا أطلق له العنان حقق العجب. عند ذلك هبطوا بفكرة الإله إلـى الأرض وأحلّوا فكرة الإنسان محلّه، وأصبح الإنسان مركز الكون ومحور الحياة " [2].

واتجه اهتمام الأدب إلى الإنسان يتأمل جوانبه المختلفة، متعمقا في فهم نفـسيته وعلاقته بالمجتمع وعلاقته بالكون أجمع. وانتقلت هذه الفلسفة من الغرب إلى الشرق في عصر النهضة إذ أخذ العرب يترجمون إلى لغتهم آداب الغرب وفلسفته، فانتقلت نظرية داروين التي تعد فهما جديدا للحياة بلفتها النظر إلى الإنسان وقابليته للتطـور الجسدي والفكري، كما انتشرت فلسفة نيتشه التي تؤكد على قيمة الإنسان وقدرتـه على التطور إلى الإنسان " الأعلى " الذي يبشر به نيتشه وأحدثت هذه النظرة تأثيرا في نفس الإنسان العربي الذي كان يعاني من الإحباط في حياته [3] .

إلا أن الشعر العربي لم يستطع أن يهضم ما وصل إليه من فلسفة الغرب فـي بداية نهضته إذ نلحظ له انعطافا نحو عالم الإنسان بالشكل الذي عرفه الغرب، فقـد كان مهتما بإحياء التراث العربي القديم بمجاراته في أغراض المدح والرثاء والغزل، وما جاء من تأملات في هذا الشعر قليل متفرق شأنه في ذلك شـأن الحكمـة فـي الشعر العربي القديم.

وإذا كانت النظرة القديمة إلى الإنسان ترى فيه مصدرا للشر والفـساد بـسبب استسلامه لرغباته الجسدية، فإن النظرة الحديثة أدركت عظمـة الإنـسان بـصورة

---

[1] - إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، بيـروت، دار العودة ، ط5، 1988م ص15

[2] - إسماعيل، عز الدين: الفن والإنسان، دار القلم، بيروت ، ط1، 1974، ص 82

[3] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 26

عامة، وأثبتت قدرته على التقدم نحو الخير باستمرار وأن الشر ليس من طبع الإنسان بل تخلقه ظروف اجتماعية قاهرة، وهكذا عادت إليه كرامته وقيمته في الحياة بحيث أصبح محور الأدب الحديث .[1]

وقد وجدت فكرة الإنسانية لها في التيار الرومانسي الأثر البعيد، حيث إن شعراءه قد ثاروا ثورة عارمة على القديم واتجاهاته ومفاهيمه في الشعر والأدب، وتركزت ثورتهم بنوع خاص على العادات والتقاليد والمفاسد الاجتماعية، التي كان يرزخ الإنسان العربي تحت وطأتها واتخذت لها الأبعاد الشاملة، التي تجعل من الأدب صورة للإنسان الفرد.[2] كما أن ميخائيل نعيمه يرى أن مسرح الأدب هو الإنسان يقول :" وليس كالأدب مسرحا يظهر عليه الإنسان بكل مظاهره الروحية والجسدية ،ففي الأدب يرى نفسه ممثلا ومشاهدا في وقت واحد، هنالك يشهد نفسه في الأقماط حتى الأكفان، وهنالك يمثل أدواره المتلونة بلون الساعات والأيام، وهنالك يسمع نبضات قلبه في نبضات سواه، ويلمس أشواق روحه في أشواق روح غيره، ويشعر بأوجاع جسمه في أوجاع جسم إنسان مثله " .[3]

وشملت الإنسانية في معناها عند أصحاب الاتجاه الرومانسي، جميع الفضائل المتمثلة بالخير والمحبة والعدل، كما جمعت تحت لوائها توق الإنسان وطموحه إلى أسمى وأنبل الغايات بعيدا عن كل أشكال التعصب والتفرقة والاختلاف، كما تدعو إلى نبذ كل ما يفرق بين الإنسان والإنسان لأنها تنظر إلى أن الناس من طبيعة واحدة، وأن الشكل واللون والمظهر الخارجي الذي يميز بين البشر، ما هو إلا أثر من آثار البيئة والطبيعة على الإنسان[4].

وهكذا فإن الإنسانية بنظر أصحاب الاتجاه الرومانسي، تضم كل المعاني المطلقة التي لا تحدها الحدود، فهي دعوة شمولية تستمد بذورها من الحياة المثالية، الخيالية التي يطمح إليها البشر في أرق اللحظات وأصفاها؛ ولذلك فقد لاقت هذه الدعوة عند شعراء الأردن منذ مطلع القرن العشرين حتى منتصفه مجالا رحبا نظرا

---

[1] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية، ص 27

[2] - قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 42 ـ 43

[3] - نعيمه، ميخائيل : الغربال، دار صادر،بيروت ، ط6، 1960، ص 26

[4] - قميحة : الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 44 ـ 45

لما تحمله من ثورة على المفاهيم التقليدية، ولما تدعو إليه من قيم شاملة وتجديدات في الفكر والمشاعر والموضوعات، وأصبحت هذه النزعة الإنسانية في الشعر من أهم مقومات وجوده وانتشاره وخلوده، ذلك لأن هذا " النوع من الشعر الإنساني يتصل بالنفوس اتصالا شديدا، ويحلق بالأرواح والأفئدة ويرتفع إلى آفاق الروح الأعلى، ويجعله منطلقا مع الكون في صلوات وابتهالات فيها مس من الصوفية المتزهدة وفيها مع ذلك ظلال من الشك والتساؤل، وألوان من الإيمان واليقين، ومثل هذا الشعر الإنساني يدني الإنسان من بارئه ويقصيه عن العالم المائر بالأطماع والشهوات "[1].

لقد كان اهتمام شعراء الأردن بالإنسان كبيرا في أشعارهم التأملية، وهذا ينطبق على نظرتهم إلى الأدب التي ترى في الإنسان محورا له، فنظرتهم إلى الإنسان - مثلا - بصورة عامة نظرة محبة وتقدير، لما حباه الله من مكانة في الكون ، بصورته صاحب رسالة معرفية في الحياة ترقى به إلى مالك السماوات، وقد جعله الله خليفته في الأرض كما قال تعالى: " **وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة ".**[2]

ونحن لا ننكر أن شعراء الأردن قد استقوا اهتمامهم بالإنسان وشيوع الروح الإنسانية في شعرهم من فلسفات الشرق ودياناته، غير أننا لا ننفي في الوقت نفسه أن تكون الحياة المادية التي طغت على مجتمعاتنا قد ولّدت فيهم رد فعل على وضعية الإنسان، فنزعوا إلى المحبة والأخوة كثورة على الوضع المادي الذي قضى على إنسانية الإنسان .

وقد كانت نظرة شعراء الأردن إلى الإنسان تتجاوز الفروق الطبقية، والعرقية والدينية والإقليمية، وهذه النظرة إلى الإنسان مثالية، فالإنسانية بمعناها المطلق كما يرى الدكتور عمر الدقاق:" نزوع وجداني أصيل إلى التعاطف بين الإنسان وأخيه الإنسان، وشعور ذاتي عميق بوحدة الجوهر بين البشر كافة، وحدة تعلو على

[1] - هدارة، مصطفى: التجديد في شعر المهجر، دار الفكر العربي، ط1، 1957، ص 108
[2] - سورة البقرة :الآية (30)

الطائفية والإقليمية والعنصرية، وتطمح إلى السمو بالنفس نحو المثل العليا وتطهيرها من شوائب الأنانية والنفعية" [1].

لقد أخذت كلمة الإنسانية في الأدب تتردد على أفواه شعراء الأردن، في مطلـع القرن العشرين، نتيجة لما تضمنته من معان تسمو بالإنسان وحياته، وتعمـل علـى تحقيق الأفضل له وأصبح لها وقع عميق ومؤثر في النفوس، لارتباط معناها بتطلع الإنسان نحو السعادة والمثل التي يحلم بها ويعمل جاهدا لتحقيقها وتمتـين صـلاتها الحية. وقد برز هذا الاتجاه لدى العديد من شعراء الأردن، وأخذ حيزا في أشعارهم ينم عن عاطفة شديدة، يقول عيسى الناعوري في قصيدة له بعنوان" أود أن أرى" [2]:

يحزن قلبي أن أرى   برعم زهر يذبل
أو حيوانا يقتل
أو حشرة تدوسها الأقدام
يحزنني الطفل الذي   يمـد للاحسان
يديـه أو يهـان
أو يرتدي ممزق الثيـاب
وإن رأيت دمعـة   في مقلـة اليتيم
طعنت في الصميم
وأثخنت فؤادي الأيام
لكنما يبـهجنـي   أن تضحك الزهور
وتنثر العبير
وتزهو الحياة بالشباب
أود أن أرى الهنـا   في أعين البشر
مؤتلق الصور
وأن يسود أرضنا السلام

---

[1] - الدقاق، عمر : شعراء العصبة الأندلسية، 1978 ، ص 278

[2] - الناعوري: أخي الإنسان ص 24

يظهر الشاعر في هذه القصيدة رقيق العاطفة، شديد الحـساسية وتجـرح قلبـه وتدميه مناظر البؤس والشقاء، حتى ولو كانت تلك المناظر لزهرة تذوي، أو حيوان يقتل، أو حشرة تداس بالأقدام، فالشاعر إنما يتأثر لمثل هذه المشاهد؛ لأنه يرى مـن خلالها نفسه التي تقيس الأشياء عليها وتعكسها إنسانيا على الذات. وينتقل العـذاب الروحي إلى الشاعر عبر كل مشاهد الحياة التي هي في الحقيقـة رمـوز لمعانـاة الإنسان في كل مكان .

ويظهر موقف الشاعر الإنساني من خلال حزنه الشديد لمـا يعانيـه الإنـسان المتشرد، الذي يرمز له بالطفل توكيدا لصورة المأساة التي يجسدها الطفل بكل مـا يحمله من براءة وصدق، لا يعرف الخداع والزيف . ومع كل هذا الحزن والألم إلا أن الشاعر لا يفقد الأمل من السعادة، وذلك عندما يتحول الإنسان إلى زهور فواحة بالعطر والعبير تمنح البشر السعادة والهناء .

وكما يقول مفيد قميحة: " الشاعر في هذه التطلعات إنساني بالطبع، وهو كغيره من الشعراء الرومانسيين، الذين يحلمون في عالم مثـالي تـسوده شـرائع المحبـة والعدل، والسلام فنراه يتألم تألما روحيا ويتفاعل مع الطبيعـة والحيـاة، تفـاعلا وجدانيا عبر قنوات الذات التي تمتد خيوطها لترتبط بكل مظاهر الحياة والوجـود . ومن ثم تعود لتتوحد مع تلك المظاهر توحدا يصهر كل تلك الروابط، ويجعلها شيئا غير بعيد عنها، شيئا يمثلها تمثيلا صادقا إن لم يكن صورة حقيقية لها "[1] .

ويتجسد الاتجاه الإنساني لدى عيسى الناعوري في قصيدة أخرى بعنـوان " أخـي الإنسان "[2]

أخي في العالم الواسع في المغرب والمشرق
أخي الأبيض والأسود في جوهرك المطلـق
أمـد يدي فصافحها تجد قلبي بها يخـفق
بحبك يا أخي الإنسان
أحبك دونما نظر إلى لونـك أو جنسك

1- قميحة: الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، ص 77
2- الناعوري: أخي الإنسان ص 15 ـ 20

وأكره من يبث الحقد في نفسـ ـ ـ ـ ـي وفي نفـ ـ ـسك

لترقص أنت في بؤسي وكي أرقص في بؤسك

ونشقى يا أخي الإنسان

فالشاعر في بداية القصيدة يخاطب الناس جميعا بكلمة أخي، التي تحمل الكثيـ ـر من معاني الحب والإخلاص، فهولا يفرق بين الناس مهما اختلفت ألوانهم ويشاركهم معاناتهم وآلامهم. ويستمر الشاعر في بيان أسباب شقاء الناس وبؤسهم التي صنعوها بأيديهم، بسبب الجشع والطمع الذي يملأ نفوس البشر يقول :

أخي أمأساتنا ليست سوى من صنع أيدينا

فمن أطماعنا العمياء سودنا لـ ـياليـ ـ ـ ـ ـنا

ومن أحقادنا الصماء هدمنـ ـ ـ ـا تآخـ ـينا

فرفقا يا أخي الإنسان

لقد جئنا إلى الدنـ ـيا مـ ـعا لنـ ـعيش إخوانا

ونـ ـسعد بالحياة معا أحـ ـ ـ ـباء وأعـ ـوانا

ولو شئنا جعلـ ـ ـ ـنا جنة الفردوس دنـ ـيانا

فهيا يا أخي الإنسان !

إن تطلعات الشاعر إلى الأخوة الإنسانية، وما يحمله من آمال تغـ ـذي الـ ـروح الإنسانية وتشحنها بالمشاعر النبيلة، التي تهدف في النهاية إلى إزالة البؤس والشقاء عن البشر،وتكون خطوة مهمة من أجل إقامة علاقات طيبة بين البشر؛ لأن المشاعر والأحاسيس هي التي تولد الظروف الملائمة للخلاص من الألم والعذاب،ويدعو إلى إقامة الحضارات والعمران والتخاص من الأحقاد والظلم والطغيان يقول :

تعال نقم حضارات معا ،ولنرفع العمران

ونخلق في الحياة لنا مباهج حلوة الألوان

وضع يمناك في يمناي فـ ـي دعـ ـة وفـ ـ ـي اطمئنان

لنسعد يا أخي الإنسان !

دع الأطماع والأحقاد لا تجعل لـ ـ ـها شانا

فلن تسعد بالأطماع أو تـ ـ ـ ـ ـعلي بنيانا

ولن تمنحك الأحقاد في دنـ ـياك سلطانا

فدعها يا أخي الإنسان !

ويستنكر الناعوري على الناس إثارتهم للحروب، التـي تـؤدي إلـى هلاكهـم ودمارهم، ولا ذنب لهم في أي شيء، وهو يخاطـب الـضمير الإنـساني والعقـل ليتصرف تصرفا يدفع البؤس عن الناس ويحقق لهم الرخاء والسلام يقول :

تثير الحرب ! قل لي هل ستنجو أنت في الحرب؟

ألا يشقـ ـ ـ ـيك أن أفنى بنارك دونـ ـ ـما ذنب ؟

وهل يـ ـ ـرتاح ، إذ تفنى، ضمـيري الحر أو قلبي ؟

رويدك يـ ـا أخي الإنسان !

فبيتك يا أخـي بيتي ودربك في الدنا دربي

وعزك لهو في عزي وحبك يا أخي حـبي

وما تلقاه من ضـيم تصيب سهامه قلـبي

فيدمى، يا أخي الإنسان !

كلانا نعرف الأشـواق والآمال تحـ ـدونا

كلانا نشتهي، والحسن لا ينفك يغـ ـريـنا

كلانا نعرف الصبوات نبلـ ـوها وتبلـ ـونا

فمهلا يا أخي الإنسان !

ويتحدث الشاعر عن وحدة المصير الإنساني وهو الموت، وأن العمـر مهمـا طال فإن له نهاية ولا أحد مخلّد على هذه الأرض يقول :

أخي! نحن التقينا اليوم
في الدنيا بلا موعد
ودرب العمر مثل الحلم
مهما طال لن يخلّد
سنمضي مثلما جئنا
وذاك مصيرنا الأوحد
سلاما يا أخي الإنسان!

وقد نظر الناعوري إلى الإنسان بغض النظر عن العرق محافظة على الوحـدة الإنسانية، التي يؤمن بها فالناس من أصل واحد وهو الطين، لا فرق بـين عربـي وأعجمي، وأبيض وأسود كلهم من آدم وآدم من تراب. وهذه النظـرة تتبـع للـدين أساسا؛ لأن الأديان تشترك في دعوتها إلى القضاء على النزعة العرقيـة، وتـرى الناس سواسية أمام الله مهما اختلفت أعراقهم. قال تعالى :" **يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقـاكم إن الله عليم خبير** "[1].

ومن هذا المنطلق الديني تنظر الشاعرة نبيلة الخطيب نظرة استهجان لكل مـن يفرق بين البشر حسب أشكالهم وألوانهم، فالناس خلقوا من أب واحـد، تقـول فـي قصيدة بعنوان " عنصرية "[2]:

عبتم علي سوادا لست صانـعه   من نسل آدم إنـي مثلكـم بشر
أبناء أمي فعال المـرء تقدره   ما ضر لوني و فعلي طيب عطر ؟
والله أودعني من روحـه ألقا   فكيف تجرؤ يا مثـلي و تحتقر؟
حرا ولدت وعبدا صرت في وطني   متى؟ و كيف؟ وأين العدل يا عـمر؟

وهذا عرار ينظر إلى العدالة والمساواة بين الناس،من خلال نظرته إلى مجتمع " النّور" الذي يرى فيه مدينته الفاضلة يقول في قصيدة بعنوان "بين الخرابيش " [3]:

بين الخرابيش لا عبد ولا أمـة   ولا أرقاء في أزيـاء أحـرار
ولا جناة ولا أرض يضـرجها   دم زكي ولا أخّـاذ بالثـار
ولا قضاة ولا أحكام أسلمـها   بردا على العدل أتون من النار
ولا نضار ولا دخل ضـريبته   تجبى ، ولا بيدر يمنى بمعشار
بين الخرابيش لا حرص ولا طمع   ولا احتراب عـلى فلس ودينار
بين الخرابيش لا مـال ولا نسب   ولا احتراب على حرص وإيثار

[1] - سورة الحجرات: الآية 13
[2] - الخطيب، نبيلة: صبا الباذان، عمان، ط 1، 1996، ص 16.
[3] - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 260

ولا هيـ ـ ـ ـام بألقاب وأوسمـة ولا ارتفاع ولا خفض بأقـ ـدار
الكل " زط " مسـاواة محققـ ـة تنفي الفوارق بين الجار والجـار

الشاعر يعتقد أن الزحام في المدينة قد أفسد أخلاق الناس، جاعلا إياهم يعيشون عيشة مملوءة بالقلق والخوف، فأدرك أن لا شيء يرجع لهؤلاء سعادتهم المفقودة إلا رجوعهم إلى وطن الإنسان الأول، حيث كان يعيش فيه عيشة البساطة والقناعة. ولم يكن ذلك الوطن المنشود في نظره سوى " مجتمع النّور "، حيث يعـيش فـي هـذا المجتمع أناس صادقون، ولا يوجد فيه منافقون كذابون حريصون على جمع المـال وتكديسه، فكلهم متساوون في كل شيء ولا فرق بينهم.

ويؤكد الشاعر محمود فضيل التل أصل الإنسان الذي خلق منه، وهـو الطـين يقول في قصيدة بعنوان (يا زمان الأنبياء)[1]:

أيها الإنسان لسنا
رسلا أو أنبياء
لا من النار خلقنا
أو من الشمس أتينا
إننا نحيا ونفنى
إننا طين وماء
إنما الدنيا حياة
وممات وانتهاء
أيها الإنسان مهلا
لا تزد هذا العناء
لا تكن شرا وخبثا
لا ترد سفك الدماء

فالشاعر يبين أن البشر ليسوا كالأنبياء معصومين عن الخطأ، وإنما يريـد مـن الناس أن يتركوا عنهم الخبث والشر وسفك الدماء؛ لأن الإنسان يحيا حياة واحـدة ومصيره إلى الزوال، فلماذا لا تكون هذه الحياة مليئة بالحب والوفاء؟ خاليـة مـن

[1] -التل، محمود فضيل : وجدتك عالما آخر، ص 124

العذاب والألم والشقاء، الذي يسببه الإنسان لأخيه الإنسان بسبب أطماعـه وجـشعه يقول [1]:

لا تكن للهم صدرا
ولسانا للرياء
كن عيونا وبريقا
كن شعاعا وضياء
مثلما برق السماء
كن محبا وصديقا
رائدا درب الرجاء
أيها الإنسان كم فكر ورأي
كم نبـ ـ ـ ـ ـي ؟!
كم رسول جاءنا بالحق يدعو
حاملا قول السماء ؟!
أيها الإنسان إن تمضي
سيبقى لك ذكر
فاجعل الذكر نقيا
مثل أصداء النداء .

ويتحدث الشاعر علي الكيلاني عن خلق الإنسان وأصله، ومن ثم مصيره الذي سيؤول إليه، وأن الله قد ميزه عن سائر المخلوقات، يقول [2]:

أنت من جوهر طين لازب   جبلت نفسا ففيك العـبر
نطفة قد خلقت من رحـم   فجنين فاستوى فالكـبر
فممات فتـراب هـ ـ ـين   دورة نشهدها لا نشـعر

ويتعجب الشاعر محمود فضيل التل في كثير من الأحيان، من عباد المال، الذين لا هم لهم في الحياة سوى تكديس الأموال، وإعلاء البنيان، حتـى إذ مـا أصـبحوا

---

[1] - التل، محمود فضيل : وجدتك عالما آخر، ص 125 ـ 126

[2] -الشعر في الأردن: أوراق ملتقيات عمان الإبداعية، وزارة الثقافة، ط 1، 2002، ص246.

أغنياء راحوا يتباهون بغناهم ويتفاخرون على أقرانهم بثرائهم، كما أنـه أصـبح لا يهمهم وجود الكاذب أو الخبيث بينهم وأنهم يؤولون كلّ شيء حسب أهوائهم. يقـول في قصيدة بعنوان (غياب الشمس)[1]:

الناس في زماننا
يعلون البنيان
لا يدركون حقيقة الأشياء
أو كنه الزمان والمكان
يتحسرون على الوداعة
والمحبة والأمان
ويحسبون مكانة الإنسان في ما يقتني
من أنفس الأسلاب
مما خفّ حمله من أندر الأشياء
أو من غالي الأثمان
هيهـــــــــات أن يهمهم
إن كان بينهم لئيما
أو خبيثا ... حاقدا ... أو مجرما
أو قاتل الإحساس والوجدان
فالحق ما يحلو لهم
أن يجعلوه حقا خالصا
ألا ما أرخص الإنسان عندما
تغدو الحياة لديه أوهاما
وينبوعا من الأطماع .

ويؤكد محمود فضيل التل مرة أخرى أصل البشرية؛ ليذكر الإنسان بأصله حتى لا يصيبه الطمع أو التعالي على الآخرين،يقول في قصيدة بعنوان(حقيقة الحياة)[2]:

---

[1] -التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص 23 ـ 26
[2] - التل محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 11

ما عاد يشغلني وعيد أو حكايا اللائمين
حتى علاني سؤال نفسي ... هل أنا ماء وطين
هكذا بدء الخليقة من ماء مهين .

ويصور حيدر محمود الصراع بين النفس البشرية، والظروف المحيطة بالإنسان في قصيدة بعنوان (الحصار)، حيث يشير الشاعر إلى أصل البشرية وهـو الطـين يقول [1]:

يحاصرني الطين
كيف يحاصر هذا الجدار المعلق
خيطا من النور
كيف يصادر هذا الرداء الممزق
نبض الحضور
ويمنعني من مغادرتي (الظل)
ويسد علي سبيل العبور
إلى وهج مرحلتي

فالصراع هنا قائم بين نفس الشاعر وعقله والعوامل المحيطة به، التي تحد مـن حيوية الإنسان ولذلك نجد أن النفس تتراجع إلى الظل وتبقى مختبئة.

كما يشير الشاعر إبراهيم نصر الله إلى أصل البشرية وهو الطين يقول في قـصيدة بعنوان (الدليل)[2] :

تخرج الروح من طينها نحو أرض
هي الروح و الطين

وكما يقول الدكتور موسى ربابعة: "إن العلاقة التي تتجسد في هذا المقطع هـي علاقة الروح بالأرض والطين، فالأرض تصبح روحا وطينا، وهذا امتزاج لا يسعى

---

[1] - محمود: الأعمال الشعرية، ص 193

[2] -الشعر الحديث في الأردن ونقده(أوراق الملتقى الثقافي الأول – المفرق) جامعة آل البيت ، 1997م، ص 132

إلا إلى التوحد بالأرض، وإعطائها قيمة عالية هي الروح "[1].

وتنظر الشاعرة هيام رمزي للإنسان نظرة إجلال، فهو الـذي يعمـر الأرض ويجعلها عامرة بالحياة، وسخر له الله عز وجل باقي مخلوقاته لخدمته، كما أن الله قد كرم الإنسان وجعله خليفته في الأرض، وأمر الملائكة بالسجود للإنسان،وقد خلقـه الله سبحانه وتعالى على أبهى وأجمل صورة، تقول في قصيدة بعنوان (الوعي) [2]:

فأنا الذي زرع الوجود وبث في الأرض الحياة

وأنا الذي من مهـجتي تنثال أحلى الأمنيـات

وأصبح إنـي سـيد سجدت لروحي الكائنات

وأنا الذي قد شـاءني ربي كريما في الصفات

ويتفق عصام العمد معها في هذا المعنى، بأن الإنسان هو الذي عمـر الأرض ولكنه لا يرضى بالخراب، والتدمير للأرض من قبل الإنسان ويتجه إلـى الله عـز وجل يشكو إليه المصائب التي حلت على بني البشر من فعل أيديهم، ويقـول فـي قصيدة بعنوان " الإنسان والأحداث"[3] :

أنا الإنسان

أنا من يملك الحق

ومن قد صاهر الأرض

وطهر بالتراب يديه

وعطرها بعطر الورد

وزينها بزهر حدائق الأوطان

بزهر اللوز والتفاح والرمان

بنيت هناك لي قصرا

بنيت هناك أمجادي

جعلت من الصحاري البيد جنات لأولادي ... لأحفادي

---

1 - الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقـافي الأول – المفـرق) جامعـة آل البيت، 1997م ، ص65

2 - الدردنجي: الأعمال الكاملة ص 373

3 - العمد: ديوان الوجدانيات ، ص 50

فهل أقبل ... بأن أسكت

ولا أحكي... وأشكو ما رأت عيني

وما قد حل في الميدان

ومن قد هدم البنيان

وأحرق يومها البستان

كما برز الاتجاه الإنساني في شعر حسني فريز من خـلال رفـضه للعبوديـة والذل، وتعاطفه مع المظلومين وأهل البؤس والشقاء، وإيمانه الحتمي بانتصار الحق والعدل والسلام، واحترام كرامة الإنسان، ورفضه للفوارق الاجتماعية والطبقية بين الناس وإدانته للواقع الرديء المؤلم. ومن أبرز قصائده الإنسانية التي تصور بعض أشكال العبودية، قصيدته (آثار جرش) التي تحدثت عن الظلم الـذي تعـاني منـه الشعوب، والاستغلال الذي تتعرض له من المستبدين والمتسلطين يقول :[1]

لا تسل من بنى ولا كيف أعلى ؟ إن تكن شـ ـامتا بأهل الفـنـاء

لا تسلني إن كان خوفو بنـ ـاها أو بنـاها اسكـنـدر بدمـ ـ ـاء

ليـس خوفو وقيصر غير رمـز لسيـ ـ ـاط مريـ ـعة نكـ ـراء

ألهبت كالحريق جلـ ـد المساكيـ ـن وهدت من عزمهـ ـم والمـ ـضاء

وأراقـ ـت دمـ ـوعهم ودماهـ ـم وأذابـ ـت أنـينهم في الفضـ ـاء

هـكذا كـانت البنـ ـايـات تـ ـعلـى من أنيـ ـن ولـوعة وبـ ـكاء

لقد اتسمت هذه الأبيات بالروح الإنسانية السامية، فنراه يقف منها موقف الدهشة والإعجاب، وهو يتأمل الأهرامات في مصر، ومن بنى هذه الأهرامـات، لكنـه لا يندهش من عظمتها بقدر ما يدهشه ويعذبه أولئك العبيـد الـذين بنوهـا، ورفعـوا حجارتها على ظهورهم تحت لهيب الشمس الحار.[2] وفي نهاية القصيدة يحذر الطغاة الأقوياء من عواقب ظلمهم،بأنه سوف يرتد عليهم وبـالا،ويبين أن النـشوة واللـذة والسعادة،التي يعيش فيها المستبدون الأقوياء جاءت من تعاسة وبؤس العبيد يقول:[3]

---

[1] - فريز: الأعمال الكاملة ص 78

[2]- الكساسبه، عبد الله مسلم: حسني فريز شاعرا وأديبا ص 68

[3] - فريز: الأعمال الكاملة ص 79

ها هنا يا أخي في المدرج الفخم جموع في لذة شوهاء
كلهم باسم أتى يشهد الموت مبيد العبيد و الأسـ ـ راء
كلما قهقهوا على المدرج الفخم وضجوا لفاتنات النساء
ذرف البؤس تحتهم أدمع الغيظ وثارت حفائظ السجناء
فيصيحون أين مرحمة الناس ؟ وأين الرحيم بالضعفـاء ؟!
هؤلاء العبيد سوف يبيدون جيوش الطغاة والأقـ ـ ـ وياء
إن نمت نحن لم يمت كل عبد من ظلام العبيد فجر الضياء

ويستنكر حسني فريز عدم شعور الإنسان مع أخيـه الإنـسان فـي مـصائبه، واللامبالاة التي أصبحت ظاهرة طبيعية عند أغلب الناس، فهم لا ينكرون منكرا ولا يثورون لأجل الحق يقول في قصيدة بعنوان " ويلي "[1] :

ويلي أإنسان أنا أم صـ ـخرة	لا أشتكي هـ ـ ـما ولا أتعذب
مهما رأيت من المناكر لا أرى	حقا أثور لأجله أو أغـ ـضب
هل مات حسي بعد طول ركوده	لا حس لي إنني خراب مجدب ؟

كما يتحدث عيسى الناعوري عن الإنسان الذي أصبح سببا فـي شـقاء أخيـه الإنسان، بابتعاده عن طريق الصواب، وأعمته الأطماع حتى تجاهل وتناسى جميـع الشرائع والأديان، التي تدعو دائما إلى المحبة بين البشر، فحول الحياة إلى جحيم لا يطاق بسبب أطماعه، وأهوائه يقول في قصيدة بعنوان " آلام " [2]:

ويح ابن آدم كم يحيد عن الهدى	ويلج في الآثـام والطغيـان
أعمته أطماع تجيـش بصـدره	ودماغه عن حرمة الأخـوان
داس الشرائع والفضائـل كلهـا	و جنى على ما سن من أديان
فإذا الحياة ، كمـا أراد بلؤمـه	سقر تعج بصاخب النيـران

ويعود الشاعر ويسأل قلبه الذي يشفق على الإنسان الذي يخونه أخوه الإنـسان، هل تفيد هذه الرقة والشفقة ؟ ولكنه يصل في النهاية إلى أنه لا يستطيع أن يغير خلقة

---

[1]- فريز: الأعمال الكاملة ص 258
[2]- الناعوري: همسات الشلال ص 38

الخالق، فالله قد خلق الإنسان وجعل فيه خصال الخير والشر وقد تطغـى أحـداهما على الأخرى، يقول[1] :

ساءلت قلبي وهو يندب مشفقـا لخيانة الإنسـان للإنسـان
أترى ترق، وما بغيرك رقـة ؟ ماذا تفيدك شـدة التحنان ؟
فأجاب: لا تجزع، فمالي حيلة في أن أبدل خلقة الرحمان
حمـلت آلام البريـــة كلّـهـا فأنا الشقي بكثرة الصلبان !

وقد برز الحس الإنساني عند الشاعر خالد محادين من خلال بحثه عن الإنسان الذي ينشر المحبة بين الناس، فالمحبة هي الوحيدة التي بإمكانها أن تبعث الحيويـة والدفء والأمل في كل كائن يتنفس عطر الحياة، هذه المحبة التي تغذي ذلك الروح المتجدد أبدا، لتستمر الحياة وتورق الأرض بالخير والعطاء ... لكن هذا الإنسان في نظر الشاعر قد مات يقول [2]:

نسأل عن ذاك الإنسان الإنسان
من ينشر للريح شراعا للحب شراع
من يختصر العالم علــيه
من يبني فوق الزيتونة في المهد البيت
من يشدو أعذب أغنية ...
من يمنح كل الأطفال الأيتام في يوم العيد
ثوبا أو أرجوحة
من يبعث في هذا الغاب الموبوء الإنسان
مات الإنسان

وتشكل ولادة الإنسان عند عبد الرحيم عمر مفارقة أخرى، حيث يـزداد القتـل والتدمير والعذاب، وتزداد نيران الحروب التي يشعلها هذا الإنسان، فكأن الإنـسان

---

[1]- الناعوري: همسات الشلال، ص 40
[2]- محادين: الأعمال الكاملة، ص 120

تحول عند الشاعر إلى رمز للخراب والتدمير، وأن مصير هذا الإنسان هو المـوت بأسباب مختلفة يقول[1]:

إذ يولد الإنسان أيما إنسان

توصوص النجوم في السماء ضاحكة

زاد وقود المعركة

وكلنا كنا وقود المعركة

فواحد وا أسفاه غاله الطغيان

وواحد على الفراش غاله الزمان

وواحد في برجه العاجي طاله الطوفان

وينظر عرار إلى الناس نظرة استخفاف واحتقار، وذلك لأنهم أصـبحوا عبيـدا للأقوياء والطغاة وأصبحوا كالمطايا، كلما زادهم القوي ظلما زادوا فـي احترامـه يقول[2]:

الناس، ما الناس! عبدان القوي بهم   ما بالمطية مـن مهمـاز مغـوار

يزجون من سامهم خسفا، وأرهقهم   عسفـا تحيـات إجـلال وإكـبـار

ويضفرون بأيـديـهم لقاطـعـها   حرصا على البغي، إكليلين من غار

وينظر محمود فضيل التل إلى الإنسان على أنه سبب الشر لأخيه الإنسان، فهو الذي يسبب له المتاعب والشقاء فيصوره كالبركان الذي إذا ثار فهو يدمر كل شيء يقول في قصيدة بعنوان (الطوفان)[3]:

والإنسان للإنسان به شر محقق

فبلاء العيش للإنسان أضحى

من أخيه المرء شيئا لا يصدق

---

[1]- عمر: الأعمال الكاملة، ص 127

[2]- التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 261

[3]-التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 6

ثم يتحدث عن ظاهرة الجشع التي تسيطر على النفس البشرية، فلا تقنع بـشيء حيث تبرز مطامع الإنسان المادية التي لا تراعـي مـشاعر وأحاسـيس الآخـرين يقول[1]:

الله !! كم يصبر هذا الإنسان

كم يسعى هذا الإنسان ؟

من أجل نفوس لا تشبع

من أجل عيون لا تقنع

ويدعو الشاعر الإنسان إلى اليقظة والانتباه لما يجري حوله في هـذه الحيـاة، وقبل أن تسرقه الأيام ويمضي عمره دون فائدة. يقول في قصيدة الطوفان[2] :

أيها الإنسان هل تصحو فتنجو

قبل أن تمضي بك الأيام

والأبواب تغلق

ليس إلا مرة تأتي وتمضي

لا أرى ما ينفع الإنسان شيء

غير ما كان ترفّق

فالشاعر موقن بأن الإنسان لا يعيش في هذه الدنيا إلا حياة واحدة، ويريد منه أن يعيش هذه الحياة بحرية وكرامة، وأن يدرك أن مصيره الزوال؛ ولذلك فعليه العودة إلى الله والتوبة قبل أن تقفل أبوابها عند موت الإنسان. كما أن الشاعر محمود فضيل التل يؤمن بأن الإنسان هو محور الحياة وسيدها؛ فلذلك نجده يدعوه إلـى اقتحامهـا بقوة وشجاعة، متحديا ما يواجهه من صعوبات ومتخليا عـن ضـعفه واستـسلامه يقول[3]:

كن شجاعا

واقتحم باب الحياة

---

[1] - التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ، ص 16

[2] - التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان ص 7

[3] - التل، محمود فضيل : وجدتك عالما آخر، ص 132

كن شجاعا واقتحمها
قبل أن تلقاك مهزوما
على درب الممات

ويتساءل الشاعر محمود فضيل التل كيف تـصبح الحيـاة والكـون إذا مـات الإنسان؛ لأن هذا الإنسان هو مصدر الحب، وكذلك يتساءل كيف يمكـن أن يعـيش الإنسان بلا حب يقول في قصيدة بعنوان (يا ليل)[1]:

لا أدري كيف يكون الحب
وكيف يصير الكون إذا مات الإنسان
لا أدري كيف يكون الشوق بلا نار
أو كيف يعيش الطير بلا شدو
أو كيف بلا حب يحيا إنسان .

ويتساءل أيضا عن ولادته، فهو يعلم بأنه سيولد ولكنه لا يعرف كيف ولا أيـن وهو يعيش في حيرة من أمره؛ لأنه لا يستطيع الإجابة على كثير من التساؤلات التي تحيره فيقول في قصيدة بعنوان (سوف أولد)[2]:

ذات يوم سوف أولد
غير أني لست أدري !!
كيـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـف ؟
أيـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـن ؟
متى سأولد
لا تسلني أي شيء
عن حنيني
عن شجوني
عن فؤادي
عن مصيري

---
[1] - التل، محمود فضيل : هامش الطريق ص 90
[2] - المرجع نفسه، ص 115

لست أدري أين يوجد !!
كلما آنست نارا
كلما عانقت فجرا
راعني وازددت يأسا
أحرقتني بسمة حزني وقالت
إن هذا الباب موصد

فالشاعر لا يجد إجابات لتساؤلاته ويسلم بالأمر الواقع، ويبقى في حيرة من أمره مع يقينه التام بأن معرفة الإنسان تبقى محدودة مهما حاول أن يبحث، وأن الله سبحانه وتعالى وحده العالم بالغيب.

كما تقدم نخلص إلى أن نظرة شعراء الأردن إلى الإنسان، كانت تتراوح بين المحبة والكره، والاحتقار كانت المحبة تدفعهم إلى تكريم الإنسان وتمجيده، فهو خليفة الله على هذه الأرض، وهو يسعى في هذه الحياة إلى معرفة ذاته ومتى عرف ذاته وصل إلى الإيمان بالله. ومن هذا المنطلق كان الناس في نظرهم سواسية يعكسون هذا الجوهر الإلهي. ولكنهم كانوا ينقلبون على الإنسان عندما يجدونه يسلك سلوكا لا يليق به، ومن هنا تأتي ثورتهم عليه واحتقارهم له وأظهرت دعوتهم إلى المحبة .

الفصل الثالث

اللغة (المعجم الشعري)، الانزياح

اللغة

إن للغة الشعر دوراً هاماً في بناء القصيدة في الآداب الإنسانية، ولـم يبتعـد كولوريدج عن الحقيقة عندما قال عن لغة الشعر (إنها أعظم عنـصر فـي بنائيـة القصيدة في الآداب جميعها، ففي أرضها تتجلى عبقرية الأداء الشعري، ومن لبناتها تبنى المعمارات الفنية التي تتآزر علـى إبـداعها مجموعـة عناصـر متعاضـدة متلائمة).[1]

إن الألفاظ موجودة قبل الشعر (كمواد أولية)، لكن الشعر ينسقها وينظمها بطريقة ما بحيث يخرجها عن عاديتها ليجعلها بالتواشج مع سواها شـعرية متميـزة، وذلـك بطريقة التركيب وبالمساق الذي تردد فيه وذلك: (بوساطة الخلق التصويري الـذي يكون معادلاً لانفعال الشاعر، هذا الانفعال الذي يحث الخيال علـى إعـادة تحليـل وتركيب البناء اللغوي، وذلك ببث حيوية مخصبة في الحياة الجميلة الهادئة الزاهيـة في أعراق تلك العلاقات التي يزيل عنها رتابتها وينفض نمطيتها بعد أن فقدت اللغة مجازها اللصيق بها في نشأتها الأولى) [2]

فاللغة هي المادة الأولى للأدب، أو بعبارة أدق هي القوام المادي، تماما مثلمـا يمثل اللون بالنسبة للرسم، والحجر بالنسبة إلى النحـت، والـصوت بالنـسبة إلـى الموسيقى، (بيد أن طبيعة (المادية) في اللغة تختلف عما سـواها مـن الفنـون الأخرى فاللون أو الحجر أو ما أشبههما يظل خاملا من الناحية الاجتماعية حتى يقع في يد الفنان وهو حتى هذه اللحظة لا شأن له بعملية معرفة الواقع، صحيح أن كـلا من هذه المواد يتمتع ببنيته الخاصة ولكنه منح هذه البنية من قبل الطبيعة، ولا علاقة

---

1 - قاسم، عدنان: لغة الشعر العربي ،مكتبة الفلاح ، الكويت ، ط1 ،1989 ، ص 6

2 - عيد، رجاء :لغة الشعر، منشأة المعارف الإسكندرية ،1985، ص 114

لما منحه بأية عمليات أيديولوجية أو اجتماعية، أما اللغة في هذا المقام فتمثل مـادة من نوع خاص وتتميز بفاعلية اجتماعية عالية حتى من قبل أن تطولها يد الفنان)[1].

وهذه الفاعلية للغة قبل وجودها في الأدب أو النص هي اللغة بمستواها الطبيعي أو الاصطلاحي، ودورها في هذا المستوى الدلالي دور معجمي يتحد فيه جميع من يتكلم تلك اللغة، ويلي هذا المستوى الطبيعي(المعجمي) المستوى النموذجي (الثانوي) وهو ذو بنية أشد تعقيدا من سابقه ويدخل تحته عدد من الأنظمة من أبرزها نظـام الفنون بما في ذلك الشعر، ومن هنا فإنه يصبح للشعر لغته الخاصة، تلك اللغة التي يتم إبداعها على أساس من اللغة الطبيعية (المعجمية)، ولكنها غير مساوية لها تماما لكي يصبح الشعر فنا، ولذا فإنها في تطور ونمو مستمر مع كل مبـدع وفـي كـل إبداع، ولكن هذا الجدل الإبداعي بوجهيه (المعجمي والنموذجي) لا ينبغي أن ينزاح أو ينحرف بقوة جارفة إلى أي من ذينك الوجهين، فهو عند انزياحه إلى المـستوى الأول سيفقد فنيته وتألقه وسيصبح كلاما عاديا لا جمال فيه ولا إبداع، كما أنه عنـد انزياحه الكامل إلى المستوى الثاني يتسبب في عقم المحاولة الإبداعية منذ أساسـها وبقائها رهنا بفردية صاحبها(وعجزها عن تحقيق التلاقي بين مـن يرسـل العمـل الأدبي ومن يستقبله وهو التلاقي الذي لابد منه في كل عملية أدبية تبلـغ غايتهـا)[2] .وهنا نقول بأن الإبداع الأدبي والشعري خصوصا، لا يمكن أن يخلو خلوا تاما من الدلالة المعجمية الوضعية مهما كانت درجة انحرافه وتألقه الفني، ومتى حاول الفنان أن يعمل هذا أو يبالغ في تحقيقه فإنه سينتهي بتجربة إبداعية فاشلة، يسيطر عليهـا الغموض ويقتلها التوحد والانفراد وتتضاءل أمام المتلقي جماليتها وتأثيرها، وعليـه فإن المعجم الشعري المتمثل في ما أشرنا إليه بالمـستوى الأول ينبغـي أن توليـه الدراسة الأدبية أهمية أولى وتنطلق منه إلى ما بعده من مستويات أو انحرافات، فهو المدخل الأول واللبنة الأساسية في النص الأدبي، (وبهذه الصورة فـإن معجـم أي نص شعري يمثل – في المقام الأول – عالم ذلك النص، أما الكلمات التي يتكـون

---

[1] - نقدي، مهاد، تحليل النص الشعري: ترجمة محمد فتوح، النادي الأدبي بجـدة، جـدة، ط1، 1420هـ ، ص48

1- أحمد، محمد فتوح: شعر المتنبي قراءة أخـرى، دار المعـارف، القـاهرة، ط2، 1988م ، ص32

منها فهي التي تملأ فراغ ذلك العالم، ومن العلاقة بين كلا الجـانبين تتخلـق بنيـة الوجود الشعري)[1].

وبنية اللغة تحمل في طياتها طاقة خاصة وشبكة من الدلالات، فالكلمـات بحـد ذاتها رموز صوتية أو كتابة لمواضيع من الخارج، أي لموجودات معينـة، و(أهـم خصائص اللغة التوصيلية أنها لغة دلالية بحتة، أي يتميز فيها (المدلول) الذي هـو الموجود الخارجي، و (الدال) اللفظ الرامز إلى هذا المدلول، و(الدلالة) التي هـي الصورة الذهنية المركبة من تمثل المدلول والدال.. وبهذا تـصبح اللغـة إشـارية رامزة، أي مجرد رموز إلى أشياء تتخطاها إذا نحن وعينا مرموزها الخـارجي)[2]، وإلى هذا الحد من المفهومية والاصطلاح تصبح اللغة متساوية الوجود في الكتابـة النثرية والكتابة الشعرية، ولكن وعند مزيد تمعن وفحص في المادة اللغويـة حـين وجودها في الكتابتين يتبين أن هناك فرقا كبيرا بين وجود اللغة في الـشعر والنثـر (لأن للشعر لغة خاصة داخل اللغة)[3]، ومع هذا الإيمان بمصطلح (اللغة الـشعرية) ومدى أهميته وجلاء مفهومه إلا أن هناك من يندفع وراء المبالغة في هذا المفهـوم، فتدفعه تلك المبالغة إلى تجاهل ونسيان أو احتقار الدور الدلالي للفظة متفـردة فـي الصياغة الشعرية، حتى وجد من يقول:(ينبغي أن نقبل التفرقة بين وحـدات اللغـة الأدبية وهي ما تزال بعد مادة صماء، وهذه الوحدات بعد أن تتخلق نسقا حيـا مـن العلاقات والتراكيب والأنظمة، فهي في الوضع الأول في حالة غياب جمالي مطلق، على حين هي في الوضع الثاني رهينة حضور جمالي محتمل)[4]، فاهتموا بجوانـب لغوية على حساب جوانب أخرى وما علم أولئك أن اللغـة الـشعرية لغـة شـديدة الخصوصية وهي تتميز بالتقطير الدقيق في انتقاء المواد وتنظيمها (فالكلمة بالنـسبة للشاعر ليست مجرد علامة جبرية تتحدد حقيقتها كاملة في معناها، بل هي تحـوي عدا معناها وعدا كونها كلمة في ذاتها تحوي جمالا وقيمة خاصة بهـا كالأحجـار الكريمة التي لم تصقل بعد، ولكن منها .. صفات ملموسة خاصة بها كالشكل والذوق

2- نقدي، تحليل النص الشعري: ص174

1- العزب محمد: أصول الأنواع الأدبية، ص101

3 - عشري، زايد علي: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، ص41

4 - سلام، عبد السلام: الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مطر، ص12

والنغم واللون والطعم، وموهبة الشاعر تتضح من طريقته في تذوق معنى الكلمـات وتقدير كلماتها فهو ينتقيها ويقربها من بعضها بعضا، أو يصوغها متعارضة فيمـا بينها لا لسد حاجات فكرية يريد التعبير عنها فحـسب، بـل كـذلك لمجـرد لـذة إظهارها)[1]، ويبرز في هذا المجال مبدأ الاختيار والعدول، فالأسلوب الذي يميز بين شاعر وشاعر آخر هو الاختيار والانتقاء، ومن خلال هـذه الاختيـارات اللفظيـة يستطيع الشاعر أن يعبر عما يدور بداخل نفسه من رؤى وأفكار يريد أن يوصـلها من خلال قصيدته، ومن أجل أن يكون ـ الشاعر ـ قادرا على الاختيار المناسـب يجب عليه أن يكون مطلعا وعلى أكبر قدر ممكن من خصائص لغته التي يتعامـل معها وأن يقيم علاقات حميمة مع كلماته.

فالكلمة أو اللفظة في حد ذاتها يمكن أن يستعملها الناثر والشاعر على حد سواء، غير أن الشاعر يستطيع أن يرفعها إلى مستوى الشعرية في حـين يحـتفظ النـاثر بنثريتها، من هنا لا فرق بين لفظة وأخرى؛ لأن السياق هو الذي يحدد شعرية اللفظة أو نثريتها. وكعادة الرومانسيين لم يكن شعراء الأردن يقيمـون فرقـا بـين لفظـة وأخرى، فليس عندهم أن هذه اللفظة شريفة وتلك وضيعة أو مبتذلة لأن الكلمة تكون شريفة بمقدار ما يحسن الشاعر استخدامها في سياق شعري .

فالكلمة المألوفة لها تأثيرها في النفس إذا استطاع الشاعر أن يبث فيها من روحه حتى تستوي لديه فنا خالصا لا شيء فيه وهذا ما استقام لشعراء الأردن مما يجعلنا نؤمن بمقدرة هؤلاء على تطويع اللغة وترويض الألفاظ في أشعارهم التأملية. فاللغة هي وسيلة الشاعر الأولى في بناء القصيدة وإيصال تجربته إلى الآخرين ولا شـك في (أن القصيدة موضوع لغوي من نوع خاص، واللغة توظف فيهـا علـى نحـو متميز)[2]، (فالألفاظ والعبارات هي مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منهـا الـشكل الفني، أو يرسم بها صوره الشعرية) [3].

---

[1] - سلام، الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مطر ، ص12

[2] -الربيعي، محمود: لغة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981، ص 62

[3] - هلال، محمد غنيمي: النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت، 1982، ص 408

1.3 المعجم الشعري

يختلف الشعراء في تعاملهم مع اللغة ومفرداتها التي تعد مادة الشاعر الأساسية لصياغة تجربته الشعرية، ولتشكيل صوره وعباراته، حيث يتأثر المعجم الـشعري إلى حد بعيد (بنوعية التجربة التي يعبر عنها الشاعر، أو لنقل بنوعية رؤيته)[1]، لأن (نوعية الرؤية تفرض نوعية خاصة في المعجم الشعري ، وفي التراكيـب اللغويـة المستخدمة في الشعر، وذلك بغض النظر عن الشكل الخارجي الذي يأخـذه العمـل الشعري، ومن ثم يصبح من المستبعد تماما أن يستخدم شاعر ذو رؤية واقعية معجم شاعر آخر رومنتيكي الرؤية ــ أو كلاسيكي ــ وتراكيبه اللغوية) [2].

والحقيقة أن دراسة معجم هؤلاء الشعراء الشعري، يساعد على فهـم أسـلوبهم ومدى نجاحهم في اختيار الفاظهم التي تكشف عن ملامح تجاربهم الشعرية؛ ولـذلك فإن دراسة المعجم الشعري لدى هؤلاء الشعراء تنطلق من خلال دراسة الألفاظ التي استخدمها الشعراء في قصائدهم التأملية وهي:

أ ــ ألفاظ مأخوذة من الطبيعة .

ب ــ ألفاظ تتعلق بالموت والحياة .

ج ــ ألفاظ ذات دلالات انسانية .

أ ـ ألفاظ مأخوذة من الطبيعة :

من أهم مميزات المعجم الشعري لدى شعراء الأردن كثرة الألفاظ المأخوذة من معجم الطبيعة، وقد كان شعراء الأردن، يلجأون إلى هذه المفردات لتوضيح أفكارهم في الحياة والموت.

ولعل حبهم الكبير للطبيعة هو الذي شكل معجمهم اللغوي وأغناه بمفرداتها، كما أن هناك سببا آخر يعود للطبيعة الخلابة التي نشأ فيها أغلب هؤلاء الشعراء وهـي طبيعة الأردن، " إن أكثر (الطبيعات) انعكاسا في معجم كتابها وفي ألسنة أبنائها تلك التي تملك الكثير من التلاوين ! من جبل شامخ إلى واد سحيق، إلى سهل منبسط إلى

---

[1] - إسماعيل، عز الدين: الشعر المعاصر في اليمن ((الرؤية والفن)) معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1972 ، ص 241

[2] - المرجع نفسه: ص 242

نهر صداح وتلال متفرقة، بالإضافة إلى الحقول والكروم، والبساتين والحدائق. وإذا صح التعبير قلنا إن ثمة فرقا بين طبيعة غنية وطبيعة فقيرة. إن الطبيعة الفقيرة أي ذات التكوين الواحد - كالصحراء - لا يمكن أن تغني اللسان. كما أن الطبيعة التي لا تمايز بين فصولها لا تبرز في اللسان بحده بروز الطبيعة ذات الفصول المتمايزة"[1]

وقد كانت طبيعة الأردن غنية بجبالها الشاهقة ،وأوديتها السحيقة وغاباتها وكرومها، إضافة إلى تمايز فصولها مما جعلها تترك أثرا في أنفس شعراء الأردن. وإذا كان استعمالهم لمفردات الطبيعة عاديا في تأملهم للطبيعة فإن توظيفهم لها في مجالات تأملية أخرى هو ما يلفت الانتباه ويدعو إلى التأمل .

فقد كانت الطبيعة هي التي تشكل لغتهم وتغلب على أسلوبهم، حتى أننا لا نكاد نجد قصيدة تخلو من مفردات مأخوذة منها، وقد تجلت هذه الظاهرة لدى شعراء الأردن عموما لكنها تجلت بصورة خاصة لدى الناعوري وعرار ومحمود فضيل التل.

وقد استعان شعراء الأردن بمعجم الطبيعة كثيرا من أجل إيصال أفكارهم، فهم لا ينفكون يستعملونها لإيضاح الفكرة التي يرمون إليها، وكأنهم لا يستطيعون بدونها أن يبلغوا القارئ ما يريدون. ولا نجد تفسيرا لهذا إلا في هذه النزعة الرومانسية التي غلبت عليهم ودفعتهم إلى أحضان الطبيعة يغرفون من معجمها. وهناك سبب ثان مرتبط بهذه النزعة الرومانسية يكمن في كون شعراء الأردن يربطون مواضيعهم في التأمل بالطبيعة، فإذا تأملوا الإنسان قارنوه بها، وإذا تعرضوا إلى الموت تبدت لهم أوراق الخريف المتساقطة، أو الزهور الذابلة أو الغروب، وإذا نظروا إلى النفس ربطوها بمظاهر الطبيعة فهم يستعملون على سبيل المثال لا الحصر" الربيع، الخريف، الأنهار، البحار، الجبال، الينابيع، الزهور، الغروب، النجوم، السواقي، الثلج، البلبل، الحمام، الحقول، الأغصان، الأشجار، الليل، الفجر، ... "

---

[1] - عبود، هنا: النول والمخمل (دراسة في الظاهرة الجبرانية)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1985، ص 74

فها هو حسني فريز في قصيدته العاصفة يشبه عمر الإنسان بالربيع فيقول :[1]

لا تقل يعقب الشتاء ربيع إن عهد الربيع ولّى وغـابـا
هزة أيقظت موات الأماني وأقامت في القلب عيدا عجابا

وكذلك يصور الناعوري في إحدى قصائده نهاية الحياة بغروب الشمس، حيـث تختفي الشمس عن العالم بشكل تدريجي يقول [2]:

هبط القرص رويدا
فرويدا، فرويدا
غاب منه النصف في قلب المياه
أي فيض من جلال وبهاء !
أي فيض من بهاء
يتوارى في سكون
وببطء كالحياة !

ويأتي استعمال ألفاظ الطبيعة وسيلة رمزية أحيانا، كما في قصيدة محمود فضيل التل " أمة مهددة "[3] يقول :

أتيت ألف مرة
وكنت كل مرة
أسير كالكواكب التي ترى
ولا ترى
بالأعين المجردة
وكنت كلما أتيت مرة
أرى الطيور مرة في صمتها
ومرة مغردة

[1] - فريز: الأعمال الكاملة ص 76
[2]- الناعوري: أناشيد أخرى ص 16
[3]- التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل ، ص 99

وكم رأيت في طريقي

وردة مقتولة

فالشاعر يشبه نفسه بالكواكب التي تعكس النور على الأرض، ويـشبه النـاس بالطيور .

ويرتبط عرار بالطبيعة ارتباطا وثيقا،وخصوصا المكان الأردني فلا تكاد تخلـو قصائده من ذكر للأماكن الطبيعية في الأردن، وكما يقول أحمد المصلح " فقد انحاز شاعرنا إلى المكان الأمومي، متمثلا في الأرض الأم الكبرى للخليقة، وبكل ما يحمله هذا المكان الطبيعي من مفردات الماء، والشجر والنبات والأزهار، والثمار، بوصفها ألعاب الطفل الأولى ... "[1]، ففي قصيدة " يا مي" يقول [2]:

يا مي! جلعاد الأشم كعهـده ما زال يـربض جاثما بمــكانه

والغور ما انفكت عذائر نبته وزهوره تحــنو على غـدرانه

وسماء اربد ما يزال سحابها يسقي سهول " الحصن " من تهتانه

يا مي ما برحت حمائم سدرنا تشدو مصفقة علـــى أغصـانه

ونجد حسني فريز يستخدم ألفاظ الطبيعة في قصيدة " رب أنت السلام والحب " التي يناجي فيها الله عز وجل، ويراه من خلال الزهور والنجوم يقول[3]:

رب أنت السلام والحب والعدل ونور الحيــاة والأكوان

أنت في الزهر والنجوم وأنت السر فيها وفي لطاف الأماني

وقد وردت الألفاظ التي تدل على الطبيعة في قصائد عبـد المـنعم الرفـاعي، فالشاعر في هذه الأبيات، التي يتحدث فيها عن رحلة الحياة، يقارن نفسه بـالطيور وبرائحة الزهور، التي تعشق الحياة، يقول [4]:

هل يلام الهزار حلّق في الشدو على كل ربوة وصعيد

أم يلام العبير يحلم في الليل ويسري مع الصباح الجديد

---

[1]- المصلح، أحمد وآخرون : الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي، ص 79

[2]- التل، مصطفى وهبي : العشيات ص 435

[3]- فريز: الأعمال الكاملة ص 191

[4]- الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص 33

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (الزهرة الذابلة) متأملا حال تلك الزهرة [1] :

قد طلع الصبح فأين الشذى وفيك حلم كان يرجو الصبـاح

وأذُبل الورد على عـ ـوده ومال مفتر وأغـ ـ ـفى أقـاح

وقد جفاك النور يا زهرتي وعاقرت جنبيك هوج الريـاح

ب ـ ألفاظ تتعلق بالموت والحياة :

يحتل الموت ومعانيه نصيبا كبيرا من معجم شعراء الأردن الشعري فنجد بعض الألفاظ التي تدل على الموت ونذكر منها على سبيل التمثيل لا الحـصر (المـوت، الحتف، المنون، السأم، الردى، الميت، الهلاك، الفناء، العدم، الاغتيـال، الحتـف، القبور، كأس، منكر ونكير).

وقد جاءت هذه الألفاظ من خلال قصائد الشعراء التأملية في الحيـاة والمـوت، ولعل هذه السيطرة لألفاظ الموت والمعاناة، جاءت نتيجة سيطرة حالة نفسية معينة، وكما يؤكد طلعت أبو العزم " ففي الشعر العربي الرومانسي المتخـذ مـن المـوت موضوعا شعريا، نجد أنفسنا دائما أمام علاقة خاصة وحميمة بين اللفـظ والحالـة النفسية والشعورية للشاعر، فقد أكدت تجربة الإحساس بالموت والتفكير فيه أن اللفظ في القصيدة يصبح جزءا لا ينفصل من فكر الشاعر وعاطفته معبرا عن أحاسيـسه ومشاعره. ودائما ما توحي الألفاظ والتراكيب التي يبثها الشاعر في القصيدة بنـوع التجربة التي مرت بها نفسه واهتز لها وجدانه"[2].

والتجربة التي مر بها شعراء ظـاهرة المـوت هـي تجربـة توقـع فقـدان الحياة،والإحساس بإقبال الموت، وقد فرضت عليهم هـذه التجربـة اختيـار ألفـاظ وتراكيب لغوية معينة تعد وثيقة الصلة بموضوعهم الشعري،وجزءا لا يتجـزأ مـن نماذج شخصياتهم الإنسانية [3].

فقد أكثر الشعراء من استخدام ألفاظ تعبر بوضوح عن الآفاق المعنويـة التـي حلقوا فيها، كما أنها تحدد سمات شخصياتهم الرومانسية كما تبدو في أشعارهم .

---

[1] - الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص 49

[2] -أبو العزم: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني، ص 368 ـ ـ 369

[3] - نفسه ص 369

وتتضح من استعمالات الشعراء للفظ " الموت " تلك العلاقة الوثيقة بين الشاعر وموضوع تجربته الشعرية، فكثيرا ما استخدم الشعراء هذا اللفظ مـع كثيـر مـن مشتقاته، وأسقطوا دلالاته على كل مظاهر الحياة حولهم. وإن دل هذا علـى شـيء فإنما يدل على عمق تجربة الإحساس بالموت لديهم[1].

يقول حسني فريز في رثاء القاضي رفعت الصليبي [2]:

سبيل الموت للأحياء داني … وحلو العيش مثل المـر فاني
حديث شائع في الناس نام … على ما فيه من سحق الأماني
وننكره إذا أصمى عزيزا … فتى العـــزم خفاق الجنان
فنبكي للشباب وللتسامـي … وللخلق المـصفى والمعاني

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث صراحة عن الموت، الذي هو مصير كل حي، وهو هادم اللذات، ويكرهه الناس مع أنهم يعلمون أنه حق. كما يقول فـي قـصيدة أخرى بعنوان (الدولة العثمانية)[3]:

فروا من الموت الـزؤام وأدبـروا … واد يروعهم وطـود يمكـر
ساروا على الدرب المخوف يظلهم … ليل ويهديهم صبـاح أكـدر
والموت من حيث اطـمأنوا فاغـر … فاه ويجمع شمـلهم ويبـذر
هيهات ما في العـيش خير يرتجى … ومن المنون مسـرة لا تؤثر
المـوت حـــــق والحياة بهية … والله أعلى في العقول وأكبر

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عن الموت صراحة ويذكر بعض صفاته، كما يشبهه بالوحش المفترس الذي ينتظر فريسته لينقض عليها، كما أنه يذكر كلمة أخرى تدل على الموت وهي " المنون "، وفي النهاية يقر الشاعر بأن الموت حـق وأن الله سبحانه وتعالى أكبر من كل شيء.ويقول محمود فضيل التل في قـصيدة (المـوت يحلو)[4]:

---

[1] - أبو العزم: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني ص 372

[2] - فريز: الأعمال الكاملة ص 362

[3] - المرجع نفسه: ص 219

[4] - التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل ص 40

الموت يحلو إذا ما كنت صاحبـه ويعذب الموت كي يحيا به الوطن
الموت قد صار لما اخترت أشرفه بعثا لمجد لنا يروي بهـا الزمـن
أيامنا السود لما ضل صـ ـاحبنا لما نوى بعضهم واشتدت المحـن
فالموت يحلو فما تحت الثرى أبدا إلا رؤاك التي يزهو بها الشجـن
فالموت يحلو وفي عينيك لوحتـه كروعة المجد لم يدخل له الوهن
ذاك الذي يسترد الأرض إن سلبت بمـن نلوذ إذ مـا خاننا الزمن ؟

يتمنى الشاعر في هذه الأبيات الموت ويرى فيه المخاص من العـذاب، وهـو أيضا الطريق للمجد الذي بوساطته يمكن أن تتحرر الأرض العربية المحتلة، كما أن الشاعر يذكر إضافة إلى لفظ الموت عبارة " تحت الثرى " أي المكان الذي يدفن فيه الإنسان. ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (ريح الخريف)[1]:

الآن قد يأتي الخريف
وتسقط الأوراق ثانية
فلا يأتي الشتاء طريقنا
فيضيع في هذي الحياة ربيعنا
ويموت فيها كل شيء بعدنا
حتى ولو جاء الشتاء .

فالشاعر في هذه الأبيات يتحدث عن الموت، ولكنه لا يصرح بلفـظ المـوت، وإنما رمز له بسقوط أوراق الأشجار في فصل الخريف، وهي علامة علـى دنـو الأجل، ويرمز للحياة و الشباب بفصل الربيع الذي فيه الخضرة و النضارة .

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (زمان الموت)[2]:

أعيش الموت في نفسي
وفي جسمي
وفي أضغاث أحلامي
أحس الموت في وعيي

1- التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 72
2- التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ص 85

وفي وهمي

وفي حرية جوفاء

مثل القبر

تدمي معصمي صبحا

ويمسي ثوبها شؤما

على جثمان آلامي

أعيش الموت في صحوي

وفي نومي

وفي دربي

فهو في هذه القصيدة يتحدث عن الموت، ويأتي بألفاظ تتعلق بالموت وتدل عليه مثل " القبر " و" جثمان ". ويقول عرار في قصيدة بعنوان " لماذا لم أمت ؟" [1]:

لماذا لم أمت من قبل عام   وأشفي القلب من داء السقام

فلا أبكي زمانا قد تقضى   بصفو بين أقـ ـداح المدام

ولا أشكو رفاقا قد نسوني   وحيدا صـ ـرت ما بين الأنام

ويقول في قصيدة أخرى (الموت هو الموت)[2]:

الموت حق لا جـ ـدا   ل وشكه عين اليقين

والفرض يوم جلاء مقطعه سكون الجـ ـازعين

لو ترتضي سنن الأسى   بخلا التفجع أن ندين

فالشاعر مصطفى وهبي التل في هاتين القصيدتين يتحدث عن الموت، ويـ ـأتي بلفظ الموت صراحة بالإضافة إلى بعض الألفاظ التي ترتبط بالموت كالبكاء والتفجع والحزن والأسى والشعور بالوحدة. كما أنه يذكر منكر ونكير وهما ملكـ ـان يأتيـ ـان على الإنسان في قبره، مكلفان بسؤال الإنسان عن دينه وإلهه ونبيه بعد دفنه فيقول[3]:

---

1 - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 621

2 - المرجع نفسه ص 423

3 - المرجع نفسه ص 623

زارني اليوم منكر ونكير
سألاني: يا أيها الشرير
من إلهك ؟ أجبت ذاك الضمير
بعد ذا أردفا بصوت لين :
أي دين ترى به متدين ؟!
بوضوح أجبنا عما سألنا
ثم لا تنسى كعبة وكتابا

ونلاحظ في تلك القصائد مسحة من الحزن والتشاؤم، والإحساس الحـاد بـالألم حيث اتخذت من الموت محورا تدور حوله هموم الشعراء، فظهرت فيها الانعكاسات النفسية التي ثارت في نفوسهم حين أحسوا بإقبال الموت، فأوحت ألفاظهم وتراكيبهم بنوعية التجربة، وأن هذه الألفاظ جزء لا يتجزأ من هموم الشاعر وفكره وعاطفته .

كما استخدم الشعراء ألفاظا تدل على الحياة بكثرة؛ للتعبير عن حيـاتهم الذاتيـة وكان لهذا الاستخدام صلة نفسية بمشاعرهم، وكثيرا ما يرد هذا اللفظ مقابلا للمـوت فيعبر عن تجربتهم النفسية، وهي الإحساس بفقدان الحياة وتوقع إقبال الموت.

يقول عيسى الناعوري[1]:

هكذا تمضي الحياة!
لحظة في إثر لحظة
في سكون وانطفاء
ثم لا شيء سوى الصمت العميق
والظلام المدلهم
والسكون الساحب الذيل
على وجه الحياة ! .

إن الشاعر يتحدث في هذه الأبيات عن الحياة، وكيف أنها تسير إلـى النهايـة، التي تقود إلى التلاشي و الانطفاء، فلا يبقى شيء على وجه الأرض فكـل شـيء

[1] - الناعوري: أناشيد أخرى، ص 17

مصيره الزوال، وأن هذه الحياة مهما طالت تبقى قصيرة؛ لأنها جسر العبور للحيـاة الأخرى، ثم يقول في قصيدة أخرى[1]:

ستعرف أن الوجود الكبير

قصير البقاء

وأن الحياة طريق العبور

وجسر الفناء

ويقول حسني فريز في قصيدة تساؤلات [2]:

حياتك ؟ ما حياتك ؟ أنت غر   حياة المـ ـجد أولى بالسؤال

مصيرك لست سيـ ده وماذا   يضيرك إن سكت عن المآل

ترد في هذه الأبيات ألفاظ دالة على الحياة و المصير، والشاعر يقر بأن مصيره ليس بيده وإنما بيد الله سبحانه وتعالى.

ويتكرر هذا المعنى عند الشاعر عصام العمد،في قصيدة بعنوان" الحياة الفانية " حيث يذكر الشاعر الحياة، والموت، ويتحدث عن يوم القيامة، يقول [3]:

حياة المرء في الدنيا شقـاء   يصارعها فيصرعه القضاء

فأول ما يلاقيه بـكـ ـاء   وآخر ما يداهـ ـمه الفناء

ويحشر بعد ذلك للتقاضـي   ويوم الحشر للمـ ـرء ابتلاء

فيا من قد حباك الله عقـلا   به في الخلق كان لك ارتقاء

وجودك أنت في الدنيا اختبار   فجاهد كـي يكون لك الثناء

ويقول محمود فضيل التل في قصيدة قوافل الحياة [4] :

عندما تنتهي

وتنتهي بنا قوافل الحياة

لا تقرأوا على أرواحنا شيئا

ولا ذكرا ولا مواعظ الدعاة

---

[1] -الناعوري: أناشيدي ص 34

[2] - فريز: الأعمال الكاملة ص 457

[3] - العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 71

[4] -التل، محمود فضيل: هامش الطريق ص 29

فكل شيء في حياتنا

وكل قول بعد موتنا انتهى

وكل شيء مثلنا قد مات .

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (ريح الخريف)[1]:

فحرقة الإنسان في مهد الحياة

أحب من حضن النهاية والتراب

فليته جاء الربيع

وليتنا لم نقض كل العمر

في ثوب الخريف

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن الحياة فترد ألفاظ تدل عليها، كمهد الحياة، قوافل الحياة والربيع الذي يرمز به الشاعر للحياة والشباب. ومن الملاحظ أنه لا يأتي ذكر الحياة إلا ويأتي معها ذكر الموت؛ لأن الموت هو الذي يتربص بهذه الحياة وهو الذي يدمرها، وقد يكون السبب هو حالة القلق التي يعيشها الشعراء وحالة الخوف من خطر الموت الذي يهدد كل الأحياء .

ج ـ ألفاظ ذات دلالات إنسانية :

امتاز شعراء الأردن بنظرتهم الإنسانية، فقد اتسعت قلوبهم للحب المطلق لكل الوجود ولكل ما في الوجود، وأثارتهم قضايا العدل والمساواة، والفقر والجهل والحرية والظلم، وهذه القضايا الإنسانية تملأ دواوينهم، وكان اختيار شعراء الأردن لألفاظهم التي تدل على الإنسانية موفقا ومعبرا عن الموضوعات التي طرقوها، ونذكر على سبيل التمثيل لا الحصر بعض الألفاظ التي وردت في معجمهم اللغوي و تدل على الإنسانية " يتيم ، إنسان، أخي، العدل، الظلم، الفقر، الحرمان، الحرية، العبيد، الطفل، اللاجئ، ... ". يقول عيسى الناعوري في تصوير معاناة اللاجئين في قصيدة بعنوان(من وحي الثلج) [2]:

---

1 -التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 74

2 - الناعوري: أناشيدي ص 53

يا خيمة اللاجئ يا بالية

يا ملجأ يزفر فيه الصقيع

ومدفنا لراجفات الضلوع

وللجسوم الحية الـعارية

قلبي يرى فيك غير الأسى والدموع

وغير هذا الثلج يخـفيك

يا خيمة اللاجئ يا بالية

فالشاعر في هذه القصيدة يشعر بمعاناة اللاجئين في خيامهم، التي لا تقيهم بـرد الشتاء وقد عبر عن هذه بلغة إنسانية شفافة، استطاع من خلالها أن ينقل لنا صـورة حقيقية لمعاناة اللاجئين في فصل الشتاء، ويستمر في وصف هذه المعاناة الإنـسانية الناجمة عن احتلال فلسطين وما شهده أهلها من قتل وتدمير وتشريد حيث يقول [1]:

أطمار أطفالك تحت الثلـوج

لطخة عار في جبين الحـياة

ووصمة، بل لعنة في الجباه

جباه ظلام عتـــاة علوج

هم أصل بلواك

وكل بلوى الشعوب

أعطتهم القوة حق البقاء على حساب العزل الأشقياء

فالويل واللعنة للأقوياء

كما أنه يصف معاناة الشعب الفلسطيني في قصيدة أخرى فيقول[2]:

لهفي على وطن الأباة تمزقـت أشلاؤه ببـــراثن الظلام !

أطفاله الأيتام ... من يرجونـه للجوع، أو للعري والأسقام ؟

ونساؤه .. ، من ذا يجير نساؤه أو من يكفكف دمعهن الهامي ؟

---

[1] - الناعوري: أناشيدي ص 54

[2]- المرجع نفسه ص 66

تظهر الألفاظ ذات الدلالات الإنسانية في هذه الأبيات كاليتم و الجوع والعـري، وهي كلها تدل على مدى معاناة الشعب الفلسطيني، فاليتيم بحاجة لوالديه، والجـائع بحاجة إلى الطعام والشراب والعريان بحاجة إلى اللباس، وهذه الأشياء هـي أبـسط متطلبات الحياة ولكنها غير متوفرة للشعب الفلسطيني بسبب الاحتلال.

وتبرز النزعة الإنسانية عند الناعوري، حيث يحزن ويكتئب؛ لرؤيته طفل يتـيم حرم من أبسط مقومات الحياة، ويظهر عليه الحزن والألم والجوع والعري يقول[1]:

بي لمرآك غصة واكتئاب
وبقلب الحنان منك التهاب
أنت في قصة الشقاء كتاب
وجهك الساهم الممرغ بالذل
وهذا الحـقير من أطمـارك
وذبول العينين، فيه تجـلت
ظلمة الليل في صميم نهـارك
كل هذا وذاك لطـ ـخة عـار
حملتها الحياة من بعض عارك

وقد تناول حسني فريز في الكثير من قصائده قضايا إنسانية كالعبودية والفقـر والحرمان والبؤس والشقاء واستعباد القوي للضعيف، حيث يقول[2]:

لا تسلني إن كان خوفو بناها	أو بناها اسكنـ ـ ـدر بدماء
ليس خوفو وقيصر غير رمز	لسيـ ـ ـاط مريعة نكراء
ألهبت كالحريق جلد المساكين	وهدت من عزمهم والمضاء
وأراقت دمـ ـوعهم ودماهم	وأذابت أنينـ ـهم في الفضاء

ويتحدث الشاعر عن قضية الفقر والحرمان التي يعيشها الإنـسان يقـول فـي قصيدة "العيد "[3]:

---

[1]- الناعوري: أخي الإنسان ص ص 27 ـ 28
[2]- فريز : الأعمال الكاملة ص 78
3- المرجع نفسه ص 81

لمن العيد والمنى ؟ لمـن الحب والأمل ؟
لمن العـيد باسم ؟ ينـثر السـحر والقبل
للحـ ـزانى وأدمع تمـ ـلأ السهل والجبل
لقمة الخبز عندهم أصبحت مضرب المثل
كم فتاة تضورت وفتى بـ ـات في خبل!!

ويبين المعاناة التي يعيشها الإنسان والحزن والشقاء فيقول في قصيدته "صور"[1]:

هذه يا أخـ ـي صورة إنسـ ـان شقـ ـ ـ ـي معـ ـذب في البلاد
وقف الشعر حـ ـ ـ ـائرا في مدى البؤس وعمق الجراح والأصفاد
كم عيون لم تعرف الغمض دهرا لا ترى في المقام غير العوادي

كما أننا نجد في معجم شعراء الأردن من الألفاظ الإنسانية، ما يدل على أصـل الإنسان وهو الطين، الذي خلق منه، يقول محمود فضيل التل[2]:

ما عاد يشغلني وعيد أو حكايا اللائمين
حتى علاني سؤل نفسي ... هل أنا ماء وطين !!
هكذا بدء الخليقة ثم من ماء مهين

كما يشير الشاعر إبراهيم نصر الله إلى أصل البشرية وهو الطين يقـول فـي قصيدة بعنوان (الدليل)[3]:

تخرج الروح من طينها نحو أرض
هي الروح والطين

ويتحدث الشاعر علي الكيلاني عن خلق الإنسان، وأصله الذي خلق منه وهـو الطين، ومن ثم مصيره الذي سيؤول إليه، يقول[4]:

---

1 - فريز: الأعمال الكاملة، ص 103

2 - التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 11

3 - الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقافي الأول – المفرق) جامعة آل البيت، 1997م، ص 132

4 - الشعر في الأردن: أوراق ملتقيات عمان الإبداعية، وزارة الثقافة ط 1، 2002، ص246.

أنت من جوهر طين لازب جبلت نفسا ففيك العبر

نطفة قد خلقت من رحـم فجنين فاستوى فالكبر

فممات فتـراب هيـن دورة نشهدها لا نشعر

ويشير الشاعر حيدر محمود في قصيدة بعنوان(الحصار)، إلى أصـل البـشرية وهو الطين يقول[1]:

يحاصرني الطين

كيف يحاصر هذا الجدار المعلق

خيطا من النور

وترد ألفاظ الرق والعبودية في قصائد عـرار، يقـول فـي قـصيدة "المدينـة الفاضلة"[2]:

بين الخرابيش لا عبد ولا أمة ولا أرقاء في أزياء أحرار

ولا جناة ولا أرض يضرجها دم زكـي لا أخاذ بالثـار

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يرفض الرق والعبودية، وهو يـرى أن جميـع البشر متساوون ولكن هذا الأمر غير موجود في مجتمعنا، وإنما يرى الشاعر أنـه موجود في مجتمع النور.

2.3 الانزياح

" الانزياح هو استعمال المبدع للغة مفرداتها وتراكيبها وصورها استعمالا يخرج بها عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وأبـداع وقوة جذب وأسر " وبذلك يكون الانزياح هو الفيصل بين الكلام الفني وغير الفنـي. وبالانزياح وحده يمكن للأدب أن يرتقي، ويمكن للأديب أن يخلّد[3].

الشعر له خصوصية واضحة في استعمال اللغة والدعوة للانزياح وتميز لغة كل مبدع من سواه لا يعني أن يهدمها لأن " ما يتغير هو معجم اللغة نظـرا لارتبـاط

1 - محمود: الأعمال الشعرية، ص 193

2- التل، مصطفى وهبي : العشيات ص 260

3- ويس، محمد أحمد: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتـاب العـرب، دمـشق ط2002،1 ، ص 5

اللغة بنشاط الإنسان الإنتاجي في كل مجالات عمله دون استثناء، أما نظام القواعد فلا يتغير إلا ببطء شديد نحو تحسين القواعد وأحكامها مجددا. من هنا فإن كل عمل أدبي هو مجرد انتقاء من لغة معينة على أن لا يفهم الانتقاء أنه انتقاء من أشياء جاهزة بل هو خلق خاص "[1]

وللانزياح إضافة إلى كونه عامل تميز للخطاب الأدبي دور جمالي كبير يسهم في لفت انتباه المتلقي، ومن ثم التأثير فيه وتوصيل الرسالة التي يريدها الخطاب، فالتفاعل ضروري وهام بين العناصر المنزاحة والعادية لأن هذه العناصر دون تفاعلها لا أهمية لها بل قد تكون عوامل معيقة لشعرية الخطاب.

إن الشيء الثابت هو النظام النحوي أما المتغير فهو المفردات التي تشمل وظائف هذا النظام مما يخلق لكل نص خصائصه الشعرية والتركيبية، هذه الخصائص التي تتواشج مع النصوص الأخرى بحيث تصير عوامل مميزة لخطاب هذا الباث أو ذاك[2].

قد يضطر بعض الشعراء، عندما يتملكه وحي الشعر وانفعاله، وإحساسه إلى ارتكاب مخالفات يتجاوز العلاقات المألوفة بين الألفاظ، فيلجأ إلى أعراف لغوية أو وسائل لغوية تكون محل ملاحظة، ونقد لخروجها على المعيار ولا يدل ذلك بالضرورة على ضعف الشاعر، وعدم تمكنه من أدواته، بل قد يدل على نفوره وعدم انقياده وتمرد نفسه على المألوف، وهو ما تنبه له شعراء الأردن، وقاموا بالتذكير به[3]. وللانزياح عدة أشكال منها الانزياح الدلالي، والانزياح الإسنادي، والانزياح الطباعي، والانزياح التركيبي.

---

[1] - الأسعد، محمد: مقالة في اللغة الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1980، ص 40

[2] - شرتح، عصام: الانزياح واللغة الشعرية في النظرية النقدية والأسلوبية الحديث، جريدة النور السورية، تاريخ العدد 2004/10/27م، شبكة الانترنت

[3] - مجاهد، عبد الكريم: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه (عشيات وادي اليابس) المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد 82، 2003 ص 106

الانزياح التركيبي

يدرس هذا النوع من الانزياح طريقة الربط بين الدوال بعضها ببعض انطلاقا من العبارة الواحدة إلى التركيب و الفقرة[1]، والشاعر على حد قول كوهن، شاعر" بقوله لا بتفكيره وإحساسه، وإنّه خالق كلمات، وليس خالق أفكار، وترجع عبقريته كلها إلى الإبداع اللغوي"[2]، ولكن هذا الحكم لا يؤخذ على حرفيته،فيظن ظان أن من طبيعة الشعر أن يخلو من الفكر[3]. وسنعرض إلى نمطين من أنماط الانزياح التركيبي وهما: التقديم والتأخير،والحذف.

أ- التقديم والتأخير

يعد هذا الباب من الأبواب التي طرقت من قبل العلماء العرب القدماء، فقد عقد عبد القاهر الجرجاني له فصلا في مؤلفه (دلائل الإعجاز)، قدمه بقوله: " ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "[4]، وتقوم ظاهرة التقديم و التأخير في الأدب على أساس انتهاك نظام الرتبة في اللغة، حيث يعمد المبدع إلى تحريك الكلمات عن أماكنها الأصلية إلى أماكن أخرى جديدة، فيقدم ما حقه التأخير كالخبر أو المفعول به، ويؤخر ما استحق التقديم كالمبتدأ أو الفعل، ويكون ذلك لغرض فني أو جمالي يود تحقيقه [5]. كما أنه يقوم بإثراء أدبية الأديب وهو كما يقول أحمد ويس:" طاقة أسلوبية ذات معين لا ينضب، وفيه تتجلى إمكانات المبدع في الصياغة والتعبير"[6] .

---

1 - ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ص 103

2 -كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، ص 40

3 - ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ص 104

4- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 1999م، ص 96

5 - الرواشدة، أميمة : شعرية الانزياح ، منشورات أمانة عمان 2004، ص 187

6 - ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ص 174

ويعد التقديم والتأخير من أبرز الإمكانات اللغوية التي اتكأ عليها شعراء الأردن في صياغة عباراتهم الشعرية، وذلك في محاولة منهم للاستفادة من طاقتها الإيحائية والتأثيرية في هذا المجال .

تبرز ظاهرة التقديم والتأخير عند عرار " الذي جعل من تجاوزاتـه ومخالفاتـه اللغوية المعادل الموضوعي لرفضه أنماط الحياة الاجتماعية البائـسة، والـسياسية الثقيلة الراكدة "[1]. ومن الأمثلة على التقديم والتأخير في شعر عرار تقديم المتعلق من الجار والمجرور أو الظرف على الفعل، يقول[2]:

أهكذا حتى ولا مرحبا ~ لله أشكو قلبك القلبا

فالشاعر هنا قدم الجار والمجرور (لله) على الفعل (أشكو)؛ لأنه يعاني من تقلب قلب محبوبته، فهي كل يوم على حال والشكوى هنا لله سبحانه وليست لغيره " فالقلب المتقلب القاسي لابد للمغرم به أن يشكوه، ولكن ليس إلى صاحبه وإنما لخالقه، لمـن يقلب القلوب بين يديه الله عز وجل، فكان لابد من تقديمه فالشكوى إليه لا مذلة فيها وقد تكون الاستجابة فيها، والشاعر لا يفقد الأمل فلعل الله عز وجـل يرقـق قلـب محبوبته فيبلغ مأربه بتقديم الشكوى إليه"[3]. ومن الأمثلة التي يقـدم الـشاعر فيهـا الظرف على الفعل، قوله في قصيدة " الحنين إلى الجزيرة " مخاطبا نفسه[4]:

أفي كل يوم أنت مضنى مروع ~ تشوقك أوطان وتصبيك أربع

لقد قدم الشاعر "في كل يوم " على كل ما تلاها، ولم يكن من همه في الدرجـة الأولى بيان تلك الحالة التي تتلبسه فلا غرابة فيها، فهي حالة تنتاب أكثـر النـاس، ولكنه أراد أن يبرز ديمومة هذه الحالة وأنها لا تفارقه بتقديمه المتعلق الظرفي، فكأن معاناته ليس من وجودها ولكن من زمنها وتكرارها اليومي، ففـي تـساؤله مقـدما الظرف على غيره يحمل دلالة واضحة على قلقه وأرقه من الزمن الذي ينتابه فيـه،

---

[1] -مجاهد: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه(عـشيات وادي اليـابس) ص 107

[2] - التل، مصطفى وهبي: العشيات، ص 128

[3] -مجاهد: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه(عشيات وادي اليابس) ص 109

[4] - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 291

فقد يتحمل الترويع والضنى والشوق لمرة أو لمرتين ولكن مـا يؤرقـه أن تتـوالى بتوالي الزمن، وبما أن الزمن لا ينقطع فلا يبقى لديه أمل في انقطاع حنينه، وهو ما يتوافق مع الدلالة الكلية للنص[1].

ويظهر الانزياح عند الشاعر عيسى الناعوري بتقديمـه المتعلـق مـن الجـار والمجرور على الفعل في قوله[2]:

من فؤادي الكليم أستمد الدموع

فالشاعر قدم الجار و المجرور " من فؤادي " علـى الفعـل " أسـتمد "، فمـن الطبيعي أن يشعر الإنسان بالحزن والألم، ويبكي من شدة هذا الألم، ولكن الألم عند الشاعر هنا أعمق فهو يملك قلبا حزينا مجروحا، وأراد الشاعر أن يبين شدة معاناته وألمه؛ ولذلك قدم الجار والمجرور.

ويظهر التقديم عند الناعوري في قصيدة بعنوان " خيمة اللاجئ " يقول[3]:

ومن دموع البائسين الجيـاع
في أعين الأطفال و اليافعين
يفجر الحقد بكـل اندفـاع
صواعقا سوف تدك الحصون

لقد قدم الشاعر " من دموع البائسين الجياع " على الفعل " يفجر الحقد"، ولعـل الشاعر هنا يريد أن يبين قوة هذه الثورة التي ستنفجر في وجه الأعداء، فكلما زادت المعاناة زاد الحقد على الأعداء، فالناس يعيشون حياة بائسة ولا يجدون ما يأكلونـه وهم معرضون للهلاك، فهذه المعاناة سوف تفجر الثورة بقوة، فالتقديم أدى هنا دورا دلاليا عميقا.

ويبرز الانزياح عند عبد الرحيم عمر من خلال تقديمه الظرف على المفعول به

---

[1] -مجاهد: الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه(عشيات وادي اليابس) ص 112

[2] - الناعوري: همسات الشلال، ص 34

[3] - الناعوري: أناشيدي ص 55

وتقديمه الجار والمجرور على المفعول به، ذلك في قصيدة بعنـوان "إلـى والـدي جمال"[1]:

مفارقنا التي شابت و نحن نفر من بلد إلى بلد

تطاردنا نيوب الليث من بلد إلى بلد

هنا أحنت أمام الموت هامتها

وألقت في مهب الريح رايتها

الترتيب النحوي للجملة " أحنت هامتها أمام الموت "، والجملـة الثانيـة " ألقـت رايتها في مهب الريح "، فالشاعر هنا استخدم التقديم والتأخير؛ ليؤكد المعنى الـذي يريده، وهو الاستسلام التام والانحناء أمام الموت، وفي الجملة الثانية أراد أن يبـين من خلال التقديم الحال التي وصلت إليها الأمة وأنها عرضة للمصائب والأهوال في كل حين.

ويظهر الانزياح عند حسني فريز من تقديمه الجار والمجـرور علـى المفعـول به،يقول في قصيدة بعنوان (هوى المجد)[2]:

أريد للناس حبا عارما وهوى   يسمو بهم عن حقارات وأضغان

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور " للناس " على المفعول به " حبـا " يؤكد على مدى حبه للناس، وأنه يريد هذا الحب للناس وليس لنفسه؛ لأنه يريـد أن يعيش في مجتمع مليء بالحب، والأخوة والمودة، هذا الحب الذي يخلصهم من الحقد والكراهية.

ومن مظاهر الانزياح عند حسني فريز هو تقديم الجار والمجرور على الفاعـل في جملة(فلا يغترر بالعيش حر)،يقول حسني فريز في قصيدة بعنوان(وقفت علـى البسفور)[3]:

فلا يغتر بالعيش حر فإنه   لأقصر مما يدعيه وأخيب

---

[1] - عمر: الأعمال الكاملة، ص 209

[2] - فريز: الأعمال الكاملة، ص 102

[3] - المرجع نفسه، ص 214

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور " بالعيش " على الفاعل "حر " يركز على قضيه هامة، وهي مدى تمسك الإنسان بالحياة، ولكنه يريد أن يبين أن الإنسان العاقل لا يغتر بالحياة الدنيا؛ لأنها نعيم زائل فالإنسان الذي يتمسك بالحياة الـ دنيا لا شك أنه خاسر في النهاية.ويظهر التقديم عند حسني فريز من خلال فصله بين المبتدأ والخبر بالجار والمجرور في الجملتين التاليتين " الموت بالشباب ينادي"، و"الأرض بالدماء تمور" يقول في قصيدة بعنوان (قف قليلا)[1]:

وإذا الموت بالشباب ينادي وإذا الأرض بالدماء تمور

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور " بالشباب " يريد أن يبـ ين ازديـ اد القتل بين الناس وأن الموت أصبح لا يفرق بين كبير أو صغير، فبـ سبب الحـ روب أصبح الموت يقضي على الجميع وأصبحت الدماء تسيل على وجه الأرض.

ويبرز الانزياح عند محمود فضيل التل، من خلال تقديمه الخبر على المبتـ دأ " في رحاها العمر ضاع "، فالترتيب النحوي للجملة هو " العمر ضاع في رحاهـ ا"، وكذلك تقديم خبر صار على اسمها " صار في الدنيا شقائي "، يقول محمود فـ ضيل التل[2]:

لي سؤال عـ ن حيـ اة
في رحاها العمر ضاع
صار في الدنيا شقائي

فالشاعر من خلال تقديمه الجار والمجرور، يريد أن يؤكد حقيقة واحده وهي أن هذه الحياة تأخذ الإنسان في دوامتها، وإذا لم ينتبه الإنسان إلى ذلك فإنه سوف يضيع في هذه الدنيا؛ لأن هذه الدنيا هي دار شقاء وتعب ليس فيها مجال للراحة.

ومن مظاهر الانزياح عند حيدر محمود تقديمه المفعول به على الفاعل يقول[3]:

---

[1] - فريز: الأعمال الكاملة، ص 217

[2] - التل، محمود فضيل: آخر الكلمات، ص 109

[3] - محمود : الأعمال الكاملة، ص 275-276

فليتقاسم وحل الأرض
سماسرة الأرض
ووسخ العمر
سماسرة الأشياء

فالأصل في ترتيب الجملة " فليتقاسم سماسرة الأرض وحل الأرض "، ولكن الشاعر قدم المفعول به ليبين جزاء من يساومون بالأرض العربية لأعدائهم، وهو الوحل الذي لا قيمة له وقد يتسخ من يمسك به، كما قدم الشاعر المفعول به على الفاعل في البيت الذي يليه؛ ليعطي نفس المعنى الذي يريده الشاعر.

ب - الحذف

يعد الحذف من الظواهر الأسلوبية التي تعكس جمالا على النص الشعري، وقد عبر عنه عبد القاهر الجرجاني بقوله: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن "[1].

وتبرز ظاهرة الحذف عند شعراء الأردن في أكثر من قصيدة، وقد لجأ إليه الشعراء من أجل إثراء نصوصهم أدبيا، وهو يقوم على حذف أحد طرفي الإسناد على الأغلب " وذلك من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يسقط أحدهما اعتمادا على دلالة القرائن المقالية أو الحالية "[2]، وقد قيد البلاغيون الحذف بشرطين أساسيين هما:

"1- وجود ما يدل على المحذوف من القرائن

2- وجود السياق الذي يترجح فيه الحذف على الذكر "[3]

[1] - الجرجاني : دلائل الإعجاز، ص 121

[2] - عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، ط1، 1994، ص 313

[3] - المرجع نفسه: ص 322

والحذف بطبيعته يكون لدى المتلقي ذلك التأمل والبحث عن المحذوف، ومحاولة استكناه جمالية حذفه في موضعه الموجود فيه، وهنا تصبح هذه النظرة إلى الحـذف وقيمته قد أضافت قيمة أخرى للحذف، وشكلت احتفاء أكثر فلم تعد النظرة إلى قيمة الحذف مقتصرة على عامل الإيجاز والتكثيف وطرح ما يعوق عمليـة الاتـصال. وستتوقف الدراسة عند بعض النماذج التي تبدى فيها الحذف لتبين مدى ارتباط هذه الظاهرة بالدلالة الشعرية.

يقول حسني فريز[1]:

شكى الدهر قبلي النابهون و أكثروا	وقالوا به قولا يدق عـن الحصـر
غبـي يطـم الأغبيـاء بوفـ ـره	ويترك نزر الأذكياء علـى النـزر
لئيم يـرى البأسـاء ران أتيهـ ـا	ويضحك عند المكثرين على العسر
جهول يطيع الجهل في كل مطرح	ويحرن عند العلم من غير ما عذر

تكرر في هذه الأبيات حذف المبتدأ الذي جاء ضمير غائب " هو " مشيرا إلـى الدهر مرات عديدة في الأبيات السابقة، وقد تضافر هذا الحذف المتكرر مع تكرار الصور السلبية لهذه المبتدآت المحذوفة في إبراز الصورة السلبية للدهر الـذي أرق الشاعر بنوائبه.

ويقول خالد محادين في قصيدة بعنوان " أغنية إلى مدينة حزينة "[2]:

وحدي من تشويه الشمس في طابور المشويين

وحدي من يطرد

اسمي في القائمة السوداء

و التقرير يقول:

يعشق هذي الأرض

يرفض أن تطرح في أسواق المال المفترسة

يؤمن أن الثورة المولود الأول للفقر

وموال الفقراء

---

[1] - فريز: الأعمال الكاملة، ص 298

[2] - محادين: الأعمال الكاملة، ص 131-132

في هذه المقطوعة يتبدى حذف المبتدأ وهو الضمير الغائب " هو "، ولعل الشاعر أراد أن يشير هنا إلى كل مواطن عربي حر يرفض الاحتلال للأرض العربية، ويؤمن بالحق العربي في هذه الأرض، ومن الممكن أن يكون الحذف دلالة على تعطل دور المحذوف وظيفيا، حيث إن الشعوب العربية لا حول لها ولا قوة. ولا يقتصر الحذف فقط على حذف المبتدأ وإنما قد يحذف الفعل، ومن الأمثلة على حذف الفعل يقول محمود فضيل التل[1]:

يبحث الإنسان عن حلاوة المعقول

وعن مرارة اللاوعي

عن عالم المستقبل المجهول

وعن كسوف الشمس أو خسف القمر

حذف الشاعر الفعل " يبحث " في المقطوعة ولعله أراد من ذلك إبراز قيمة الشيء الذي يبحث عنه الإنسان، وللدلالة على الحيرة التي يعيش فيها الإنسان فهو دائم البحث لا يهدأ له بال.

ومن الأمثلة على حذف الخبر يقول عبد الرحيم عمر[2]:

بعد أعوام ستذوي ورقات الشجر

تنتهي الرحلة يبدو كل ما كان ضلالا

لا كؤوس الراح، لا أوراقك السوداء

لا الحب، ولا آمالك المزدهرة

حذف الخبر مرارا في هذا النص، فكؤوس الراح والأوراق السوداء، والحب والآمال المزدهرة كلها مبتدآت تحتاج إلى أخبار، ونحن لا نستطيع التعرف إلى السر الكامن وراء هذا الحذف إلا إذا كشفنا الجامع المشترك بين هذه المبتدآت من جهة، وعن العلاقة التي تربطها بعناصر السياق الأخرى من جهة ثانية. فالشاعر في هذا النص يتحدث عن الموت وما بعد الموت، فكل شيء ينعم به الإنسان في حياته الدنيا سوف يزول بقدوم الموت، فلم يعد الراح موجودا ولا الحب ولا الآمال التي يطمح

---

[1] - التل، محمود فضيل: نداء للغد الآتي ص 58

[2] - عمر: الأعمال الكاملة ص 189

إليها الإنسان موجودة، وهذا ما دفع الشاعر إلى السكوت عن الأخبار ليترك للمتلقي المجال للمشاركة في إنتاج الدلالة الشعرية وتأويل النص.

ومن أشكال الحذف الأخرى التي نجدها عند الشعراء، هو الحذف بالنقط حيث يدل ذلك على وجود كلام محذوف أو مسكوت عنه، إذ يفتح الحذف المجال واسعا أمام القارئ للتأويل والاجتهاد، والمشاركة في بناء النص الشعري، ليصل إلى مرحلة الالتحام بين المتلقي والنص. يقول عصام العمد في قصيدة بعنوان (الإنسان والأحداث)[1]:

وهل أرضى ... بأن أبقى

أعيش أنا على الهامش

وترميني الرياح الهوج .... لا أشكو .....ولا أبكي

فالشاعر من خلال استخدامه لتقنية الحذف بالنقاط قد فتح المجال أمام القارئ للتأويل فبعد قوله: (وترميني الرياح الهوج ....لا أشكو ....ولا أبكي) قد فتح المجال أمام القارئ ليتخيل تلك الرياح، وما هي طبيعتها ؟ وماذا ستفعل به ؟

وتظهر هذه التقنية في قصائد الشاعر حيدر محمود، يقول في قصيدة بعنوان (وجع الأرقام)[2]:

لكن الأرض

تمر بهم مستعجلة

لا تتوقف فوق الجسر المهجور

سوى عربات الموتى

تحمل ما يسقطه الزمن

من الأوراق ..

وتمضي ..

---

1 - العمد: ديوان الوجدانيات، مجلد 2، ص 50

2 - محمود: الأعمال الكاملة، ص 29

والمنتظرون بلا جدوى
لا يجنون ..
سوى الآلام
....
....

لقد ترك الشاعر النقط للدلالة على أن هناك كلام كثير قد سكت عنـه، ويريـد القارئ أن يؤول ذلك الكلام حسب فهمه للنص.يقول الشاعر علي البتيري في قصيدة بعنوان (الموت العميم)[1]:

إنه الموت
يتسع الآن فينا
وينشر أسراب غربانه
في يباب النفوس ...
إنه الموت يغسل أكفانه
في دموع الحزانى
ويلقي بها فوق هذي الرؤوس
وتلك الرؤوس ...

فقد ترك الشاعر المجال للقارئ أن يفكر في عبارته (تلك الرؤوس ...)، ماذا يقصد بها ؟، فالشاعر يتحدث عن الموت الذي سوف يأتي على الجميع، فمن منـا سـوف ينجو من الموت ؟.

[1] - البتيري: شبابيك أتعبها الانتظار، ص32

الفصل الرابع
الصورة الفنية

تعد الصورة الفنية من أهم عناصر الشعر، وأشدها تميزا في تحقيـق الجماليـة الإبداعية هي مبدأ الحياة في القصيدة، ومقياس رئيس لمجدها الإبداعي، ومع هـذه الأهمية إلا أن الصورة كمصطلح أدبي لا تزال محط الاختلاف والتضارب، ولـيس وجود هذا الاختلاف دالا على عدم توحد مفهوم الصورة بقدر دلالتـه علـى سـعة المصطلح وتشعبه المتعدد، فالصورة يشكلها العديد من العناصر كالموقع والحركـة والشكل والحجم واللون .. إلخ، كما أنها تتميز بالعديد مـن الخـصائص كالوحـدة والإيحاء والتطابق .. وغير ذلك، ولعل نظرة النقاد إلى تلك الخصائص والعناصـر هي التي كونت اختلافهم حول المصطلح، وذلك لتباينهم في التوسع والتضييق حيال تلك المكونات ونجد أن أغلب هذه التعريفات الحديثة لمفهوم الصورة فـي الـشعر تحاول جاهدة التخلص من التقوقع في حيز النظرة القديمة للصورة، والتي تحصرها في الفنون البلاغية المعروفة كالتشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها، ولعل منشأ هذا التخلص ومحاولة الانفلات منه قد جاء بعد إدراك انطلاق الصورة إلى أبعد من ذلك واستيعاب شموليتها وسعتها غير المحدودة، وهذا الأمر بحد ذاته شيء إيجابي جـدا لأنه قد عكس إدراكا وتفهما لواقع الصورة الفنية في الشعر الحديث، وما حدث فيها من تطور ونمو، فهي عند بعضهم تعني: (أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالـذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية في آن، لكن هذا المفهوم هـو المفهـوم العام للصورة، أما المجال التفصيلي له فيجعل الصورة تركيبة عقلية تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين، هما في أحيان كثيرة، عنصر ظاهري وآخر باطني وأن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين آخرين هما: الحافز والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة)[1] وقد حدد هذا المفهوم عناصر الصورة بما

---

[1] - الرباعي عبد القادر: الصورة الفنية في النقد الشعري، دار العلوم للطباعة، الريـاض، ط1، 1405هـ، ص85

في ذلك الدافع والقيمة فيها، ولعل المقصود بالعنصر الظاهري هنا ما يكـون مـن العالم المحسوس، وقد قيل بأن (الصورة هي كل شيء تقوى على سماعه أو رؤيته أو لمسه أو تذوقه)[1]، وهذا الاهتمام بالجانب الحسي هو الذي أوجد تلك التقـسيمات في الصورة من بصرية وسمعية وذوقية .. إلخ، أما الجانب الباطني فـالمعني بـه أفكار الشاعر ونفسيته التي هزتها تجربة عميقة، على هذا فـإن مـن المهـم إدراك الفارق الكبير بين الصورة في الأدب والصور في غيره من الفنون، فالصورة الأدبية صورة مشابهة لا مطابقة ونعني بالمطابقة التي تمثل الشيء لتكون نسخة منـه فـي جميع أجزائها ومكوناتها، أما الصورة الأدبية (فتستطيع أن تمثل بدرجة متـساوية وفي وقت واحد أشياء بين بعضها وبعضها بون شاسع، وتستطيع - من ثـم - أن تحدث ارتباطات شعورية عجيبة)[2].

(وعن طريق البناء التصويري اللغوي، تتوحد مـشاعر الـشاعر فـي معانـاة وجدانية ذاهلة تفقد فيها الأشياء تماسكها القديم،حيث يتمازج الحدث والتـصور فـي هرم الرؤيا الفنية شريطة أن يحتضن الخيال انفعال الشاعر حتى يذوب ما بينهما من فواصل)[3]،كما إن(الصورة إذ توحد بين حقيقتين متباعدتين في المكان لم تلتقيا قـط إنما تصبح خلقا جديدا معبرة عن عالم جديد، وإذ تنفي شـكل الأشـياء الظـاهري وتركز على صفاتها ورموزها،إنما تعيد الوحدة والانسجام لهـذا الكـون المـشتت المتناقض والمتباعد، وتبقي للخيال تلك القدرة الصافية وذلك الفعل الكيميائي الـذي يصهر الأشياء ويوحدها)[4].

لم يمنع اهتمام شعراء الأردن بالفكرة أن يولوا الـصورة عنايـة كبيـرة فـي أشعارهم التأملية فقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يمزجوا بين الفكرة والخيال، وبـين الحقيقة والصورة؛ ولذلك جاءت أشعارهم تحمل قوة التعبير وذلك من التـأثير فـي

---

[1] - الرباعي: الصورة الفنية في النقد الشعري ، ص87

[2] - إسماعيل: الشعر العربي المعاصر ، ص132

[3] -عيد، رجاء: فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعـارف، الأسـكندرية، ط2 د.ت، ص405

[4] - حمود، محمد العيد: الحداثة في الشعر العربي المعاصر بيانها ومظاهرها، ص104

النفس فالصورة هي أداتهم للتعبير ووسيلتهم لرؤية الأشياء وكشف المجهـول فـي الحياة والكون.

وقد كان شعراء الأردن يزاوجون (بين الصورة الجزئية التـي تتمثـل بمـشهد صغير أو فكرة محدودة تبرزها في إطار خاص يعرضها في كيان مـستقل، وبـين الصورة الكلية التي لا تصلح للاستقلال الجزئي،بل ترى طالبة لما يليها من الصور في تتابع وتسلسل وفي اتساع ونمو وتداخل حتى تكتمل مـن مجموعهـا الـصورة الكبرى أو اللوحة الكلية)[1]

على أن عناية شعراء الأردن بالصورة ـ ـ بصورة عامة ـ ـ ظلـت عنايـة جزئية ومعظمها كان يعكس روح التشاؤم والانكسار، ومن هنا لفتت أنظارهم صور الفناء والغروب وتساقط أوراق الخريف.أما صور التفاؤل المضيئة فكانت تظهر من خلال التجائهم إلى عوالم متتالية تخلقها أنفسهم ويلوذ بها خيالهم.

الاتجاه النفسي في الصور الفنية:

ما تتميز به الصورة الفنية عند هؤلاء الشعراء أنهم يضفون على الخارج صفة الداخل، فهم يسقطون أحوال أنفسهم على ما يتأملونه حولهم، فـإذا الأشـياء تمـوج بالحركة والحيوية وتحمل الحزن والألم وكأنها إنسان ذو مشاعر وأفكار، فالخـارج من هنا امتداد لهذه النفس وما تعانيه من تناقض وما تعيشه من نـوازع.الأسـاس النفسي للصورة (قائم على النزوع من داخل مضطرب إلـى موضـوع خـارجي منسجم متحد،فالشاعر وهو ينظم شعره تتحد في تجربته كل منازعه الداخلية سـواء أكانت آتية من العقل أم من الحس،وعندما تولد الصورة تولد مفعمة بالانفعال قـادرة على بعثه)[2].

---

[1] - عبد البديع، محمد نظمي : أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب ص 136

[2] - الرباعي، عبد القادر: الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، المؤسـسة العربيـة للدراسـات والنشر بيروت، ط 2، 1999،ص ص 177 ـ ـ 178

فها هو خالد محادين يتوحد مع دوار البحر،ويسقط عليه معاناته الشخصية مـن ضياع وحزن وألم فخالد محادين يشعر أنه يعيش في ضياع ومعاناة يقول[1]:

كلانا يا دوار البحر مصلوب على الجرح

كلانا ضائع المنفى يعب مرارة الملح

كلانا يذرف العبرات يخنق آهة البوح

ومثلك يا دوار البحر في ليل بلا صبح

أعانق ظلمة الأشياء وأحبس دونها نوحي

لقد شخص الشاعر دوار البحر وجعل منه كائنا عاقلا،يشعر بـالألم والمعانـاة ويتمنى الخلاص مما يعانيه.

وهذا ما نلاحظه أيضا في قصيدة "ظلال الأصيل "،لمحمود فضيل التل فهو يريد أن يسقط الشعور بالغربة على البحر، وهو نفس الشعور لدى الشاعر، فالشاعر مـن خلال حديثه للبحر يبث مشاعر الحزن،والألم والغربة،التي تسيطر على نفس الشاعر يقول[2]:

تودع يا بحر إذ سوف ترحل

وتحمل بعض ظلال الأصيل

فهلا سألت إذا كنت أهوى

كما أنت يا بحر درب الرحيل !!

تعانق حلم الشواطئ حزنا

وتترك حلمي

أما من بديل ؟!

فخذني إلى حيث تمضي بعيدا

إلى أي أرض

وأي سبيل

---

[1]- محادين: الأعمال الكاملة ص 250

[2]-التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل ص 65

ويستمر الشاعر في بث أحزانه، ومشاعر الألم للبحر إلى أن يتوحد معـه فـي شعوره بالغربة يقول[1]:

كلانا بهذا الزمان غريب

بهذا العناء المرير الطويل

فحسب الغريب إذا ظل يشقى

ويعشق لو مات عند الرحيل !!

ومما يلاحظ على شعراء الأردن،أنهم عندما يتأملون الداخل يضفون عليه صفة الخارج وهكذا يتداخل الخارج والداخل في الصورة الفنية دون أدنى فاصل بينهمـا، فهم يرون الطبيعة في أنفسهم كما يرون أنفسهم في الطبيعة،" فإذا أراد الـشاعر أن يصور حالته النفسية اتخذ الطبيعة وسيلة لتصوير هذه الحالة "[2].

فالصورة عند شعراء الأردن صورة حزينة تعكس ما في أنفسهم من ألم وحسرة كما كانت تعكس العزلة، والوحدة والشعور بالغربة،ولذلك نجدهم يلجأون إلى صور الفناء والاندثار،وكذلك كانت صور الخريف،والليل من الصور المحببة لـديهم فـي أشعارهم التأملية، فهذا عبد الرحيم عمر يصور مصير الإنسان ويتخيل شجرة فـي فصل الخريف تتساقط أوراقها، فهو يقول في قصيدة بعنوان " من وصية صوفي" [3]:

بعد أعوام ستذوي ورقات الشجرة

تنتهي الرحلة، يبدو كل ما كان ضلال

لا كؤوس الراح، لا أوراقك السوداء

لا الحب، ولا آمالك المزدهرة

كلها يا ضيعة العمر! ضلال في ضلال

ويشاركه في هذه الصورة محمود فضيل التل،الذي يصور الموت بالخريف الذي يسقط أوراق الشجر يقول في قصيدة " ريح الخريف "[4]:

---

1 - التل، محمود فضيل: أنشودة المستحيل: ص66

2 - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 244

3- عمر: الأعمال الكاملة، ص 189

4 - التل، محمود فضيل: شراع الليل والطوفان ص 72

الآن قد يأتي الخريف
وتسقط الأوراق ثانية
فلا يأتي الشتاء طريقنا
فيضيع في هذي الحياة ربيعنا
ويموت في كل شيء بعدنا

كما يشبه عرار انتشار الربيع بالضحك، وذلك لما يثيره انتشار الربيع من أحاسيس رائعة في النفس البشرية ، يقول عرار[1]:

ضحك الربيع " وبرطع " الدحنون فدع الحياة كما تكون تكون
فهواك ما ينفك معتبل الشّوى يا حلوة النظرات يا " برفين "

الاتجاه البلاغي في الصور الفنية :

أ- الصور التشبيهية

لقد كان شعراء الأردن يعتمدون التشبيه في تصوير أفكارهم وتجاربهم في الحياة، وقد يكون هذا التشبيه بليغا أحيانا وقد يكون بأداة التشبيه أحيانا أخرى، وقد تكون العلاقة بين المشبه والمشبه به مستندة " إلى مشابهه حسية وقد تستند إلى مشابهة في الحكم أو المقتضى الذهني الذي يربط بين الطرفين المقارنين دون أن يكون من الضروري أن يشترك الطرفان في الهيئة المادية أو في كثير من الصفات المحسوسة"[2].

أو يأخذون صورا من الطبيعة، تقترب بين هذه الحال في الاضطراب والارتعاش أو في الثورة والغضب، وهذه صفة نجدها لدى الشعراء الرومانسيين عموما، فتشبيههم لا يقوم على علاقة حسية بقدر ما يقوم على علاقة ذهنية معنوية؛ لأنهم يربطون الداخل بالخارج ولا يشبهون الشيء بالشيء في صفة الحسية أو هيئته المادية [3].

---

[1] - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 358

[2] - عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ص 172

[3] - علاق: النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية ص 245

فالشاعر حسني فريز يصور نفسه كالبلبل الحبيس في القفـص مقيـد الحريـة، وشعره كتغريد البلبل، وغيره من الحاقدين يصورهم بالغربان التي هي رمز للـشؤم والخراب، يقول في قصيدة " هراء "[1]:

أطلقوا جانحي من قفص الأسر　　وفكوا اللثام عـن أهدابـي

أطلقوا البلبل الطروب يغـرد　　واسجنوا كل ناعق وغراب

وها هو محمود فضيل التل يستمد تشبيهاته للحياة من عالم الطبيعة المـضطرب الذي يوازي الحياة الإنسانية، بما فيها من تناقضات يقول [2]:

وجدتك يا معللتي
فضاء صافي السحب
وأفقا خلفه المجهول يقلقني
وبرا رائع الصور
وليلا نجمه ساح
وصحراء
وكثبانا
وشطآنا
ووديانا ما لها آخر
وجدتك عالما آخر .

تكاد هذه الصور تدور حول معاني الانكسار والتراجع،أكثر مما تـدور حـول معاني الانطلاق،وبخاصة تلك الصور التي يعرض فيها الشعراء إلى البحـث عـن الحقيقة ليعودوا بعد ذلك وقد امتلأت قلوبهم يأسا، يقول محمود التـل فـي قـصيدة "للموت قد غنيت"[3]:

من كثر ما عانيت
كانت حياتي هجرة إلى محيط الموت

---

1 فريز: الأعمال الكاملة ص 85

2 التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص 54

3 التل، محمود فضيل: أغنيات الصمت والاغتراب ص

وتبددت أحلام عمري قبل أن يأتي الأوان

فقد أزهقت روحي سدى

يا طول ما غنيت

أحلى مواويل الهوى

للموت قد غنيت .

فالشاعر يشبه حياته كالهجرة التي يتنقل فيها الإنسان من مكان لآخر، طلبا لأشياء كثيرة كالرزق أو العلم، أو بسبب الظروف السياسية وغيرها، ولكن هجرة الشاعر هنا نحو الموت من أجل الخلاص من حياته، والبحث عن حياة جديدة مريحة.

ب - الصورة الاستعارية :

وتعد ركنا أساسيا في أشعارهم التأملية لما فيها من تكثيف عاطفي،وما يستدعيه ذلك من خيال مجنح لتحقيق أغراضهم النفسية تحقيقا جماليا، والاستعارة عندهم نوعان في الغالب: تجسيدية وتشخيصية " في التجسيد تمنح الذات موضوعها بجسمها وأعضاءها وباختصار شيئيتها، ويتجلى أوضح ما يكون في تجسيم المجردات أما في التشخيص فإنها تمنحه إلى جانب ذلك حياتها ونماءها وخصائصها الجوهرية، وهذا الفارق ضروري لأنه الفيصل ليس بين ما هو تشخيصي وتجسيدي فحسب بل بين ما هو تشخيصي وغير تشخيصي على العموم "[1].

فالتشخيص يقوم على " إضفاء صفات الكائن الحي، وبخاصة الصفات الإنسانية على ظواهر الواقع الخارجي"[2].

أما التجسيد فيقوم على " إكساب المعنويات صفات محسوسة مجسدة، حيث تقدم الصورة الاستعارية الأفكار والخواطر والعواطف محسنات مجسدة "[3].

---

[1] - اليافي، نعيم: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ص 157

[2] - قاسم، عدنان: التصوير الشعري (رؤية نقدية لبلاغتنا العربية) مكتبة الفلاح، الكويت،ط1، 1988، ص 148

[3] - المرجع نفسه: ص 152

ومن القصائد التي من الممكن أن تدخل في باب التـشخيص قـصيدة للـشاعر إبراهيم نصر الله بعنوان " وانتحرت أشجار الزيتون "، يقول الشاعر[1]:

ضحكت
كعجوز تبدو للوهلة
شمطاء بلهاء ... صماء
وبدأتُ ألملم أجزائي
وأحدق لا أفهم شيئا
فلماذا ضحكتها صفراء ؟
قالت :
فجرها كل الأرجاء
- ماذا ؟
- فجرها كل الأرجاء
- لم أفهم شيئا لم أفهم
- فلتجلس حاول أن تسمع
القصة دوما مشئومة
فاحذر أن تيأس أو تدمع
من أكثر من خمسين سنة
أكثر ... أكثر وأنا في الساحة انتظر

فالشاعر في هذه القصيدة قد جعل أشجار الزيتون إنسانا يحاوره،ويتبادل معـه الحديث، ويروي له الحكاية التي أتعبته،وأرقته وهي الاحتلال الصهيوني لـلأرض العربية، فالأشجار تحكي حال أهلها الذين صمدوا في وجه الاحتلال، ولكنها غاضبة من أولئك الذين تخلوا عنها وتركوها، وكانت نهايتها الانتحـار؛ لأنهـا قـد ملّـت الانتظار.

[1] - نصر الله: جسدي كان الغربال، ص 111

ومن الصور الفنية الرائعة التي تعتمد على التجسيد نجد قصيدة حسني فريز بعنوان" آذار سنة 1942"، التي يصف فيها فصل الربيع في وادي الساط، يقول[1] :

والماء صفق في حواشي وشيه	والطير تياه بشجو لحونه
هذي الروابي الخضر هب نسيمها	نشوان يحمل سرها بغضونه
عبث الزهور ببردنه وأريجها	الوسنان في تفتيره و سكونه
وتموجت مثل العرائس في الدجى	وتبرجت رأد الضحى لفتونه
فالزهر في أكمامه مبتسم	أو ضاحك من وسوسات قرينه

لقد رسم لنا الشاعر لوحة فنية تفيض بالجمال والروعة، من خلال وصفه لمنظر وادي الساط حين جسد لنا هذا المنظر، فالماء يصفق كأنه إنسان يعيش حالة فرح شديد والطيور تغني والأزهار والنباتات تتماوج كالعرائس ،والزهر يبتسم، والورد يضحك .

ومن القصائد التي يتجلى فيها التجسيد، قصيدة للشاعر محمود فضيل التل بعنوان(آية النار) يقول [2]:

غير إني رغم هذا الموت
في أطياف ليلي
رغم هذا الموت
في أنفاس فجري
سوف أصغي كلما اشتدت ظلاما
عندما يعلو ... ويعلو
صوت أرواح الضحايا

فالشاعر هنا يشبه الفجر بالإنسان، فقد منح الفجر صفة إنسانية وهي التنفس كما بث فيه الحياة .

ويقول الناعوري في قصيدة بعنوان (العام الجديد)[3]:

---

[1] - فريز: الأعمال الكاملة ص 161

[2] - التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ص 11

[3] - الناعوري: أناشيدي ص 11

ماذا وراء الغيب يا عام
ماذا وراء الزمن المقبل ؟
هل ثم نور ضاحك ينجلي
على شراع الأمل الأعزل ؟
أم ثم آلام وأشجان ؟
قل ما وراء الغيب يا عام ؟

فالشاعر في هذه القصيدة يصور العام إنسانا واقفا أمامه ويخاطبه، ويبثه ما فيه من مشاعر وأحاسيس تجول بخاطر الشاعر.

ويقول عبد الرحيم عمر في قصيدة بعنوان (ضائع على الدرب) [1]:

العتمة الهوجاء قد جنت، وفي
فانوسك الخابي مجاعة مقلتيك
ضاع الطريق

لقد منح الشاعر في هذه الأبيات العتمة صفة إنسانية وهي الجنـون، فالإنـسان الذي يفقد عقله لا يستطيع أن يميز بين الصواب والخطأ، وكذلك الاحتلال الذي رمز له بالعتمة لا يفرق بين أحد لا صغير ولا كبير. ويقول في قصيدة بعنوان (انتظار)[2]:

يا ليل قد شابت أمانينا وعاث بها الظلام
فمتى الصباح يهل !؟ قد ملّ النيام
حتى نجومك باهتات ترتعش
مقرورة تشكو انتفاضات الرياح
وتلفُّها .

لقد جسد الشاعر في هذه الأبيات الأماني والظلام، فقد جعـل الأمـاني تـشيب كالإنسان وهو يقصد بذلك أن أمانيه لم تتحقق طوال حياته وجعل الظلام يفسدها .

ويقول أيضا في قصيدة بعنوان (أغاني الرحيل السابع)[3]:

---

[1] - عمر: الأعمال الكاملة ص 31
[2] - المرجع نفسه، ص 78
[3] - المرجع نفسه، ص 370

حزين مساء المخيم
كئيب ولا من حراسة
أسير وما كان يعلم
بما خططته أفاعي السياسة

فقد أضفى الشاعر في هذه الأبيات،مجموعة من الصفات الإنسانية على مـساء المخيم، فهو حزين وكئيب وأسير،وجعله إنساني المشاعر والأحاسيس، وهو بـذلك استطاع أن يرسم لنا صورة حقيقة لمعاناة المهجرين .

ويرسم عرار صورة رائعة للشيب حيث يشبه انتشار الشيب في رأسه بإنـسان يضحك، كما أنه يشبه السنوات بالإنسان في الأبيات التالية، يقول[1]:

قسما بحرمتـك التي لا تنهـك   وبليل عينيـك الذي لا يـدرك
إني على ضحك المشيب بمفرقي   وتضاحك السنوات مني أضحك

لقد استطاع شعراء الأردن أن يرسموا لنا مجموعة من اللوحات الفنية الرائعة من خلال الصور الفنية التي وردت في أشعارهم، وهم بذلك وظفوا تلـك الـصور لتوصيل أفكارهم وتوضيحها، وقد جاءت صورهم متنوعة ومتعـددة الأشـكال، إذ استمدوا تلك الصور من الطبيعة التي عاشوا بها، أو من المظاهر الحـضارية فـي حياتهم.

[1] - التل، مصطفى وهبي : العشيات ص 318

الفصل الخامس

الموسيقى والإيقاع، التكرار

الإيقاع الموسيقي

الموسيقى ركن أساسي من أركان الشعر لا تقل أهمية عن الصورة،حيث تتآزر الموسيقى مع الصورة لإقامة بنية الموسيقى، وهذا الأثر الفاعل للموسيقى هو الذي يفسر اهتمام النقاد بالوزن الشعري ابتداء من النقاد العرب القدامى وحتى النقاد المعاصرين[1]. إن صياغة الشعر العربي منذ القديم كانت في كلام ذي توقيع موسيقي، ووحدة في النظم تشد من أزر المعنى، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ومنشديه، وإن هذه الصياغة الموسيقية تمثلت في بحور الشعر العربي وقوافيه التي وصلت إلينا ناضجة[2]. ويعرف الإيقاع بأنه " وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيئة، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة" [3] وتمثله في الشعر التفعيلة في البحر العربي.أما الوزن فهو" مجموع التفعيلات التي يتألف منها البيت،وقد كان البيت هو الوحدة الموسيقية للقصيدة العربية في معظم الأحيان "[4]، فالموسيقى تكون عناصر الإيحاء الشعري، وتظهر أهميتها حين تتداخل مع بقية العناصر الأخرى في القصيدة، بحيث يكون الكلام شعرا[5]. وتقسم موسيقى القصيدة إلى قسمين: خارجية يحكمها العروض وحده، وتتمثل في الوزن والقافية، وداخلية تحكمها قيم صوتية باطنية أرحب من الوزن والنظم المجردين[6]. وأكثر ما تتمثل بالإيقاع الداخلي

---

[1] علي، ناصر: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001 ص 215

[2] فاخوري، محمود: موسيقى الشعر العربي، منشورات جامعة حلب، 1989، د ط ، ص 164

[3] المرجع نفسه: ص 164

[4] المرجع نفسه: ص165

[5] علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش ص 215

[6] ضيف، شوقي : الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط 1، ص 78

للكلمات الذي يعرف " بجرس اللفظ المفرد أو ما يطلق عليه البلاغيون بـ (فصاحة المفرد) وله وقع كبير على النفس لما له من ارتباط قوي بالدلالة والإيحـاء"[1]، أمـا الإيقاع الخارجي فهو" الموسيقى المتأتية من نظام الوزن العروضي والقوافي،الـذي يشكل قواعد أصيلة عامة يخضع لها جميع الشعراء في نظم قصائدهم، فهي قاعـدة مشتركة يبنى عليها النص الشعري "[2].

الأوزان والقوافي

لقد كان شعراء الأردن ينوعون في القوافي، والأوزان في أشعارهم التأملية وغير التأملية على السواء،إذ رأوا في ذلك ما يساعدهم على طرح أفكارهم بشكل أفـضل. فالتقيد بالوزن الواحد والقافية الواحدة كثيرا ما يقف عائقا دون تدفق الفكـرة لـدى الشاعر ودون وصولها إلى القارئ على الوجه المراد؛ولأن التنويـع فـي الـوزن والقافية يفتح بابا واسعا للحديث،وعرض فلسفتهم في الحياة والكون دون مشقة. كان هؤلاء يميلون إلى الأوزان القصيرة أو المجزوءة التفاعيل أكثر مـن مـيلهم إلـى البحور الطويلة،لأن ذلك يساعدهم على تبسيط أفكارهم وتقريبها إلى القـارئ. وقـد اعتمدوا البحور التي تقترب من الغناء كالخفيف حتى ينفذوا إلـى الـنفس وتـصل أفكارهم في يسر،ولم يمنع هذا أن يتقيد شعراء الأردن بـالوزن الواحـد والقافيـة الموحدة إذا كان ذلك لا يقف عائقا دون توصيل أفكارهم في وضوح وجـلاء. أمـا نظام المقاطع والتنويع في القوافي من مقطع لآخر فنجده عند عـرار، والنـاعوري وبخاصة في مخمساتهم ورباعياتهم .

فقد كان أغلب الشعراء الرومانسيين كما يقول الدكتور محمـد غنيمـي هـلال:" يعتقدون أن الموضوعات التي يعالجونها أغزر في معانيها من أن تحويهـا الأوزان العمودية "[3]. على أن شعراء الأردن لم يخرجوا عـن الأوزان وإن نوعـوا فيهـا،

---

[1] بلقاسم بلعرج بن أحمد: الإيقاع، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمـشق، العـدد 98 السنة 25 ، حزيران 2005م ، ص 110

[2] الكيلاني، إيمان: دراسة أسلوبية لشعر بدر شاكر السياب، رسالة دكتوراه ص 271

[3] هلال: الرومانتيكية ص 198

فالشعراء الرومانسيون يهتمون بالموسيقى، ولم يكن يتأتى ذلك إلا بانتخاب الأوزان التي تتناسب والأفكار المراد طرحها.

القصيدة العمودية

كان شعراء الأردن يلجأون أحيانا إلى طرح أفكارهم فـي قالـب كلاسـيكي، فيلتزمون الوزن الواحد والروي الواحد، وقد استطاعوا أن ينجحوا في التوفيق بـين الشكل والمضمون. ويعد عرار و فريز وعبد المنعم الرفاعي،أكثر شـعراء الأردن التزاما بالقصيدة العربية ذات الوزن الواحد،والروي الواحد دون أن يشكل ذلك عائقا أمام فكره ومشاعره.على أن الناعوري كان مهتما كثيرا بتجريبه الأشكال الشعرية، إذ نوع وشكّل ما طاب له من الأشكال وإن كان أغلبها جـاء فـي شـكل المربـع والمخمس، ولعله وجد في هذا التنويع ما ساعده على طرح أفكاره بصورة أفـضل. وقد يكون ذلك ناتجا عن تأثره بشعراء المهجر. كما نوع محمود فضيل التـل بـين القصيدة العمودية،وقصيدة التفعيلة " الشعر الحر " وكذلك خالد محادين حيث وردت له بعض القصائد العمودية.

يقول عرار[1] (مجزوء الكامل):

"الموت غاية كل حي" رغم أنف الجاحـين
فأعيذ نفـس كفرهـا بقضاء رب العالمين
لكنه الخطـب العظيم يشل وعي المطلقين

ويقول محمود فضيل التل في قصيدة (تعال يا ليل) [2] (البسيط التام):

تعال يا ليل واسكن قلب أشعاري وغيب الشمس وابعث ميت أفكاري
وانشر نجومك واجعل بينها قمرا وادفن شعاع التي أودت بأفكـاري
تعال يا ليل إنني قد عميت فمـا أقوى على النور أو أحيا بإبصار

ويقول الناعوري في قصيدة (جارة الوادي) [3] (الكامل التام):

---

1 التل ، مصطفى: العشيات، ص 422

2 التل، محمود فضيل: جدار الانتظار، ص 52

3 الناعوري: أناشيد أخرى ص 71

يدمى فؤادي إذ يراك كئيبـة   تتجـرعيـن البـؤس الآلامـا
يا جارة الوادي منتجع الهوى   ذهب الهوى والماضي وصار حطاما
وادي العرائش كان يلقاني إذا   مـا جئتـه متهلـلا بسـّاما

ويقول حسني فريز في قصيدة (العاصفة)[1] (الخفيف التام):

لا تقل يعقب الشتاء ربيع   إن عهـد الربيع ولّى وغابـا
هزة أيقظت موات الأماني   وأقامت في القلب عيدا عجابا
عادت الأرض جنة لهواه   ونعيما مشعشعـا خلابـا

ونظم خالد محادين القصيدة العمودية ففي قصيدة بعنوان "الأربعون " يقول[2]:

من أين جئت وخافقي تعب   لا النار تسكنه ولا الخشب
الأربعون وكيف أنكرهـا   مذ أدبرت وتكسر القصب
الأربعون وقارها وجـع   والأربعون وقارها كـذب
والأربعون رمادها شعـل   والأربعون هدوؤها صخب

ويقول عبد المنعم الرفاعي في قصيدة بعنوان " زهرة القفر " (السريع)[3]:

هذا الشذى أين وأين البريق   قد أوحش القفر وغاب الرفيـق
وأنت تلقين الندى و السنـا   لا مجدب يروى وربـع يطيـق
وحيـدة إلا وراء الحمـى   حيث الندامى وارتشاف الرحيق
حيث الأزاهير على رحبها   تبثك الوجد الرفيـق الرقيـق

وهكذا نلحظ أن شعراء الأردن قد نظموا بعض قصائدهم على شـكل القـصيدة العمودية، بكل اقتدار دون أن يمنعهم ذلك من طرح أفكارهم بكل حرية واقتدار.

نظام المقطوعات

لقد جاء بعض شعر شعراء الأردن على شكل مقطعات لكل مقطع قافية خاصة بل إن في المقطع الواحد قوافي متعددة، تلزم الأبيات أحيانا كما تلزم الأشطر أحيانا أخرى. وقد وجد شعراء الأردن في نظام المقاطع ما يشبع حسهم الموسيقي، حيـث

[1] فريز: الأعمال الكاملة ص 76
[2] محادين : الأعمال الكاملة ص ص 346-348
[3] الرفاعي: الأعمال الكاملة، ص 50

تفنن هؤلاء في المقطع الواحد أحيانا بحيث جعلوا للأشطر الأولى من البيـت قافيـة موحدة،وقافية موحدة للأشطر الثانية من البيت " فهم يتخذون النظم هندسة يراعيهـا الناظم في أقسام المقطوعة ويتفق ما شاء له فنه الموسيقي في الأوزان والقوافي"[1].

يقول عرار في قصيدة "عيناك " [2] (الخفيف):

غرد الطير ضاحكا أم باكي لست أدري وخالـق الأفـلاك
إنما سال دمع عيـني لمـّا غرد الطير فوق غصن الأراك
ألذكرى البلاد كـان هـذا أم لغم قد حل بي فتـاك
لا لهذا ولا لـذاك ولكـن سبب النوح و البكاء عينـ ـاك
نظرة منك أرسلت لي سرا صرعتني فصرت عبد هـواك

ويقول حسني فريز في قصيدة العيد [3] (مجزوء الخفيف):

لمن العيد والمنى ؟ لمن الحب والأمل ؟
لمن العيد باسم ؟ ينثر السحر والقبل
أيها العيد طف بمن يعرف الشبع والوسن
مر عنا فإننا قد نسيناك من زمن
أنت تبدو لطفلنا كالح الوجه عابسا
قائدا جيش حره حاملا جذوة الأسى

ويقول الناعوري في قصيدة "ميلاد برعم" [4]:

يا برعما طفلا دعاه الربيع
فشق قلب الأرض لما دعاه
كم نثر الطل عليك الدموع
وأنت تستقبل نور العيون
عودك يا طفل الربيع الجميل

---

[1] أنيس، موسيقى الشعر ص 312

2 التل، مصطفى وهبي : العشيات ص619

3 فريز: الأعمال الكاملة ص 81

4 الناعوري: أناشيدي ص ص 50 ـ 51

سرعان ما يجف فيه البهاء
وعمرك الشعري، يأتي الأصيل
على أمانيه، ويمشي الغناء

المربع

من الأشكال الشعرية التي ظهرت عند شعراء الأردن المربع، وهو أن يقـسم الشاعر قصيدته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها أربعة أشطر، تلتزم بنظـام معـين للقافية. فقد تلتزم الأشطر الأولى قافية موحدة وتلتزم الأشطر الثانية قافيـة موحـدة على شكل (أ ب أ ب). وقد تأتي الأشطر الثلاثة على قافية واحدة ويختلـف عنهـا الشطر الرابع في قافيته على شكل (أ أ أ ب)، أو يكون على شكل (أ أ ب أ) أي تلتزم الأشطر الأربعة ما عدا الشطر الثالث قافية واحدة . وقد تأتي الأشطر الأربعة على قافية واحدة وذلك ما يسمى بالدوبيت [1].

على أن الأنواع التي شاعت لدى شعراء الأردن وخصوصا عرار والنـاعوري وفريز نوعان: الأول على شكل (أ أ أ ب)،والثاني على شكل (أ ب أ ب). وكان شعراء الأردن يجدون في المربع ما يساعدهم على التعبير عن تأملاتهم لاخـتلاف قوافيه من مقطع إلى آخر مع التزام وزن واحد في القصيدة .

يقول الناعوري في قصيدة بعنوان (في قريتي) [2]:

والشمس فوق قريتي — في الصبح أو عند الأصيل
ذات بهـاء لا أرى — في غيرهـا لـه مثيـ ـل
تضحك من مشرقها — حتى يواريـهـا المغـيب
ترش من شعاعهـا — في قريتي نورا وطيـب

ويقول فريز في قصيدة بعنوان "الشجرة " [3] :

إن تغنـى طائـر هيجنـي — أو تراءت زهرة فـي فنـن
يثب القلب ولا يـرحمنـي — ولد الشـوق بظـل الشجـر

---

[1] - أنيس: موسيقى الشعر ص 303 ـ 304
[2] - الناعوري : أناشيدي ص 88
[3] - فريز: الأعمال الكاملة ص 482

قدها الفتان من قد الغصون وهواها كالهوى بعض الجنون
لا يداويه سوى حلو السكون في ظلال الأيك حلو السحـر

فالشاعر في هذا المربع اتبع نظام التقفية (أ أ أ ب).

ويقول عرار في قصيدة بعنوان "صوت أخي" [1]:

إن السما إذ تمطـر فالأرض أيضا تزهر
وكل نبـت يثمـر قد قال فيمـا قالـه
والماء أيضا يحبس من بعد ذا وينقـص
والعشب أيضا ييبس وتقطـع أوصالـه

وقد اتبع الشاعر في هذا المربع نظام التقفية (أ أ أ ب) .

المخمـس

وهو أن يقسم الشاعر مقطوعته إلى أقسام يتضمن كل قسم منها خمسة أشـطر، لها نظام خاص في قوافيها، وقد يكون كل قسم من هـذه الأقـسام مـستقلا تمـام الاستقلال في قوافيه وأوزانه[2].

والمخمس الذي استحسنه شعراء الأردن واستعذبوا موسيقاه،هو الذي تكرر فيـه قافية الشطر الخامس من كل قسم من أقسام المقطوعة، وقد ورد هذا الـشكل عنـد عرار حيث يقول في قصيدته " إيه يا ريح الصبا " [3]:

إيه يا ريح الصبا تعالي تعالي نبكي عهدا مضى وعهدا خالي
قد قضيناه بين ذي الأطـلال حيـث كـل منّا خلـي البـال
حيث كانت سماء سعدي نقية

ها هنا ها هنا عرفت الغراما أصحيح قد كان ذا أم مناما
آه يا هند منـك آه علامـا تهجريني فتقتلينـي هياما
ليس هذا عدالة يا بنية

---

[1] التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 611

[2] أنيس: موسيقى الشعر ص ص 305 ـ 306

[3] التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 617

فالشاعر في هذا المخمس اتبع نظام التقفية (أ أ أ أ ب ـ ـ ـ ـ ج ج ج ج ب) كما نظم عرار على نظام السباعيات يقول في قصيدة بعنوان "منكر ونكير "[1]:

زارني اليوم منكر ونكير
سألاني يا أيها الشرير
من إلهك ؟ أجبت ذاك الضمير
بعد ذا أردفا بصوت لين
أي دين ترى به متدين ؟ !
بوضوح أجبنا عما سألنا
ثم لا تنسى كعبة وكتابا

وقد نظم شعراء الأردن الشعر الحديث الذي يتخذ التفعيلة مرتكزا لـه فـي الوزن،ووحدة موسيقية يكررها الشاعر بنظام خاص يتفق مع الإيقاع الفنـي الـذي تشكله طبيعة التجربة نفسها،والذي يتردد في روح الشاعر عند استغراقه في عمليـة الإبداع الفني[2].

ولعل تحرر الشعراء من قيود القصيدة التقليدية، جعل موسيقى القصيدة أكثر توافقا مع حركة النفس الداخلية، حيث تؤكد نازك الملائكة أن الشعر الجديد " مستمد من عروض الخليل بن أحمد قائم على أساسه، بحيث يمكن أن نستخرج مـن كـل قصيدة حرة مجموعة قصائد خليلية وافية ومجزوءة ومشطورة ومنهوكة " [3] فهو لم يخرج على نظام الوزن ولكنه يمنح الشاعر" فرصة إطالة البيت بقدر طـول نفـسه وازدياد الدفقة الشعرية عنده " [4].

---

1 التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 623

2 فاخوري: موسيقى الشعر العربي ص 208

3 الملائكة: قضايا الشعر المعاصر ص 7

4 السمان، محمود: العروض الجديد " أوزان الشعر الحر وقوافيـه " دار المعـارف، القـاهرة 1983 ص 87

وأول ما سجل له السبق في هذا اللون من الشعر،هو عرار الذي نظم ثلاثة قصائد على هذا الشكل وهي " أعن الهوى، متى، يا حلوة النظرة "، يقول عرار في قصيدة بعنوان " أعن الهوى "[1]:

أعن الهوى
وعن الحنين
أعن الصبابة والصبا
وعن الجوى تتحدثين
هيهات أحلام الشباب ، وقد تقلص ظله
هيهات
أتظنها ماتت ؟ نعم وأظنه
قد مات ، سله ! لعله
ما زال
والآمال
ما تنفك في جنباته
تشدو فتسمعنا العجيب من نغماته
وتريك من أهوائه الأهوال

كما نظم الناعوري بعض القصائد على هذا الشكل ونمثل عليها بالقصيدة التالية بعنوان " خواطر في الغروب "[2]:

ذلك القرص الذي يبدو كشعلة
تتلظى
شق في الغيم على الآفاق رمسه
ومضى يهبط فيه
يتدلى في سكون وهدوء
خلف ماء البحر في الأفق البعيد

---

[1] التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 512
[2] الناعوري: أناشيد أخرى ص 15

والخضم الرحب ساح

ليس فيه أي نبضة

أي نبضة .

أما حيدر محمود وخالد محادين ومحمود فضيل التل، وعبد الـرحيم عمـر، و إبراهيم نصر الله، ومحمد القيسي، وعلي البتيري،فقد جاء جل شعرهم علـى هـذا اللون يقول خالد محادين في قصيدته " شكوى " [1] :

ردد النوح يا حمام وغن

طال سهدي وزاد منه التجني

وأرسل الشدو لا يطيب غناء

في فؤادي وأنت تصمت عني

زفرات من الفجيعة واليأس

بقايا من انطفاء التمني

أنت أدرى ففي نواحك لل

قلب عزاء وفي جراحك حزني .

ويقول محمود فضيل التل في قصيدته "الطوفان" [2]:

أيها الطوفان أيقنت بأنا

سوف نبقى في متاهات الروى

نمضي ونسحق

ريثما يأتي فنصحو

قبل أن نرسو ونغرق

لا يلام البحر ان غالى بموج وتدفق

لا يزيد الشوك حسنا

إن تعالى فوق وجه الأرض

ريانا وأورق

---

[1] محادين: الأعمال الشعرية ، ص 276

[2] التل، محمود فضيل : شراع الليل والطوفان ص 5

ربما أصحو وأعلو
ثورة الطوفان في ثوب ممزق
مذهل هذا الزمان المر
في رؤياه شيء لا يصدق
فحياة الناس أوراقا تراها
في مهب الريح أحيانا
وأحيانا بنيران فتحرق
لست أدري !!

و يقول عبد الرحيم عمر في قصيدته "انتظار" [1]:

يا ليل قد شابت أمانينا وعاث بها الظلام
من متى الصباح يهل !؟ قد مل النيام
متى نجومك باهتات ترتعش
مقرورة تشكو انتفاضات الرياح
وتلفها
وكأن ما يعنيك أمر مبهم
فنسيتها وتركتها
وتركت أرض الله في صمت ثقيل
وكتمت أنفاس الحياة .

إن تنويع شعراء الأردن في نظم أشعارهم على أشكال مختلفة، منحهم القدرة على تنويع الإيقاع الخارجي للقصيدة ففي بناء القصيدة التقليدية،استغل الشعراء تماثل وحدة القافية في أشطر الأبيات لإحداث نوع متماثل من الموسيقى التقليدية .

أما في نظام المقطوعات فقد استغل الشعراء تنويع القوافي للتعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم بدفقات شعورية موسيقية متنوعة " ففي هذه التراكيب يبدو الشاعر وقد تخلص إلى حد ما من تأثره بالتراكيب القديمة، فحرر القصيدة من النمط التقليدي شكلا وموضوعا، وأصبحت معظم موضوعاته حزينة تنبع من نفسه، كذلك صب

[1] عمر: الأعمال الكاملة ص 78

الشاعر أحاسيسه في تراكيب حزينة هادئة، كما نوع في القافية واستخدم في القصيدة الواحدة عددا من القوافي "[1].

أما في شعر التفعيلة فقد اتخذ الشعراء من التفعيلة أساسا للحركة الموسيقية في القصيدة، وارتبطت هذه التفعيلة بحركة مشاعرهم. فأصبحت القصيدة معبرة تماما عن نفس الشاعر، تحمل خصائص تجربته وذاته، تتحدث عن موضوع واحد وتجربة واحدة يمتزج فيها الفكر بالشعور، متحررة إلى حد ما من الوزن التقليدي والقافية التقليدية [2].

الإيقاع الداخلي

الإيقاع الداخلي للقصيدة "حركة موقعة في بنائها أو نسيجها، يتمثل فيما يتوافر في النص الشعري من قواف داخلية، وضروب بديع، وحروف مد أو حلق أو همس، ومدى الانسجام بين هذه الظواهر وبين جو القصيدة أو تجربة الشاعر النفسية" [3].

وهو "أي ترجيع منظم في حروف الكلمات داخل البيت الواحد أو الأبيات. ولا يهمنا أن تكون مواضيع الترجيع متقاربة أو متباعدة وإنما يهمنا أن تكون متناغمة وخاضعة لتنسيق منظم "[4].

وترى يمنى العيد[5] أن "ما يولد الموسيقى في الشعر ليس فقط التفعيلة وأنواع تشكيلها، بل أجزاء أخرى تبدو بالنسبة لقصيدة النثر أكثر أهمية منها بالنسبة لقصيدة التفعيلة، ومن هذه الأجزاء التي يجري توقيع الموسيقى بها :

1. التركيب اللغوي حين ينتظم في أنساق من الموازنات والتقطيع .
2. التكرار وفق أشكال موظفة لتأدية دلالتها .
3. التوزيع والتقسيم على مستوى جسم القصيدة ، بهدف دلالي محدد .
4. التوقيع على جرس بعض الألفاظ المعجمية والموازاة بين حروفها .

---

[1] أبو العزم: الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني ص 415

[2] المرجع نفسه، ص 415

[3] علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص 246

[4] الرباعي: الصورة الفنية في شعر أبي تمام ص 292

[5] العيد، يمنى: في معرفة النص : منشورات دار الآفاق ، بيروت، 1983، ص 98

ومن خلال ذلك يتضح أن الإيقاع الداخلي يعني التناسق بين أجزاء القصيدة،في حركة بنائها نحو التكامل، وهذا الانسجام يكون بين الألفاظ من حيث تجانس حروفها وبين الصور التي يخلقها الشاعر مما يعطيه تفردا. وهذه الألفاظ وهذه الصور تنمو في القصيدة بتكنيك خاص، بحيث تكون متجاوبة مع المعنى الذي يريـده الـشاعر والتجربة التي يريد الإفصاح عنها [1].

ويظهر الإيقاع الداخلي في شعر محمود فضيل التل من خلال اختياره للألفـاظ التي تمنح قصيدته صوتا داخليا قائما بذاته، يقول في قصيدة بعنـوان " يـا زهـرة الدنيا"[2] :

لا تموتي في ظلال وارفه
لا تموتي
لا تهوني
لا تكوني خائفة
يا زهرة الدنيا اصمدي
حتى إذا أذعنت للموت
فظلي زهرة
لا تذبلي أو تنحني

فالشاعر منح قصيدته صوتا داخليا من خلال استخدامه لحـرف النهـي " لا " والفعل المضارع .

ولا تتحقق الموسيقى الداخلية من خلال اللفظ في حد ذاته، وإنمـا مـن خـلال وروده في سياق يمنحه تلك الموسيقية، " إذ إن تأثير اللفظ من حيث هو صـوت لا يمكن فصله عن تأثيراته الأخرى التي تتم في نفس الوقت، فجميع هـذه التـأثيرات ممتزجة معا بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر "[3] .

---

1 علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش ص 247

2 التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص 38

3 ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي، ترجمة مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامـة للتـأليف والترجمة والنشر، القاهرة د.ط ، د.ت، ص 191

يقول الناعوري في قصيدة بعنوان "خيمة اللاجئ"[1]:

الثلج هذا الأبيض الناعم
مثل قلوب اللاجئين الصغار
الثلج هذا أمل باسم
يوحي إلينا بالأماني الكبار
يوحي بيوم المجد والانتصار

إن نجاح الشاعر في اختيار ألفاظه منح قصيدته نغما داخليا مميزا، أسـهم فـي تعميق الإحساس بالألم والمعاناة أو كما يقول الدكتور علي جعفر العلاق: " إن مـا يقرر حيوية هذه الكلمة أو تلك وما يحدد لنا إسهامها في حركة النص الـشعري،هو اندراجها في سياق لغوي ملموس. أي دخولها كعنصر بنائي في جملة شعرية نامية، أو عبارة تنضح بالدلالة أو توهج المخيلة "[2]. وعندما نقرأ نصوص عرار نكتـشف عند الشاعر مقدرة كبيرة على تقوية نصوصه، بمصادر متعددة للتـأثير الإيقـاعي، والتركيبي كالتكرار وبنية السؤال،والتضاد والنداء،والتقـسيم والتـوازي والتقفيـات الداخلية والتجنيس[3]، يقول عرار[4]:

1. أهوى ؟ ولات اليوم حين تصـابـي وجوى؟ وقد غمز المشيب شبابي
2. والأربعون بقضها وقضيـضـهـا جثمت مزمجـرة قـبـالـة بابي
3. فما لغير الأذى فـي ربعهـا ألـق ولا لغيـر القـذى في جـوها رهج
4. يزجون من سامهم خسفا وأرهقهـم عسفا ، تحـيـات اجـلال واكبار
5. أنـام ولكـن ليصحـو شقـائـي وأصحـو ولكن ليـشـقـى فؤادي
6. فهيهات منـي سبـات الأمـانـي وهيهات مـنـي أمـانـي الـرقاد
7. لقد بـت أمـس كمـا بـت أنـت جزوعـا خشوعـا مروع الـفؤاد

[1] الناعوري: أناشيدي ص 53

[2] العلاق: الدلالة المرئية " قراءات في شعرية القصيدة الحديثة " ص 38

[3] المرجع نفسه ص 39

[4]- التل، مصطفى: العشيات ص 141، 162، 261، 212، 213، 291، 384، 399، علـى التوالي

8. كأن بنفـسـي كـآبـة رمـ ـس بدا لي أمس بـعرض الـحـمـاد
9. وما مـن طمـوحـي وأحـ ـلام بـكـفي الا رمـاد الـ ـرمـ ـاد
10. قضيت الصبا صبا وأنحيت نحـ ـوه شبابا تقضى بالوجد وهو بالوجد مشبع
11. فالكأس لولا اليأس ما هشـ ـت لـ ـه كـبـ ـد ولا هـ ـدبـ ـت علـ ـيه يدان
12. عفا الصفا وانتفى من كوخ ندماني وأوشك الشك أن يـ ـودي بـ ـايماني

في هذه الأمثلة تحتشد مجموعة من ضروب التجنيس والمطابقات،التي تكثف من الثراء الصوتي لهذه الأبيات، وتزيدها ارتباطا بشحنتها الدلالية بفعل ما فيهـا مـ ـن تقابل وتضاد كما في البيتين " 5، 6 " أو ما تكتظ به من كثافة صوتية وتجنيـسية واشتباك صرفي ، كما في الأبيات " 2، 10 ،11 ، 12 " ،أو ما تشتمل عليـه مـ ـن تواز أو تقابل كما في الأبيات " 1، 3، 4 "، أو تقسيم و تقفيات داخلية كما تتجسد في الأبيات " 9،8،7 "[1].

لقد أسهمت هذه الضروب من التجنيس والمطابقات، والتضاد والتقابل في مـ ـنح هذه الأبيات إيقاعا داخليا رائعا يعبر عن نفسية الشاعر الثائرة أحيانا،والتلقائية أحيانا والمتمردة أحيانا أخرى.

وقد أولى خالد محادين الإيقاع الداخلي أهمية بالغة، حيث إنه اختار المفـ ـردات المنسجمة مع الإيقاع الخارجي،حيث توجه الشاعر إلـى القـ ـرارات السلـ ـسة وذات الجرس الموسيقي العالي من خلال تكرار الكلمات نفسها في مواضع مختلفـ ـة فـ ـي النص الشعري،ومن خلال الجناس الناقص والطباق وتكرار الأحرف ذات المخارج المتقاربة والإيقاع الموسيقي المتقارب [2]، ومثال ذلك قوله فـ ـي قـ ـصيدة بعنـ ـوان " السيدة "[3] :

وجه أم موقد نار أم سيف
ريح أم نسمة صيف
رمح أم جرح

[1] انظر، العلاق: الدلالة المرئية ص 39
[2] الحجايا، خالد محادين حياته وشعره ص 237
[3] محادين: الأعمال الشعرية ص 351

ها قلبي يتوزع قطعا قطعا
يتجمع حرفا حرفا
ويصير قصيدة شعر
وجه أم موقد نار أم سيف
صدق في زمن الزيف
عشق في هذا الزمن المثقل بالبغضاء
عمق في ليل الإغضاء

يظهر الجناس الناقص في هذه الأبيات في (سيف، صيف، زيـف)،(بغـضاء، إغضاء) و(عمق،عشق) و(رمح، جرح، ريح) وكذلك توالي حرف " أم " في أكثـر من موقع في المقطع الشعري وتكرار حرف (الراء) تسع مرات، وحرف الـصاد والسين والزاي، وكلها حروف متقاربة المخارج،وكذلك تكرار الفعل المـضارع، " يتوزع " " يتجمع " وكذلك ورود بعض المفردات المتقابلة في هذا المقطع الشعري، " ريح، نسمة " " عشق، بغضاء "و " صدق، زيف " وكل هذا الحشد من الانـسجامات الصوتية أعطى بعدا إيقاعيا داخليا متدفقا انسجم مع الإيقاع الخارجي للقصيدة [1] .

ويضيف التكرار والتجنيس والمقابلة في شعر عبد الرحيم عمر، إيقاعا داخليـا رائعا يقول في قصيدة بعنوان "أغاني الرحيل السابع"[2] :

فيا موت أنت صديق القديم
وأنت رفيق الدروب الخوافي
وأنت رفيق المنافي
وأنت الصديق الذي خاننا
فأنت غريم الأرامل والأمهات
وأنت عدو الحياة
تجاوزت :رفقا بأطفالنا
يموتون ذبحا ، يموتون خوفا

---

[1] انظر : الحجايا : خالد محادين حياته وشعره ص 238
[2] عمر: الأعمال الكاملة ص 370 ـ 371

يموتون قصفا

يموتون تحت الركام

يموتون تحت سنابل خيل الغزاة

يموتون ... والأمهات ...

فالجناس الناقص يظهر في " الخوافي، المنافي " " صديق، رفيـق " ، ويظهـر التكرار في هذا المقطع الشعري بتكرار الضمير " أنت " خمـس مـرات، والفعـل المضارع " يموتون " خمس مرات وكذلك التقابل (التضاد) " صديق، عدو" . فقـد تولدت في القصيدة دفقات شعورية تنم عن حالة الأسى والحزن،التي تسيطر علـى الشاعر جراء ما يحصل للاجئين من قتل وتدمير.

ونجد حسني فريز لم يغفل دور الموسيقى الداخلية التي تعتمـد حـسن انتقـاء الكلمات المناسبة لمقتضى الحال، وحسن التقسيم، والقافية الداخلية، ولأنها تـضفي على القصيدة موسيقى رائعة وأنغاما شجية. فقد اهتم بها فريز في قصائده، يقول في قصيدة بعنوان " نهاية زهرة "[1]:

هذه الزهرة كانـت حاليـة	بين زهر الروض كانت زاهية
ربما اهتزت بما جاد الندى	وانتشت بالنسمات السـاريـة
ودنت للنجم في نشـوتهـا	تحسب النجم عقودا دانـيـة
ظنت الفجر حبيبا تائـهـا	بهواهـا ومناهـا الغالـيـة

ومن الملاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر أكثر من حروف المد، واعتمد عليها مما منح القصيدة طولا في النّفَس، وكذلك وفق الشاعر في اختيار الكلمات المناسـبة التي تعطي موسيقى داخلية للقصيدة مثل " اهتزت، وانتشت ".

التكرار

يعد التكرار واحدا من الأساليب التعبيرية الدقيقة،التي تظهر بوضوح في نتـاج الشعراء والأدباء على حد سواء،تشف عن أبعاد مختلفة في العمل الأدبي، وتعكـس

---

[1] - فريز: الأعمال الكاملة، ص 159

جوانب غنية فيما يتعلق بحضور الأديب وحالات تفاعله مع الأشـياء مـن حولـه، باعتبار المادة الأدبية وثيقة الأديب و بصمته الدالة عليه في الوجود [1].

وتعرف نازك الملائكة التكرار بقولها: " إن التكرار في حقيقته، إلحاح على جهة هامه في العبارة يعني بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها. و هذا هو القانون الأول البسيط الذي نلمسه كامنا في كل تكرار يخطر على البال. فالتكرار يـسلط الـضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها، وهو بهذا المعنى، ذو دلالة نفسية قيمة تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحال نفسية كاتبه "[2].

إن لغة التكرار ليست جديدة على الشعر، بل التكرار من أهم خصائص الشعر قديما وحديثا،" فبنيان الشعر نفسه قائم على نمطية منـه، وليـست بحـور الـشعر والتفاعيل المكونة لها، ثم حرف الروي الذي يجـب التزامـه إلا تكـرارا واجـب الالتزام، بل إن الخروج على نسقها المتكرر يخرج القصيدة من باب الـشعر الـذي جرت عليه أساليب العرب، ثم إن المهاد الذي بني عليه وزن البيت وموسيقاه، وهو الإيقاع متكرر وجوبا .

ومادام إيقاع الشعر وتفاعيله،وبحوره متكررة،فإن النمط الموسيقي الساكن خلف كلمات الشاعر سيأتي على نحو مكرر، والشاعر مدرك تماما لوجوب التزام تكـرار التفعيلة في البحر أول القصيدة،وتحت وطأة هذا الالتزام قد تتأثر عباراته،وكلماتـه وحتى أفكاره، فتأتي متكررة، إذ لا يمكن له أن يبقى متيقظا لوجوب التزام التكـرار الموسيقى والابتعاد عن التكرار اللغوي، ولو حدث هذا لأصبح الشعر مسألة عقليـة خالصة شأنها في ذلك شأن العلوم الطبيعية " [3]. وبهذا يكون التكرار صفة ملازمـة لأهم مقومات الشعر: الوزن والقافية، لكن الجديد في التكرار أن يـشمل المفـردات بهذا الشكل والوفرة التي نلاحظها في الشعر المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية.

---

[1] - عاشور، فهد ناصر: التكرار في شعر محمود درويش، منشورات وزارة الثقافـة، عمـان، ط1 ، 2004م ص 11

[2] -الملائكة: قضايا الشعر المعاصر ص 276.

[3] - عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، ص 32-33.

وكما يقول فهد ناصر عاشور، فإن التكرار " لم يعد في القصيدة الحديثة مجـرد أسلوب من شأنه أن يعيب النص الشعري في موطن من مواطنه كما كان قديما. إنه الآن نقطة مركزية في القصيدة التي تحتويه، تربط كثير من الدلالات والأفكار بـه عبر الخيوط التعبيرية المختلفة "[1].

ويمكن لنا أن ندرس التكرار من عدة زوايا:"... الأولى زاوية موسيقية ترى أن التكرار – سواء أكان تكرار كلمات أم أبيات بأكملها – يحدث أثرا موسيقيا. ويخلق مجموعة من المحاور أو المرتكزات التي تغير شكل التجربة، وتـدور بهـا بـضع دورات كاملة، أو منقوصة على صعيد الإيقاع الموسيقي، وقد يكـون لهـذا الأثـر الموسيقي الذي يحدثه التكرار دور بنائي في بلورة التجربة وتكثيفها. كما يمكـن أن يؤدي إلى العكس على المسافة الممتدة من الدور البنائي ونقيضه يقف منهجنا الجديد ليحدد مدى توفيق الشاعر أو إخفاقه في اللجوء إلى التكرار من هذه الزاوية .

أما الزاوية الثانية فهي لفظية؛ لأن تكرار كلمات معينة لـه دور فـي اضـائة التجربة وتعميقها إذ يشير الإلحاح على بعض الكلمات داخـل تراكيـب ثابتـة، أو متغيرة إلى أشياء لا تستطيع التجربة الشعرية الإيماء بها دون هذا التكرار، وعلـى المنهج الجديد أن يحاول التعرف على مدى توفيق الشاعر في تكراراته أو إخفاقـه فيها من هذه الزاوية.

أما الزاوية الثالثة فهي قاموسية، فالتكرارات تشارك في صياغة الجملة من هنا يدلف هذا المنهج إلى نقطة جديدة هي طبيعة البناء في القصيدة الحديثة. وهذا البناء الذي لاحظنا ميله إلى التراكيب والتعقيد، وجنوحه إلى التركيـز والتكثيـف، هـذا الجنوح هو الذي جعله يميل إلى استخدام الكلمات بالطريقة التي رأيناها مـن قبـل. وهو الذي دفعه إلى اعتماد الصورة بنية عضوية أساسية لبناء تجربته الشعرية فشكل القصيدة الحديثة هو معناها ورؤيتها في تشكله الشعري وفي جنوحه إلـى التجـسد والكينونة، ولأن المنهج النقدي الذي يريد أن يستوعب قضايا القصيدة الجديدة يفهـم الشكل بهذا المعنى فإنه يراه أوفق الطرق لبلوغ عالم القصيدة واسـتكناه أسـرارها،

3- عاشور: التكرار في شعر محمود درويش، ص 36 .

ومن هنا فإنه يعمد إلى تحليل البيانات، فتساقط من عملية التحليل ثمار المعنى بـين يديه "[1] .

إن ظاهرة التكرار تبدأ من الحرف وتمتد إلى الكلمة إلى العبـارة وإلـى بيـت الشعر،وكل واحدة من هذه الظواهر تعين على إبراز دور التكرار[2]. وسوف نبحـث في هذا الفصل التكرار من النواحي التالية :

1- تكرار البداية " الاستهلالي "
2- تكرار الكلمة
3- تكرار الحرف

أولا : التكرار الاستهلالي

وهو تكرار كلمة واحدة أو عبارة في أول كل بيت من مجموعة أبيات متتاليـة، ووظيفة هذا التكرار التأكيـد والتنبيـه، وإثـارة التوقـع لـدى الـسامع للموقـف الجديد؛لمشاركة الشاعر إحساسه ونبضه الشعري ونشير إلـى أن هـذا التكـرار " يكشف عن فاعلية قادرة على منح النص الشعري بناء متلاحما، إذ أن كل تكرار من هذا النوع قادر على إبراز التسلسل والتتابع، وأن هذا التتابع الشكلي يعين في إثـارة التوقع لدى السامع، وهذا التوقع من شأنه أن يجعل السامع أكثـر تحفـزا لـسماع الشاعر والانتباه إليه"[3].

ومما لا شك فيه إن التكرار الاستهلالي يسهم بما يوفره من دفق غنائي في تقوية النبرة الخطابية، وتمكين الحركات الإيقاعية من الوصول إلى مراحل الانفراج، بعـد لحظات التوتر القصوى . ونجد التكرار يظهر عند عرار في قصيدة بعنوان " بقايـا ألحان وأشجان "[4]:

1- حافظ صبري : استشراف الشعر، دراسات أولى في نقد الشعر العربـي الحـديث، الهيئـة المصرية العامة للكتاب . 1985 ص ص 45-46
2 - ربابعة، موسى: دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي، مكتبة الكتاني، اربد 2001 ص 15
3 - ربابعة: دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي ص 47
4 - التل ، مصطفى وهبي : العشيات ، ص 405

ماذا على الناس من لهوي ومن عبثي ماذا على الناس من جهلي وعرفاني
ماذا على الناس من جهلي و معرفتـي ماذا على الناس من ربحي وخسراني
ماذا على الناس من فقري و متربتـي ماذا على الناس من ضني وإحسانـي
ماذا على الناس من حبـي مكحـلـة بين الخرابيش أهواها وتهوانـي

وكما يقول الدكتور العلاق " فالشاعر يغمرنا بوابل من الأسئلة التي لا تعكـس مفارقته الناس في سلوكه اليومي، ومجافاته لأنماط حياهم فقط، بل تكـشف أيـضا، ومن خلال الإلحاح على التكرار عن فردية قلقة طاغية من جهة، ورغبة عميقة في صيانتها من جهة ثانية، والدفاع عنها بضراوة أمـام كتلـة الحيـاة التـي يمثلهـا الآخرون... وترتبط بنية السؤال أحيانا ببنية التكرار، وكـأن كلتيهمـا تتعاضـدان لتعميق نزعة القلق واللايقين التي تهيمن على الكثير من نصوصه وحياته "[1].

ونجد التكرار الاستهلالي يظهر عند الناعوري في قصيدة بعنوان (على ضـفة الأردن)[2] :

أيا نهر روحي عليك تحوم مع الطير في غربتي الباكية
أيا نهر هل عودة للغريب إلى عـش آماله الهانيـة
أيا نهر هل عودة للغريب تبل صدى روحه الظاميـة
أيا نهر هل عودة للغريب تكفف آلامه الداميـة
أيا نهر أواه كم من سؤال تردده روحي الشاكيـة

ونلحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يعبر عن حبه لوطنـه، ويبـث هـذه المشاعر الصادقة من خلال مخاطبته النهر، ويظهر ذلك من خلال تكـرار الـشطر الأول في الأبيات الثاني والثالث والرابع، فهو يتمنى العودة إلى وطنه الـذي يحبـه ويهيم فيه.

ولعل التكرار هنا يكشف لنا عن نفسية الشاعر القلقة المضطربة التي تعاني في الغربة،والبعد عن الأهل والأحبة، فهو يرى في عودته للوطن عودة إلى الطمأنينـة والراحة النفسية،كما أن عودته إلى الوطن تكفف دموعه وتخفف آلامه.

---

[1] - العلاق: الدلالة المرئية ص 41
[2] - الناعوري: همسات الشلال، ص 10-11

ويعود الشاعر في البيت الخامس؛ ليكسر الرتابة الناجمة عن التكرار في الأبيات التي سبقته فيكرر كلمة (أيا نهر) فقط، حيث يدخل إلى إيقاع موسيقي جديـد ليـشد القارئ إليه مرة أخرى.

ويظهر التكرار حاجة الشاعر إلى الخلاص من المعاناة، أو قد تكون" اسـتجابة لحاجة في نفس الشاعر ألحت عليه كحاجته لقدوم الليل، الذي طالما خاطبـه ليبثـه همومه، وليخفف عنه عذابه "[1] كما هو الحال عند الشاعر محمود فضيل التـل فـي قصيدة (تعال يا ليل)[2]:

تعال يا ليل واسكن قلب أشعاري — وغيب الشمس وابعث ميـت أفكـاري
وانشر نجومك واجعل بينها قمرا — وادفن شعاع التـي أودت بأخبـاري
تعال يا ليل إني قد عميت فمـا — أقوى على النور أو أحيا بإبصـار
تعال يا ليل لا تترك لنـا أثـرا — إلا أفضت على ما فيه من ناري

ويبرز التكرار عند عبد الرحيم عمر أشكال الموت التي يتعرض لهـا أطفـال فلسطين من قبل الأعداء. يقول في قصيدة " أغاني الرحيل السابع "[3] :

تجاوزت : رفقا بأطفالنا
يموتون ذبحا، يموتون خوفا
يموتون قصفا
يموتون تحت الركام
يموتون تحت سنابك خيل الغزاة
يموتون ... والأمهات ...
وفقت التجاوز في ليل "صبرا "
فغيث السماء منايا

فالأطفال في مذبحة صبرا وشاتيلا يتعرضون للقتل والتعذيب بطـرق مختلفـة، ولكن النتيجة واحدة وهي الموت، فتكرار الفعل المضارع " يموتون " دلالـة علـى

[1] - الضمور: محمود فضيل حياته وشعره ص 208
[2] - التل، محمود فضيل: جدار الانتظار ص 52
[3] - عمر: الأعمال الكاملة ص 371

استمرارية هذا الحدث، وهو الموت ودلالة على مدى التوتر النفسي والقلـق الـذي يسببه الموت للشاعر، حيث إنه يرى أبناء أمته يقتلون ولا أحد يفعل شيئا من أجلهم.

فالشاعر عندما يختار أسلوب التكرار أو يتجنبه، فإنه يكون بوعي أو دون وعي قد أدرك أهميته أو عدمها " فهو يستخدم الأسلوب الذي يخدم هدفه، ويجعله متألقـا قادرا على أن يثير في نفس السامع شيئا ما. وكذلك فإن عملية الالتفات إلى الجانـب النفسي في أسلوب التكرار عملية مهمة فلو اختلف الموقـف الـشعوري لاختلـف الأسلوب"[1] .

تكرار الحرف

وهو تكرار الحرف نفسه لا تكراره من حيث وقوعه مقترنا بغيـره، ويـؤدي تكرار الحروف إلى عدد من الدلالات والمعاني، مـن أهمهـا التأكيـد والتوسـعة والتضييق و الإضاءة، وأحيانا قد يكون هذا التكرار لا شعوريا، حين تصل الدفقـة الشعورية في القصيدة إلى مستوياتها التصعيدية إلى أعلى مستوى ممكن في بعـض أجزاء القصيدة،فيلجأ الشاعر إلى هذا التكرار للمحافظة على هذا التكثيف المتصعد، إما في مشاهد يطرح فيها حمولته النفسية، أو في أخرى تدور علـى فكـرة يريـد الشاعر تأكيدها، فيصر عليها حتى وكأنه لا يرغب بالانتقال إلى غيرها[2] .

يقول عبد الرحيم عمر في قصيدته (أغاني الرحيل السابع)[3]:

فيا موت أنت الصديق القديم
وأنت صديق الدروب الخوافي
وأنت رفيق المنافي
و أنت الصديق الذي خاننا
فأنت غريم الأرامل والأمهات
وأنت عدو للحياة

[1] - ربابعة: دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي ص 59-60
[2] - عاشور: التكرار في شعر محمود درويش ص 52-56
[3] - عمر: الأعمال الكاملة ص 370

إن تكرار الضمير أنت قد حقق تناسبا وتلاؤما في الأبيات، مما يتيح للقارئ أن يفهم نظرة الشاعر للموت، ففي البداية بين الشاعر أن هناك صـداقة بينـه و بـين الموت،ومن ثم أخذت تتوسع العلاقة بينهما فالموت رفيق في المنافي وفي الـدروب ولكن بعد ذلك تضيق هذه العلاقة فيتحول الموت إلى غريم للأمهات والأرامل وعدو للحياة .

ويظهر تكرار الحرف في شعر محمود فضيل التل في قصيدة بعنوان (البحر)[1]:

غير مرة
قيل لي لا تترك البحر
و لا تطو الشراع
و لا تهاجر
و لا تغامر
لا تفارق شاطئ البحر فتشقى
و الهوى يغدو غريبا
لا تسافر في شعاب الأرض
لا تطو البقاع

إن الشاعر محمود فضيل التل في هذا المقطع ، يكرر على نحو مطرد حـرف النهي (لا) و لعل الشاعر يكرره على هذا النحو ؛ ليجعل من كل المعاني التي تعقبه ممنوعة عليه و منهي عنها مؤكدا على ذلك أن النهي قيل له أكثر من مرة .

كما يتكرر حرف الجزم (لم) ليؤكد محمود فضيل التل أن هذا الأمر لم يحصل، وهو يتمنى حصوله لأن فيه خلاص للعرب وفيه الحرية، وعوده الأرض العربيـة المحتلة ، يقول في قصيدة بعنوان (موت القمر)[2]:

لم يجتمع بعد الهزيمة صفنا
لم يندمل منذ الفجيعة جرحنا
لم ينبعث منذ القطيعة فجرنا

[1] - التل، محمود فضيل: هامش الطريق ص 28
[2] - التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص18

لم يلتئم منذ الوقيعة شملنا
فالمد و الجزر اكتئاب
في بقايا عمرنا

فالشاعر من خلال تكراره لحرف الجزم، والفعل الذي يتبعه يدور حول فكـرة تؤرقه وتقلق مضجعه، وهي تفرق العرب منذ هزيمتهم وسقوط فلسطين في أيـدي الأعداء .

ونجد حرف النفي (لا) يتكـرر فـي قـصائد عـرار، فيقـول فـي قـصيدة بعنوان(المدينة الفاضلة)[1]:

بين الخرابيش لا عبد و لا أمـة	ولا أرقّاء في أزيـاء أحـرار
ولا جناة ولا أرض يضرجهـا	دم زكي و لا أخّاذ بالثـ ـ ـار
ولا قضاة ولا أحكـام أسلمهـا	بردا على العدل أتون من النـار
ولا نضار، ولا دخل ضريبته	تجبى ، و لا بيدر يمنى بمعشـار

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عن مجتمع النور، الذي يرى فيه أنه المجتمـع الفاضل الذي تتحقق فيه العدالة والمساواة، فلا يوجد فيه مظاهر زائفة،أو أية عادات سيئة يراها الشاعر موجودة في المجتمع بكامله، فهو حسب وجهة نظره يرى أن هذا المجتمع هو المجتمع المثالي ولذلك ورد حرف(لا) النافية مكررا في القصيدة؛ لينفي عن هذا المجتمع– مجتمع المدينة الفاضلة– كل المظاهر والممارسات التي لا تعجب الشاعر كالعبودية وأخذ الثأر، وجباية الضرائب وغيرها من المظاهر الزائفة حسب رأيه .

ومن الحروف التي تكرر في قصائد شعراء الأردن الحرف (إذا)، حيث يـسهم في تواشج الجمل وازدياد فاعليتها الدلالية، فهي تظهر نتيجة أفعال الإنـسان الـذي يبعد عن الطريق الصحيح يقول الناعوري في قصيدته (آلام)[2]:

[1] - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 260
[2] - الناعوري : همسات الشلال ص 38

ويح ابن آدم كم يحيد عن الهدى و يلج في الآثام و الطغيان
فإذا الحياة كـما أراد بلـؤمـه سقر تعج بصاخب النيران
و إذا بأعراس الحـيـاة مآتـم تمشي بهن مواكب الشيطان
و إذا أغانيها قذائف حمـلـت آي الشقاء و الهم و الأحزان
و إذا سلاف العيش بعد لـذاذة سم يدار على الورى بدنـان

إن تكرار(إذا) في بداية الأبيات قد ولد انسجاما دلاليا وإيقاعيا، وحمـل فـي طياته أبعادا إيحائية تنسجم والموقف الذي يعيشه الشاعر، فتكرار (إذا) فتح الصراع بين ما يريده الشاعر من حياة كريمة للإنسانية بعيدة عن الآلام والعذاب، وما نـتج عن أفعال الإنسان غير المسؤولة تجاه الآخرين، فالأطماع التـي أعمـت الإنـسان وأبعدته عن طريق الهدى،جعلت الحياة تتحول إلى جحيم؛ ولذلك نجد فـي الأبيـات التقابل بين المتضادات (الحياة والجحيم)، (الأعراس والمآتم) (الأغاني والقـذائف)، (العيش الرغيد والسم) ولذلك تكررت إذا؛ لتعبر عن الموقف النفسي الـذي يعيـشه الشاعر.

ويتكرر اسم الاستفهام (ما) عند محمود فضيل التل في تساؤلات يحاول أن يجد لها إجابات ولكنه لا يستطيع، ويسلم أخيرا للقضاء والقدر، يقول في قصيدة بعنـوان (للموت غنيت)[1]:

ما قيمة الحياة ؟
ما قيمة الطموح إذا ؟
ما غاية الآمال ؟
ما نفع أن أكون طامعا بهذا الشيء أو ذاك ؟
ما معنى أن أحكي و كل شيء في حياتي يفرض السكوت ؟
ما معنى أن أكون صامتا أو أبلها أسمع كل شيء
من غير أن يكون لي رأي
فلا أعي شيئا مما يعانيه البشر
و كل شيء في حياتي بقضاء و قدر

[1] - التل، محمود فضيل : أغنيات الصمت والاغتراب ص 26

فالشاعر لا يرى قيمة للحياة وزينتها، وهو لا يستطيع أن يعبر عن رأيه أو يغير أي شيء في حياته لا يرضى عنه، فهذا الأمر يؤرق الشاعر كثيرا، ولـذلك فهـو يتساءل عله يجد الإجابة وهذا يدل على حالة القلق والتوتر التي يعيشها الشاعر.

وتستمر هذه الحالة النفسية لدى الشاعر في قصيدة بعنوان (إعصار الحياة)[1]:

وأسأل دائما نفسي
لماذا تسقط الأوراق يانعة ؟
لماذا تحرق البسمات زاهية ؟
لماذا يقتل الإنسان مقهورا ؟
لماذا حبنا قاتل ؟
لماذا تنتهي الأيام
حتى قبل أن تبدأ
وحتى قبل أن يأتي الأوان لها
وحتى قبل أن نبدأ

نلحظ من خلال تكرار اسم الاستفهام(لماذا)، أن الشاعر يحاول أن يبحث عـن إجابات لأسئلة كثيرة تؤرقه وتقض مضجعه وتعذبه، فهو يبحث عن أمل فـي هـذه الحياة،ولكنه لا يجد الإجابة على تساؤلاته الكثيرة .

كما تظهر التساؤلات عند حسني فريز من خلال تكراره اسم الاستفهام (لماذا) يقول في قصيدته (قف قليلا)[2]:

ليت شعري والموت في الخلق فاش   هل على الموت في الزمان نصير؟
ولمـاذا والمـوت أقـوى قـوي   تتدجى بين العباد الشـرور ؟
ولمـاذا تضـج بـالـبـؤس دار   و بأخرى يعج فيها السـرور ؟
ولماذا لا ينتهـي الـنـاس عمـا   شنأته على مداها العصـور ؟

فتساؤل الشاعر هنا تساؤل المتعجب المستهجن من تصرفات وأفعـال البـشر، الذين لا يتعضون بالموت، فالشر والبؤس والشقاء منتشر بينهم،ويظهر مـن خـلال

---

[1] - التل، محمود فضيل : جدار الانتظار ص 64
[2] - فريز: الأعمال الكاملة ص 218

أفعالهم وأقوالهم مع أنهم يعرفون أن نهايتهم هي الموت، وهو لا يجد لأسـئلته أيـة أجوبة مقنعة.

تكرار الكلمة

يعتبر تكرار الكلمة أبسط ألوان التكرار وأكثرها شيوعا بين أشـكاله المختلفـة، وهذا التكرار" هو ما وقف عليه القدماء كثيرا، وأفاضوا في الحديث عنه فيما أسموه التكرار اللفظي. ولعل القاعدة الأولية لمثل هذا التكرار أن يكون اللفظ المكرر وثيق الصلة بالمعنى للسياق الذي يرد فيه، وإلا كان لفظية متكلفه لا فائدة منها ولا سـبيل إلى قبولها"[1] .

وتشكل الكلمة المصدر الأول من مصادر شعراء الأردن التكراريـة، التـي " تتشكل من صوت معزول أو مجموعة من الأصوات المركبة الموزعة داخل البيـت الشعري أو القصيدة، بشكل أفقي أو رأسي، وهذه الأصـوات تتوحـد فـي بنائهـا وتأثيرها سواء أكانت حرفا أو كلمة ذات صفة ثابتة كالأسماء، أو ذات طبيعة متغيرة تفرضها طبيعة السياق كالفعل، فهي تسعى جميعها لتؤدي وظيفة سـياقية تفرضـها طبيعة اللغة المستخدمة، وإلا أصبح التكرار مجرد إعادة ونمطي لا يثير في السامع أو القارئ أي انفعال أو إثارة "[2].

فالشعراء لا يبحثون عن فرد، وإنما يبحثون عـن قـيم ومبـادئ تتمثـل فـي الأشخاص كالحب والأخوة والعدل والحرية، وغيرها من القيم السامية التي يرغـب الرومانسيون أن تسود العالم.

فحسني فريز في قصيدته (هوى المجد) يكرر جملة (آمنت بالحب)، فالحب عند الشاعر قيمة ومعنى يسعى الشاعر أن يكون هذا الحب هو محرك الشعوب، ومعيار علاقاتها على مختلف المجالات فهو رمز الصفاء والنقاء ورمز الطهـر والعفـة.[3]

يقول[4]:

---

[1] - عاشور: التكرار في شعر محمود درويش ص 60

[2] - المنصور، زهير: التكرار في شعر الشابي، مجلة جامعة أم القرى ص 1308- 1309

[3] - المرجع نفسه، ص 1309

[4] - فريز:الأعمال الكاملة، ص 102

آمنت بالحـب لا دنيـا مضللـة ولا اعتداء ولا آفـات بهتـان
آمنت بالحب يبني كل ما عجزت عنه الدهاقين من سواس أوطاني
آمنت بالحب لا دعوى ولا دجل ولا تكالب سادات وعبـدان

فالشاعر هنا يؤمن بالحب ويؤكد على قيمته؛ لأنه يرى فيه الأخـوة والمـساواة وأنه يبني كل شيء عجزت عنه السياسات، وهو ما يسعى إليه الرومانسيون دائمـا في التأكيد على حب الإنسان للإنسان من أجل التلاحم الإنساني والمساواة والعـدل. ويؤكد الشاعر على الأخوة العربية والحب الموجود بين الشعوب على الـرغم مـن الحدود السياسية الموجودة، فيقول في نفس القصيدة[1]:

كم عاشقا في ربى الأردن أو بردى يبث سرا نما في صدر هيمان ؟
كم عاشقـا لرياض النيـل أنشـده حب الجماعة في جنات بغدان ؟
كم عاشقا في ظـلال الأرز أيقظه وأرسل الشوق فياضا لعمان ؟

فالشاعر من خلال تكراره (كم عاشقا) يؤكد الحب والعـشق، الموجـود بـين الشعوب العربية والبلاد العربية، فالتكرار هنا جاء تأكيدا لمبدأ آمـن بـه الـشاعر ولمسه، ويتمنى أن يكون ذلك أمرا عاما بين الشعوب كافة؛ لتعمـر الأرض ويعـم الخير الجميع.

ويظهر تكرار الكلمة أيضا عند عرار في غير قصيدة من قصائده، وغالبا مـا يأتي هذا التكرار ليؤكد آمال يريدها الشاعر أن تتحقق في مجتمعه، ولكن في النهاية يريد الخروج من هذا المجتمع الظالم، يقول في قصيدته (بقايا ألحان وأشجان)[2] :

خذني (معاك) فإن الناس قـد برمـوا بما يسمونه ظلمي وطغيانـي
خذني (معاك) ودعني في مضاربكم أمتاح من بئركم لكن بأشطانـي
خذني (معاك) فإني في مضاربكـم والله أنعم في سهوي ونسياني

فالشاعر يريد أن تسود في المجتمع المحبة والأخوة والعدل، ولكنه يئس من هذا الأمر ويريد الهروب من هذا المجتمع إلى مجتمع آخر، وهو مجتمع النور الذي يرى فيهم الشاعر المجتمع المثالي الذي ينشده؛ لذلك جاء الخطاب المكرر (خذني معـاك)

---

1 - فريز:الأعمال الكاملة، ص 102
2 - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 412

إلى شيخهم، وهو بهذا التكرار يؤكد على رغبته في ترك مجتمعه الظالم إلى مجتمع النور الذي يمتاز بالحرية والعدل، وقبل هذه الأبيات وفي نفس القصيدة يؤكد الشاعر حبه لشعبه وأبناء وطنه، ولكنهم قابلوه بالنكران يقول: [1]

فليتق الله بي شعـب محبتـه كانت وما برحت، ديني وديداني

وليتق الله بي شعب وفيت له حق الوفاء وبالنكران كافاني

ويبرز التكرار عند خالد محادين من خلال تكراره للفعل، حيث يؤدي ذلك إلـى تكثيف المعنى في القصيدة،وتوالد الأفكار ففي قصيدة (النصر والفتح) يتكرر الفعـل (يأتي) يقول:[2]

معذبتي

ويأتي صوتك النائي معذبتي

.... -

ويأتي مثل دحنونة

ويأتي مثل باقات من الأزهار و الورد

ويأتي مثل أيقونة

ويأتي مثل مبخرة بوحل الأرض مدفونة

فالشاعر من خلال تكراره الفعل (يأتـي) قد كثف المعنى في القصيدة، ويؤكـد استمرارية الحدث مهما حاول أن يهرب منه، إلا أن صوت محبوبته يأتي إليه،وهي هنا (فلسطين المحتلة)، ولعل الشاعر من خلال ذلك يريد أن يعبر عن الحالة التـي يعيشها العرب والمسلمون من محاولات لنسيان القضية الفلسطينية وتجاهلها، إلا أن ما يحدث في فلسطين دائما يذكرنا بها ونسمع صوتها مهما حاولنا أن نتجاهلـه. إن مجيء الفعل على صيغة المضارع مكررا يعطي الحدث الاستمرارية في المستقبل، ونتيجة لذلك سوف يأتي النصر الذي يأمله الشاعر وتتحرر الأرض من الـصهاينة

[1] - التل، مصطفى وهبي: العشيات ص 412

[2] - محادين: الأعمال الكاملة ص 66

المحتلين. ويأتي التكرار عند محمود فضيل التل، ليؤكد فكرة الخوف التي تـسيطر على الإنسان، وتسلبه إرادته فيقول[1]:

حقا . . .
إننا نخاف أن لا نهتدي يوما
إلى حقيقة الأمر
ويبقى الخوف يقتلنا
ويهزمنا
نخاف من أنفسنا
نخاف أيضا بعضنا
نخاف في حياتنا
نخاف بعد موتنا

إن هذا التكرار لكلمة (نخاف) في قصيدة بعنوان (الخوف)، تعبر عـن الحالـة النفسية والشعورية التي تسيطر على الشاعر، ولعل الشاعر قد شعر بدنو أجله فبـدأ يشعر بالخوف من النهاية أو المصير المجهول، وهو يتحدث بصيغة الجمـع ليعبـر عن شعور البشر جميعا، فغريزة الخوف موجودة في داخلنا جميعا فالخوف مسيطر علينا، فنحن نخاف من أنفسنا ومن بعضنا ونخاف من حياتنا وبعد موتنا لأننا لا نعلم حقيقة مصيرنا أو متى سيدنو أجلنا.

كما يأتي التكرار عند محمود فضيل التل ليؤكد قيمة الذات، فالشاعر يكرر كلمة (أبحث) غير مره في قصيدته (أبحث عن ذاتي)، فكأنه لا يجد نفسه وهو يمر بحالة من اليأس كما هو حال الرومانسيين دائما يبحثون عن الأفضل، أو عن القيم السامية في مجتمعاتهم يقول[2]:

---

[1] - التل، محمود فضيل: نداء للغد الآتي ص 29

[2] - التل، محمود فضيل: وجدتك عالما آخر ص 12

أبحث .... أبحث عن ذاتي
كي ألقى نفسي وحياتي
أبحث ... أبحث عن قلبي
كي ألقى حبي وصلاتي

ولعل الشاعر من خلال تكراره لكلمة (أبحث) يعبر عن حالته النفسية التي يمر بها، فهو دائم البحث ليصل إلى هدفه المنشود، وهي الحياة الفضلى التي تخلو من الآلام والأطماع، يسود فيها الحب بين الناس.ويأتي التكرار عند عبد الرحيم عمر؛ ليبين المصير الأوحد للبشر وهو الموت وإن تعددت الأسباب يقول[1]:

إذ يولد الإنسان أيما إنسان
توصوص النجوم في السماء ضاحكة
زاد وقود المعركة
وكلنا كنا وقود المعركة
فواحد وا أسفاه غاله الطغيان
وواحد على الفراش غاله الزمان
وواحد في برجه العاجي طاله الطوفان

فتكرار كلمة (واحد) يأتي هنا ليبين تقسيم الناس، فمنهم من يموت بسبب طغيانه ومنهم من يموت على فراشه، ومنهم من يموت بسبب الطوفان، لكن النهاية واحدة وهي الموت، وارتباط الكلمة المكررة بحرف العطف (الواو) يدل على التضييق "إذ يؤدي تكرار الحرف أحيانا إلى تضييق حيز أي شيء يقترن به، فيبدو وكأنه اختزال إلى أقصى درجه ممكنه، وبأسلوب تدريجي أيضا يزداد اطرادا بزيادة التكرار "[2].

أما الناعوري فيظهر عنده التكرار ليعبر عن مشاعره، وأحاسيسه الجياشة تجاه وطنه من خلال قصيدته (نهر الأردن) التي يخاطب فيها النهر فيقول[3]:

[1] - عمر: الأعمال الكاملة ص 127
[2] - عاشور: التكرار في شعر محمود درويش ص 54
[3] - الناعوري: أناشيدي ص 16

عبدتك لو كان ماؤك حـرا ولم يتحكم بك الطامعـون
عبدتك لو كان في ضفتيـك رجال لعزتهـم مخلصـون
عبدتك ماء وأرضا وطينا عبدتك حسنا ورمزا ثمينـا
عبدتك يا نهر لو كنت حرا فتضحك في ضفتيك السنين

فالشاعر يخاطب النهر لأن له قدسية خاصة؛ فلذلك يعبر عن مشاعره المفعمـة بحب هذا النهر وهذا الرمز المقدس، ولكن هناك شيء يؤرق الشاعر وهو أن نصف ماء هذا النهر يتحكم به الأعداء الصهاينة، وهو يكرر كلمة (عبدتك) لأن لهذه الكلمة دلالات جليلة وعظيمه، فهي تحمل معنى الإخلاص والطاعة، وتقـديم كـل شـيء للمعبود، وهو يعرف قيمة هذا النهر المقدس الذي جمع قلوب الإخوة في الـضفتين، ويأمل منه أن يمنحهم العزيمة والقوة للقضاء على الأعداء ودحرهم مـن فلـسطين المحتلة.

وقد يأتي التكرار ليبين وحدة المشاعر والأحاسيس لدى البشر، كما هي الحـال في قصيدة الناعوري (أخي الإنسان)[1]:

كلانا نعرف الأشواق و الآمال تحدونا
كلانا نشتهي و الحسن لا ينفك يغرينـا
كلانا نعرف الصبوات نبلوها و تبلونـا
فمهلا يا أخي الإنسان !

فمن خلال تكرار الشاعر لكلمة كلانا يؤكد وحدة المشاعر؛ لأنه يريد أن يـصل إلى هدف سام وهو الأخوة الإنسانية، ونبذ العنصرية والظلم والاضطهاد.

إن ظاهرة التكرار التي كانت بارزة لدى شعراء الأردن، لم تكن فـي أغلبهـا تشكيلا بصريا زائدا وإنما جاءت لتعبر عن الدفقات الشعورية التي تـسيطر علـى أولئك الشعراء، الذين يمتازون بحس مرهف، فهم يتفاعلون مع الحياة ومع كل مـا يدور حولهم، وفي مجتمعاتهم التي يعيشون فيها.

[1] - الناعوري : أخي الإنسان ص 19

الخاتمة

أ- لقد جاء تأمل الشعراء الأردنيين للطبيعة ناتجا عن الحياة القاسية، التـي كـانوا يعيشونها، ونتيجة لبحثهم الدائم والمستمر عن الحياة المثالية التي كانوا ينشدونها، فلم يجدوها إلا في الطبيعة، وكذلك كانت الطبيعة بالنسبة لهم الحـضن الـدافئ الذي يلجأون إليه لبث مشاعرهم وأحاسيسهم.

ب - كان الإحساس بالخوف من الموت، وانتهاء الحياة دافعـا كبيـرا وراء تأمـل شعراء الأردن للحياة والموت، إضافة إلى الأحداث والحروب التي عاصـروها، فقد كان الموت مطلبا لبعض الشعراء؛للخلاص من الحياة القاسية،التي أتعبـتهم ولم يحققوا فيها آمالهم وطموحاتهم، وكان الموت بالنسبة لبعض الشعراء وسيلة للحصول على الحياة الفضلى. أما بالنسبة للحياة فقد تشابهت نظـرة الـشعراء إليها، فأغلبهم كان ينظر إليها على اعتبار أنها حياة زائلة، وأن الإنـسان الـذي يطلبها ويتمسك بها يركض وراء وهم زائف.

ج _ جسد الشعراء من خلال تأملهم للإنسان الكثير من المعاني، والقـيم الإنـسانية السامية، التي كانوا ينشدونها، فقد تطرقوا لقضايا الظلم، والفقـر، والحرمـان، والعنصرية، والتشريد، والقتل والتدمير. وكان الشعراء يدعون الإنـسان إلـى العودة إلى إنسانيته، ونبذ الشر ونشر الخير؛ لأنه من المخلوقات التي كرمها الله بالعقل، كما تحدثوا عن خلق الإنسان وأصله الطيني لعله يعود إلى رشده.

د- اتسم معجم الشعراء اللغوي بالقوة والجزالة في الألفاظ، والغزارة في المعـاني والأفكار، حيث استطاعوا توظيف هذه الألفاظ في توصيل أفكارهم بوضوح، فقد استمدوا ألفاظهم من الطبيعة ،والبيئة التي يعيشون فيهـا، حيـث كثـرت فـي قصائدهم الألفاظ المستمدة من الطبيعة وذات دلالات إنسانية.كما استخدم الشعراء الكثير من الأساليب، التي تساعدهم في توصيل أفكارهم، مثل الانزيـاح الـذي يسهم في تقوية النص الشعري،ويبعده عن السطحية والمباشرة.

هـ - جاءت الصور الفنية في قصائدهم مستمدة مـن الطبيعـة،والحياة والواقـع المعيش، وكانت صورهم عبارة عن انعكاسات لذواتهم،وتعبير عـن مـشاعرهم الداخلية، إذ أسهمت الصور الفنية عندهم في إثراء نصوصهم وتوضيحها للمتلقي

وساعدتهم في توصيل أفكارهم،فجاءت صورهم متنوعـة ومتعـددة الأشـكال، واعتمدوا على التشخيص والتجسيد .

و_ استخدم شعراء الأردن التكرار، كأسلوب من الأساليب التي تساعد فـي تنظـيم الإيقاع الداخلي للقصيدة ومن أجل تأكيد المعنى وتكثيفه، وقد جاء تعبيـرا عـن الدفقات الشعورية التي تسيطر على أولئك الشعراء، الذين يمتازون بحس مرهف وبمشاعر جياشة. وقد أدى التكرار وظائف جمة عند شعراء الأردن، ولم يكـن حلية شكلية أو زخرفا زائدا.

المراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، زكريا: 1971 **مشكلة الحياة**، مكتبة مصر، القاهرة، ط1.

ابن أبي سلمى، زهير: 1960 **ديوان زهير**، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، دار بيروت، بيروت، د. ط.

ابن الحسين، الملك عبد الله: 2007 **خواطر النسيم**، جمع وتحقيق خلف النوافلة، وزارة الثقافة، عمان،ط1.

ابن الرومي: (د.ت) **ديوان ابن الرومي**، اختيار وتصنيف كامل كيلاني، مطبعة التوفيق الأدبية، د. ط.

ابن العبد، طرفة: 1961 **ديوان طرفة**، دار صادر، دار بيروت، بيروت، د.ط.

ابن الفارض، عمر: 1957 **الديوان**، دار الصياد، دار بيروت، بيروت، د.ط.

ابن ربيعة، لبيد : 1966 **ديوان لبيد**، دار صادر، بيروت، د.ط.

ابن، منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: (د.ت) **لسان العرب**، مطبعة بولاق، ط1.

أبو العزم، طلعت:1981 **الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، د.ط.

أبو ماضي، إيليا: (د.ت) **الديوان**، دار العودة، بيروت،د.ط.

أحمد، محمد فتوح: 1988 **شعر المتنبي(قراءة أخرى)**، القاهرة، دار المعارف، ط2.

أدونيس(أحمد علي سعيد): 1979م **مقدمة للشعر العربي**، دار العودة، بيروت، ط3.

الأسعد، محمد: 1980م **مقالة في اللغة الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط.

إسماعيل، عز الدين: 1972م **الشعر المعاصر في اليمن "الرؤية والفن"** معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، د.ط.

إسماعيل، عز الدين: 1974م **الفن والإنسان**، دار القلم، بيروت، ط1.

إسماعيل، عز الدين: 1988 **الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**، دار العودة، بيروت، ط5.
أمين، أحمد: 1969 **فجر الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10.
أنيس، إبراهيم: 1988 **موسيقى الشعر**، مكتبة الانجلو المصرية، ط6.
البتيري، علي: 2004 **شبابيك أتعبها الانتظار**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.
بدوي، عبد الرحمن: 1998 **الموت والعبقرية**، مكتبة النهضة، القاهرة، ط1.
بلقاسم، بلعرج بن أحمد: 2005 الإيقاع، **مجلة التراث العربي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 98، السنة 25، حزيران، ص110.
التل، محمود فضيل : 1982 **أغنيات الصمت والاغتراب**، مطابع دار السياسة، الكويت، ط1.
التل، محمود فضيل: 1985 **نداء للغد الآتي**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط1.
التل، محمود فضيل: 1987 **شراع الليل والطوفان**، جمعية عمال المطابع التعاونية عمان، ط1.
التل، محمود فضيل: 1988 **آخر الكلمات**، مطابع الدستور التجارية، عمان، ط1.
التل، محمود فضيل: 1988 **وجدتك عالما آخر**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.
التل، محمود فضيل: 1993 **جدار الانتظار**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.
التل، محمود فضيل: 1995 **هامش الطريق**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.
التل، محمود فضيل: 2004 **أنشودة المستحيل**، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
التل، مصطفى وهبي: 1998م **عشيات وادي اليابس**، جمع وتحقيق زياد الزعبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 2.
جامعة آل البيت، **الشعر الحديث في الأردن ونقده: 1997م** (أوراق الملتقى الثقافي الأول ـ المفرق) د.ط.

جبران، جبران خليل: 1985 **المواكب**، مؤسسة نوفل، بيروت، ط2.
الجبوري، يحيى: 1982م **الشعر الجاهلي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3.
الجرجاني، عبد القاهر: 1999م **دلائل الإعجاز**، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3 .
حافظ، صبري: 1985م **استشراف الشعر**، دراسات أولى في نقد الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط.
الحجايا، نايل: 2004 **خالد محادين (حياته وشعره)**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.
حمود، محمد العيد: 1983م **الحداثة في الشعر العربي الحديث**، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط.
حور، محمد إبراهيم: 1986 **النزعة الإنسانية في الشعر العربي**، مطبعة العين، الإمارات، ط1.
خريس، حسين رشيد: 2007م **الأعمال الشعرية الكاملة**، ج1، وزارة الثقافة، عمان، ط1.
الخطيب، أحمد: 2006م **باتجاه قصيدة أخرى (هنالك حيث إنا)**، الجنان للنشر والتوزيع، عمان، ط1.
الخطيب، نبيله: 1996 **صبا الباذان**، عمان، ط1.
داود، أنس: (د.ت) **الطبيعة في شعر المهجر**، القاهرة ، د. ط.
الدردنجي، هيام رمزي: 2005م **الأعمال الكاملة**، دار الكرمل، عمان، ط1.
درويش، أحمد وآخرون: 2001م **فدوى طوقان بين قيد المرأة الشرقية وفضاء النص (كتاب جرش) 2000**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
درويش، العربي حسن: 1991م **الاتجاه الرومانسي في شعر أبي القاسم الشابي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط
الدقاق، عمر: 1978 **شعراء العصبة الأندلسية في المهجر**، دار الشروق، بيروت، ط2.

الرازم، عائشة الخواجا: 1998م **الأعمال الشعرية الكاملة**، دار الخواجا للدراسات والنشر، عمان، ط1.

ربابعة، موسى: 2001 **دراسات أسلوبية في الشعر الجاهلي**، مكتبة الكتاني،إربد، د.ط.

الرباعي، عبد القادر: 1405هـ **الصورة الفنية في النقد الشعري**، دار العلوم للطباعة، الرياض، ط1.

الرباعي، عبد القادر: 1999م **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2.

الربيعي، محمود: 1981م لغة الشعر المعاصر، **مجلة فصول**، العدد الرابع، يوليو.

الرفاعي، عبد المنعم: 2003م **شعر عبد المنعم الرفاعي**، جمع وتحقيق إبراهيم الكوفحي، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، عمان، ط1.

الرواشدة، أميمة: 2004م **شعرية الانزياح**، منشورات أمانة عمان، ط1.

ريتشاردز: (د.ت) **مبادئ النقد الأدبي**، ترجمة مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، د.ط.

الزعبي، أحمد: 2007م **أسلوبيات القصيدة المعاصرة (دراسة حركة الشعر في الأردن وفلسطين من 1950 ـ 2000م)** دار الشروق، عمان، ط1.

السبول، تيسير: 1998م **الأعمال الكاملة**، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط2.

سلام، عبد السلام حسن: 1995 **الخطاب الشعري عند محمد عفيفي مطر**، القاهرة، ط1.

السمان، محمود: 1983 **العروض الجديد " أوزان الشعر الحر وقوافيه"**، دار المعارف، القاهرة، د.ط.

شرتح، عصام: 2004 الانزياح واللغة الشعرية في النظريات النقدية والأسلوبية الحديثة، **جريدة النور السورية**، تاريخ العدد 27/ 2004/10م.

الشرع، علي: 2002 **الشعر في الأردن**، أوراق ملتقيات عمان الإبداعية، (النزعة التأملية في الشعر الأردني وإشكالية التلقي)، وزارة الثقافة، عمان، د.ط.

الشلبي، محمود: 1982 **ويبقى الدم ساخنا**، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ط1.

شورون، جاك: 1984م **الموت في الفكر الغربي**، ترجمة كامل يوسف حسن، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط.

الشيخ، خليل: 1997م الانتحار في الأدب العربي (**دراسات في جدلية العلاقة بين الأدب والسيرة)**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

الضمور، عماد: 2001 **محمود فضيل التل(حياته وشعره)**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

ضيف، شوقي: (د.ت) **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، دار المعارف، القاهرة، ط10.

ضيف، شوقي: (د.ت) **دراسات في الشعر العربي المعاصر**، دار المعارف، القاهرة، ط7.

عاشور، فهد ناصر: 2004 **التكرار في شعر محمود درويش**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1.

عبد البديع، محمد نظمي: (د.ت) **أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب**، دار الفكر العربي، د.ط.

عبد المطلب، محمد: 1994م **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1.

عبود، هناء: 1950 **النول والمخمل (دراسة في الظاهرة الجبرانية)** منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط.

عزام، عبد الوهاب: 1936م **ذكرى أبي الطيب**، مطبعة الجزيرة، بغداد، د.ط.

العزب، محمد: (د.ت) **أصول الأنواع الأدبية**، دار والي للنشر، المنصورة، ط1.

عصفور، جابر: 1992 **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3 .

عطيات، محمد: 1999 **الحركة الشعرية في الأردن تطورها ومضامينها (1921-1967)**، لجنة تاريخ الأردن، عمان،ط1.

عطيات، محمد: 2002 **الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي**، أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس 1996، منشورات وزارة الثقافة، د.ط.

العقاد، عباس محمود: (د.ت) **بعد الأعاصير**، دار المعارف، القاهرة، د.ط.

العقاد، عباس محمود: 1968م **ابن الرومي حياته وشعره**، دار الكتـاب العربـي، بيروت، ط7.

العلاق، علي جعفر: 2002 **الدلالة المرئية " قراءات في شعرية القصيدة الحديثة"**، دار الشروق، عمان، ط1.

علاق، فاتح: 1987 **النزعة التأملية في شعر الرابطة القلمية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب.

علي، ناصر: 2001 **بنية القصيدة في شعر محمود درويش**، المؤسـسة العربيـة للدراسات والنشر، بيروت، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ط1.

العمد، عصام صدقي: 1996م **ديوان الوجدانيات**، مجلد2، عمان، ط1.

عمر، عبد الرحيم: (د.ت) **الأعمال الشعرية الكاملة**، منـشورات مكتبـة عمـان، عمان، د.ط.

عوين، أحمد: 2001 **الطبيعة الرومانسية في الشعر العربي الحـديث**، دار الوفـاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1.

عيد، رجاء: (د.ت) **فلسفة البلاغة بـين التقنيـة والتطـور**، منـشأة المعـارف، الإسكندرية، ط2.

عيد، رجاء: 1985م **لغة الشعر**، منشأة المعارف، الإسكندرية،د.ط .

العيد، يمنى: 1983 **في معرفة النص**، منشورات دار الآفاق، بيروت، د.ط.

عيسى، راشد: 2006م **الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

غربي، فاطمة الزهراء: 2002م **الإنسان والطبيعـة فـي شـعرية ابـن خفاجـة والرومانسيين الفرنسيين (دراسة مقارنة)**، دار المتنبي، إربد، ط1.

غريب، ميشال : 1965م **عمر بن الفارض**، مطابع زحلة، د.ط.

فاخوري، محمود: 1989 **موسيقى الشعر العربي**، منشورات جامعة حلب، د.ط.

فريز، حسني: 2002 **الأعمال الكاملة**، إعداد وجمع راشد عيسى ومعاذ الحيـاري، منشورات أمانة عمان، ط1.

قاسم، عدنان حسين: 1988م **التصوير الشعر(رؤية نقدية لبلاغتنا العربية)**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1.

قاسم، عدنان حسين: 1989 **لغة الشعر العربي**، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1.

قطامي، سمير: 1981 **الحركة الأدبية في شرق الأردن منذ قيام الإمارة حتى سنة 1948م**، وزارة الثقافة والشباب، عمان، ط1.

قميحة، مفيد محمد: 1981م **الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1.

القيسي، محمد: 1987 **الأعمال الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

الكساسبة،عبد الله مسلم: 2000 **حسني فريز شاعرا وأديبا**، وزارة الثقافة، عمان، ط1.

كوهن، جان: 1986 **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، د.ط .

الكيلاني، إيمان: 1997 **دراسة أسلوبية لشعر بدر شاكر السياب**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية.

مبارك، زكي: 1938م **التصوف الإسلامي**، مطبعة الرسالة، مصر، ط1.

المتنبي، أبو الطيب: (د.ت) **ديوان المتنبي**، دار صادر، بيروت،د.ط.

مجاهد، عبد الكريم: 2003 الانزياحات الأسلوبية في لغة عرار من خلال ديوانه (عشيات وادي اليابس) **المجلة العربية للعلوم الإنسانية جامعة الكويت**، العدد 82، ص 105-108.

محادين، خالد: 1990 **الأعمال الشعرية**، مطابع الرأي، عمان، د.ط.

محمود، حيدر: 2001م **الأعمال الكاملة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

المعري، أبو العلاء: (د.ت) **لزوم ما لا يلزم**، تصحيح وتفسير أمين عبد العزيز، مطبعة الجمالية بمصر،د.ط.

المعري، أبو العلاء: 1963م **سقط الزند**، دار الصياد، دار بيروت، بيروت،د.ط.

المقدسي، أنيس: 1982م **الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث**، دار العلم للملايين، بيروت، ط7 .
الملائكة، نازك: 2000 **قضايا الشعر المعاصر**، دار العلم للملايين، بيروت، ط11.
المنصور، زهير: 2000 التكرار في شعر الشابي، **مجلة جامعة أم القرى**، العدد 21، كانون الأول، ص 1308-1309.
الناعوري، عيسى: 1955 **أناشيدي**، منشورات الرائد العربي، حماه، ط1.
الناعوري، عيسى: 1962 **أخي الإنسان**، دار الرائد،حلب، ط1.
الناعوري، عيسى: 1977 **أدب المهجر**، دار المعارف مصر، ط3.
الناعوري، عيسى: 1983 **أناشيد أخرى**، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ط1.
الناعوري، عيسى: 1984 **همسات الشلال**، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمان، ط1.
نصر الله، إبراهيم: (د.ت) **الحواريات(الفتى النهر... والجنرال)**، دار الشروق، عمان، د.ط.
نصر الله، إبراهيم: (د.ت) **جسدي كان الغربال**، مكتبة الشباب ومطبعتها، عمان، د.ط.
نعيمه، ميخائيل : 1960 **الغربال**، دار صادر، بيروت، ط6.
نقدي، مهاد، 1420 **تحليل النص الشعري**: ترجمة محمد مفتوح، النادي الأدبي بجده، ط1.
النويهي، محمد: (د.ت) **وظيفة الأدب**، مطبعة الرسالة، عابدين، ط1.
هدارة، محمد مصطفى: 1957م **التجديد في شعر المهجر**، دار الفكر العربي، ط1.
هلال. محمد غنيمي: 1974 **الرومانتيكية**، دار الثقافة، دار العودة، بيروت، د.ط.
وهبه، مجدي، المهندس، كامل: 1979 **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**، مكتبة لبنان، د.ط.
ويس، محمد أحمد: 2002 **الانزياح في التراث النقدي والبلاغي**، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1.
اليافي، نعيم: 1983م **تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث**، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط.